جامعة الجزائر3

كلية العلوم السياسية والإعلام

قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية

المنطلقات الفكرية للسياسة الدولية للولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001

(إدارة جورج بوش الابن: 2000-2008)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية
تخصص: علاقات دولية

إعداد الطالب: تحت إشراف الأستاذ الدكتور:
موساوي عبد الرّحمن بن عبد العزيز مصطفى

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د أمحند برقوق................رئيسا

د.مصطفى بن عبدالعزيز.......مشرفا

د. مصطفى صايج..............عضوا

د. عبد الوهاب بن خليف.......عضوا

السنة الجامعية: 1432هـ - 1433هـ الموافق لـ: 2011م -2012م

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الإهداء

إلى كل مسلم غيور عن دينه حريص على عزته ونصرته.

إلى كل من يحب هذا الوطن الغالي الجزائر ويأمل ويعمل أن تشرق شمس التقدم والإزدهار على سمائه.

إلى كل عائلتي : أبي و أمي

الإخوة الأعزاء

وإلى زوجتي الكريمة وأبنائي الأحباء

إلى أستاذي المشرف الدكتور مصطفى بن عبد العزيز الذي كان لي العون والسند وكان له الفضل في إعادتي إلى سكة العلم ولم يبخل عني بنصائح وتوجيهات قيمة في درب الحياة.

إن مختلف الصراعات المصورة والمنقولة عبر شاشات الفضائيات والصحف والمجلات، وعلى شبكة الإنترنيت، تعبر عن أهم المنازلات التي تحدد معالم النظام العالمي، وفق سيناريوهات وضعتها دراسات المفكرين والاستراتجيين المنتمين للعالم الغربي. وما يثير الانتباه كل عام، مثلا أخبار جوائز نوبل العالمية التي كثيرا ما تختار شخصيات أمريكية وفي جميع التخصصات، مما يدل على الزخم الفكري الكبير الذي زاد من بروز قوة الولايات المتحدة الأمريكية وتربعها على عرش البلدان الملهمة والمصدرة للأحلام، ليبقى الحلم الأمريكي عنوان الباحثين عن النجاح، من المستيقظين قبل النائمين، لما تقدمه هذه الإمبراطورية من إمكانيات وفرص، رغم ما يطرأ من حين لآخر من تطورات ينجم عنها مخاوف، تترجم بتوقعات الانهيار والأفول، ويُدق ناقوس الخطر من المفكرين الأمريكيين أنفسهم عن إمكانية تدهور الأوضاع وبالتالي السقوط الذي قد يسبب زوال الحضارة الغربية بأكملها؟

أصبحت الولايات المتحدة التي عنونت مكان نشأتها بالعالم الجديد، مفهوم روجت له لتضمن تقدمها دون مسؤولية أخلاقية، مدعية اكتشاف أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، شعب أضطهد في أوربا، القارة العجوز ذات المبادئ البالية والمضطهدة لكل محاولات التطور والفكر الحر. فاستقبلت أمريكا وتبنت المهمة الرسالية جاعلة منها بلد الأمة الاستثنائية والقدر المبين، لتحمل راية الحضارة الغربية للقرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين.

لا يختلف اثنان في وصف الولايات المتحدة بالقوة الخارقة أو الشاملة، حتى وإن كان مفكرا ومسؤولا فرنسيا مثل هوبير فدرين Hubert Védrine الذي أثارته وقائع العشرية الأخيرة من القرن الماضي، وكيفية تعامل القوة الأمريكية بنعومتها وصلابتها، مع المستجدات التي طرحتها نهاية الخطر الشيوعي في شقه السوفييتي، وأطلق بذلك فدرين عليها القوة الشاملة Hyper Puissance تعبيرا عن بلوغ الولايات المتحدة إلى حيز المحددات الأربعة للقوة، السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية، عبر استغلال ما قدمته الحداثة للإنسانية وإعطائها العلامة الأمريكية سواء فكريا أو تقنيا، خاصة بانتهاجها طريق التنمية الاقتصادية معتمدة بذلك على كل القطاعات الصناعية والزراعية والخدماتية، مستغلة المعطى الجغرافي من جهة – الموقع بين محيطين وشساعة الأرض ومواردها. إلى جانب المعطى البشري وما يحمله من فكر ديني وفلسفي وتعددي، خاصة وأن الشعب الأمريكي وليد موجات هجرة متواصلة عبر الزمن والضرورة. مما سمح بتنامي فرص الابتكار وشجع على بروز أفكار متجددة تفرضها الحالة الداخلية أو الخارجية لأمريكا، تتسابق الجامعات والمراكز العلمية لدراستها. وما شد انتباهي عند محاولتي فك الارتباط بين مختلف مكونات الولايات المتحدة الأمريكية كدولة طبعت العالم الحديث، هو ورغم وضوح الصورة وسهولة انتقال المعلومات والأحداث

إلا أن الصعوبة تكمن في مقدرة هذه الفيدرالية ذات الخمسون ولاية(دولة) المترامية الأطراف، في التعامل مع المستجدات، وفي أحيان كثيرة بمقالة لأحد المفكرين أو مصطلح يحمل في الغالب كلمة جديد(النظام العالمي الجديد، المحافظون الجدد، الإستراتيجية الجديدة، الشرق الأوسط الجديد، الليبرالية الجديدة، ....)، كلها مصطلحات تحمل في مفهومها كيفية الانتقال من مرحلة إلى أخرى، فالصيرورة التاريخية للولايات المتحدة الأمريكية وكأنما فيها سر عجيب يكمن في وجود يد خفية تدفعها نحو الأمام بطريقة محسوبة مسبقا، فمنذ أن أبحر كريسوف كولومبس باحثا عن حلمه والتخلص من سطوة المسلمين على الممرات البحرية، وصولا إلى جورج والكر بوش الذي أرسل قوات البحرية الأمريكية للقضاء على الخطر الإسلامي الذي عنون به إطلالة ألفية ما بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001، ليتم اكتشاف آخر سياسي وجغرافي وفكري، يكمن في قدرة الولايات المتحدة من تعبئة الرأي العام الداخلي والخارجي من أجل الدفاع عن نفسها في عملية عولمة الأمن القومي الأمريكي، ومقدرتها على تخطي الحدود واستعمال ما تشاء من قواعد ومنشآت تابعة لدول أخرى عبر العالم. وأما في الجانب الفكري فتبرير تحركاتها عن طريق ما تنتجه عقول خبراء أصبحوا يطرحون تجربتهم وتصوراتهم داخل مؤسسات مرتبطة بمراكز القرار.

بناء الإشكالية:

تمثل أحداث 11 سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية، منعرجا مهما في سياسة الإدارة الأمريكية التي يقودها الحزب الجمهوري، منذ سنة 2000 حيث تولى جورج بوش الابن الرئاسة بعد جولة حاسمة ضد المرشح الديمقراطي ال غور Al Gore. وأول سمة يمكن أن تميز الرئيس الجديد هو ذهابه مباشرة لإعلان الحروب: أفغانستان 2001 والعراق 2003، بدعوى الحرب على الإرهاب، ونشر الحرية، وترسيخ الديمقراطية وحقوق الإنسان، وتخليص الشعوب من استبداد الأنظمة التي أدخلت مجتمعاتها ضمن التصنيف الأمريكي لمحور الشر والدول المارقة، ويعني هذا الدول التي تخرج في سياساتها عن إرادة الإدارة الأمريكية (من ليس معنا فهو ضدنا) [1].

لتصبح الرؤية الأمريكية توجه نحو التغيير على النحو الذي يكرس أحادية القطب الأمريكي وسيطرته على النظام الدولي، ويتم التغيير بتدخل أمريكي منفرد وهي الرؤية الجديدة لفريق المحافظون الجدد، بغض النظر عن مشروعية التغيير وبما إذا كان ذلك العمل متوافقا مع المبادئ والقواعد القانونية الدولية التي ينص عليها ميثاق الأمم المتحدة، المهم أن يكون التغيير وفقا للتصورات الأمريكية للأمن وخدمة لمصالحها كقوة عظمى.

[1] تعتـ عبارة من ليس معنا فهو ضدنا إعلانا مباشرا ا يعرف بدأ بوش الإبن الذي أنتخب نوفم 2000 نصب رئيس الولايات ا تحدة الأمريكية، ليصبح بذلك يناير 2001 الرئيس الثالث والأربعون..

اتخذت صورة التحرك الأمريكي منحى جديد مدفوعة بإستراتجية ومبدأ منبعثين من أفكار دينية وفلسفية جعلت مصطلحا القديم والجديد ينسجمان في تحالف والتقاء رؤى تعود إلى مسيحية الإنجيلين الجدد المتمسكين بتعاليم العهد القديم والفلسفة السياسية التي تنبعث من التراث الفلسفي القديم والذي أعاده إلى الواجهة الفيلسوف الأمريكي ليو شتراوس Leo Straus[1]، ويتشبع بها مفكرون وأكاديميون تداخلت مهمتهم بين تقديم الخبرة أحيانا عبر قنوات أمريكية خالصة أو العمل داخل دواليب السلطة في مهام سياسية تنفذية وتشريعية ويعرفون بالصقور أو المحافظون الجدد. الذين استطاعوا أن يضعوا رزنامة مدروسة حسب إدراكاتهم وتصوراتهم لحاضر ومستقبل الولايات المتحدة الأمريكية، في مواجهة تهديدات الأعداء المحتملين ومنافسة الحلفاء الطامحين، و هذا ما يجرني إلى طرح المشكلة البحثية الآتية:

ما هي الأفكار التي تؤمن بها إدارة جورج بوش الابن والتي تجعلها أساسا لسياستها الدولية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 ؟

ومن المشكلة تتفرع الأسئلة التالية :

1. ما هي الأفكار الفلسفية التي يستند إليها القرار السياسي الأمريكي؟

2. ما هي المعتقدات الدينية للإدارة الأمريكية وكيف ظهرت لتميز السلوك السياسي للولايات المتحدة الأمريكية؟

3. ما هي خصائص الإستراتجية الأمريكية للرئيس جورج والكر بوش في الفعل العسكري الذي عرفته الساحة الدولية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001؟

الفرضيات :

للإجابة عن هذه المشكلة والأسئلة وضعت الفرضيات التالية:

1. كلما كان هناك تقارب بين المتغيرين الفلسفي الشتراوسي واليمين الديني الإنجيلي في إدارة بوش الابن كلما زاد السعي وراء الحلم الإمبراطوري وصياغة العالم وتغييره وفق التصور الأمريكي.

[1] فيلسوف وأكاد ي أمريكي من أصول أ انية، وهو يهودي اعتنق الصهيونية، متأثر بالفارا وكان يتم أن يعيش عصره، رغم انه كان سيفتقد نتشه، استطاع شتراوس نكة أن مع تلف الفلاسفة القدامى وا عاصرين، اليهود وا سحيين وا سلم ، معترفا ذات الوقت بفضل الفلسفة اليونانية وفلسفة القرون الوسطى وضع أسس للبحث عن ا قيقة والوصول على غاية فوقية تتمثل ا كمة وصولا إ الفضيلة وال ثل الدافع الأساسي للتفلسف.

2. ربما كان لأحداث 11 سبتمبر 2001 الأثر في رسم طبيعة العدو وبالتالي تفعيل إستراتيجية المحافظين الجدد في مواقع صنع القرار للولايات المتحدة الأمريكية وتطبيق أفكارهم.

أسباب اختيار الموضوع :

الأسباب الذاتية :

من خلال قراءتي ومشاهدتي للأوضاع التي آل إليها العالم خاصة مع بداية القرن الواحد والعشرون، والصيغة التي اتخذتها العلاقات الدولية بعد التحول الذي وقع في المنظومة الدولية إثر التفكك الذي وقع للإتحاد السوفييتي، وبقاء الولايات المتحدة بعد ذلك القوة العظمى الوحيدة، والتي عبرت عن تفوقها بعدة سياسات أسهمت في وضع أسس النظام العالمي الليبرالي الجديد أو ما يسمى بالعولمة ونتج عن هذه السياسات خاصة تجاه المجتمعات الإسلامية، التي أصبحت تتخبط بين الولاء من جهة ومحاولة لتحقيق الذات من جهة أخرى دون التعرض المباشر للولايات المتحدة الأمريكية، لذلك أريد فك مجمل التصورات والرؤى الأمريكية للعالم، والأفكار التي تنتج منها سياسات إدارتها.

الأسباب العلمية:

تمثل الفلسفة السياسية القديمة إرثا حضاريا توارثته المجتمعات الغربية عبر مختلف مراحل نشأتها كدول ذات سيادة، وقوة سياسية و اقتصادية، أثرت بشكل كبير في باقي الدول والمجتمعات الدولية من خلال تحركاتها الخارجية، وكان لهذه الفلسفة الدور في إعطاء الشكل والصورة الإنسانية لمجمل السياسات التي تبنتها الدول الغربية، والأنظمة التابعة لها، لذلك تصبح دراسة تأثير الفلسفة السياسية على القرار الأمريكي مسألة بالغة الأهمية، في حقل العلوم السياسية.

إلى جانب تصاعد فكرة تصادم الحضارات، والتي عبرت عنها مجموعة من الكتابات الأمريكية، والتي تبنتها حقول الدراسات في مختلف الجامعات على مستوى العالم. خاصة مع تنامي الخطر الإسلامي بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، واستغلال ما يسمى بثقافة الخوف والرعب الذي أصبح يمثله الإسلام، وإعلان الرئيس الأمريكي عن حرب صليبية جديدة.

أدبيات الدراسة :

من أهم الدراسات التي يمكن الاعتماد عليها لإنجاز هذه المذكرة مجموعة من مؤلفات المفكر الأمريكي ليو شتراوس Leo Strauss ، الذي يعتبره الأكاديميون الأستاذ والأب الفلسفي لصقور الإدارة الأمريكية، من خلال الأفكار والمبادئ التي تحملها هذه الكتب.

مجموعة من مؤلفات الفيلسوف الأمريكي ليو شتراوسLeo Strauss و أهمها :

1. **La Cité et l'Homme**[1] وفي هذا الكتاب يذهب ليو شتراوس بالقارئ إلى الماضي الغربي الذي ميزته فلسفة أفلاطون Platon وأرسطوAristote و ثوكوديدس Thucydide أي إلى الذين أسسوا الفلسفة السياسية وتاريخ الفكر السياسي، وهذا دون خلفية فكرية حنينية أو عاطفية، لكن لتوضيح وفهم الأزمة التي آلت إليها الحضارة الغربية من خلال استكشاف النماذج الفكرية وإبراز التناقضات الإيديولوجية والثقافية التي يتخبط فيها العصر الحديث. ولأن السياسة عند شتراوس مسألة جدية بمعناها النبيل. هذا الكتاب يمدنا بإطار مفهوماتي غاية في الأهمية والدقة. و يمكن القول بأن هذا الكتاب يعيد بعث الفلاسفة أفلاطون Platon و أرسطوAristote و ثوكوديدس Thucydide إلى الحياة.

2. Droit Naturel et Histoire[2] يعتبر هذا الكتاب أهم مؤلف لشتراوس ومعترف به من كلاسيكيات الفلسفة في القرن العشرين خاصة الفلسفة السياسية .

يدافع ليو شتراوس عن فكرة الحق الطبيعي ضد كل نسبية تاريخية، بالنسبة إليه الحاجة إلى الحق الطبيعي أمر ظاهر ، ورفض الحق الطبيعي يعني أن كل قانون يعتبر وضعي، أي أن القانون يوضع فقط من طرف المشرعين والمحاكم لمختلف الدول، وبمعنى آخر لا يلاحظ بأن هناك قوانين و قرارات غير عادلة و خاطئة.

يعتبر شتراوس العلوم الاجتماعية في عصر الحداثة: ترفض الحق الطبيعي باسم التاريخ والاختلاف بين القيم والوقائع. ويدافع شتراوس عن الحق الطبيعي الذي يعتبره المصدر الوحيد للفكر الذي يفرق بين ما هو عادل وغير عادل (بين الخير و الشر).

3. Nihilisme et Politique_[3] : بالنسبة لهذا الكتاب يشرح شتراوس معنى العدمية الألمانية (Nihilisme allemand) التي يعتبرها الأساس الثقافي للوطنية الاشتراكية، والمرة الوحيدة التي يذكر النازية وهو الذي عايش الملامح الأولى باعتباره ألماني ويهودي . والتحليل الذي يقدمه شتراوس بسيط وواضح، حيث يؤكد بأن الفكر النازي متجذر في التاريخ الألماني المعاصر وفي تاريخ الحداثة.

ويسجل نقد شتراوس في التراث الفلسفي القديم والتراث الإنجيلي، و كل منهما يرفض العدمية المعاصرة، وأزمة العصر بكاملها يمكن مجابهتها عن طريق الأدوات التي يوفرها التراث الفلسفي القديم .

و يحتوي هذا الكتاب على ثلاث مواضيع :

[1]Strauss, Leo, La Cité et l'Homme, Le Livre de Poche, Paris, 2005,480p.

[2]Strauss, Leo, Droit Naturel et Histoire, Editions Flammarion, France, 324p.

[3]Strauss, Leo, Nihilisme et Politique, Traduit par Olivier Sedeyn, Editions Payot & Rivages, Rivages Poches, Coll. Petite Bibliothèque, 2004, 160p.

" العدمية الألمانية1941 " ، " أزمة العصر الحاضر1962 " ، " أزمة الفلسفة السياسية 1962".

4. Qu'est ce que la philosophie politique [1]:

في هذا المؤلف يشير ليو شتراوس في نفس الوقت إلى: تعريف الفلسفة السياسية واشكالية الفلسفة السياسية وتاريخ الفلسفة السياسية.

وإضافة إلى مجموعة أخرى من المؤلفات التي تهم الموضوع و يمكن ذكر:

5. كتاب دانيال تونجوي Daniel Tanguay[2] :

Leo Strauss Une biographie intelectuelle : من خلال هذا المؤلف يقترح تونجوي محاولة لبعث و إعادة تشكيل فكر الفيلسوف والمؤرخ السياسي ليو شتراوس مشيرا إلى المواضيع الأساسية البنيوية لمؤلفاته المهمة (القانون الطبيعي ، نقد الحداثة السياسية والوضعية والتاريخية) و يقوم بتوضيح هاجسي شتراوس (اللاهوت والسياسة).

بالإضافة إلى كتب ليو شتراوس هناك كتب أخرى تهتم بموضوع الدراسة للكاتب الصحفي إيريك لورانت Éric Laurent :

6. La Face Cachée Du 11 Septembre [3] في هذا الكتاب يحاول إيريك لورانت تحليل والتنقيب عن حقيقة أحداث 11 سبتمبر 2001 حيث قاده تحقيقه إلى كل من الولايات المتحدة الأمريكية والباكستان ودبي وقطر وإسرائيل وحتى أعالي جبال تورا بورا آخر ملاجئ أسامة بلادن في أفغانستان.

يمكن اضافة :

7. **مؤلف الإمبراطورية الأمريكية في ثلاث أجزاء**[4]: وتحتوي على مجموعة من المقالات لمهتمين بالسياسة الدولية للولايات المتحدة الأمريكية إما عن طريق التخصص أو الانتماء إلى مختلف التيارات الموالية أو المناوئة لسياسات هذه الدولة، من خلال رصد الأفكار والمعتقدات التي تميز المجتمع الأمريكي والساسة وتحليل للتيارات الدينية المكونة لدينامكية المجتمع المدني ووسائل الإعلام وتدفق المعلومات والقرارات التي تتفاعل وتتقاطع داخل نظام الولايات المتحدة الأمريكية والتي تحاول أن تتكيف مع التحولات التي أفرزتها مرحلة ما بعد الحرب الباردة وأحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001.

[1] Strauss,Leo, Qu'est-ce que la philosophie politique, Traduit de L'anglais par Olivier Sedeyn, Presses Universitaires De France, Paris 1992,297p.

[2] Daniel Tanguay, Leo Strauss Une biographie intellectuelle, Editions Grasset et Fasquelle, Paris, 2003,414p.

[3] Laurent, Éric, Le Monde Secret De Bush, Paris, Pocket, 2004,225p.

[4] الامبراطورية الأمريكية، جاء في ثلاث أجزاء، وهو عبارة عن دراسات ومقالات لمختصين في الشأن الأمريكي، مكتبة الشروق، القاهرة،2001.

الإطار المنهجي:

المنهج التاريخي: باستعراض تطور السياسة الخارجية الأمريكية قبل وبعد الحرب الباردة وأحداث 11سبتمبر2001، ومتابعة الصيرورة التاريخية لهذه السياسة، لمعرفة ما إذا كانت سياسة إدارة بوش الابن تشكل امتدادا واستمرارا للسياسة الأمريكية القديمة، أم أنها تشكل قطيعة في فكر وممارسة السلوك الخارجي الأمريكي. خاصة وأن معرفة الخلفية التاريخية والأحداث الماضية تعتبر الركيزة الأساسية لفهم الحاضر.

المنهج المقارن: الذي سيتم من خلاله المقارنة بين السياسة الدولية الأمريكية السابقة والسياسة الحالية المعروفة بنشر الخير و محاربة الشر ، ومعرفة هل هناك استمرارية في السياسة الدولية الأمريكية أم قطيعة.

الإطار النظري :

النظرية الواقعية Realisme : تتضمن الواقعية أو الاتجاه الواقعي في تحليل العلاقات الدولية عددا من المقاربات النظرية التي يجمع بينها افتراضها بأن العلاقات الدولية مجرد صراع، تسعى فيه كل دولة للحفاظ على بقائها في ظل بيئة عدائية. وبذلك فإن البيئة الدولية بالنسبة للواقعيين بيئة فوضوية ينتفي فيها أي شكل من أشكال السلطة الفوقية التي يمكن للدول الاحتكام إليها. هذه الظروف تساهم في تكريس ما يسميه الواقعيون بالمعضلة الأمنية المتأتية من سعي كل دولة لزيادة مستويات أمنها بشكل منفرد، عبر حيازة مصادر القوة خاصة في شقيها العسكري والاقتصادي.

وبذلك فإن الواقعيين يميلون إلى تبني سياسة القوة Power Politics التي لا تعير اهتماما للاعتبارات الأخلاقية لدى صياغة الأجندة السياسية الخارجية لأن الأمر يتعلق هنا بصراع من أجل البقاء، حيث يعتبر الاعتماد على الذات self-help السبيل الوحيد لضمان استمرارية الدولة. واكتسبت الواقعية قوة تأثيرية كبيرة بين الأكاديميين وصناع القرار على حد سواء، حيث أن كتاب هانس مورقينتو Hans Morgenthau -مؤسس المدرسة الواقعية الكلاسيكية- المعنون بـ "السياسة بين الأمم" Politics Among Nations (1948) ظل ولفترة طويلة الكتاب المرجعي في العلاقات الدولية.

هذا ما قد يقربني إلى تفسير السياسة الدولية للولايات المتحدة الأمريكية، من خلال دراسة أهم المبادئ التي ينادي بها خطاب إدارة جورج والكر بوش بعد أحداث 11سبتمبر 2001 . واستعمال القوة وتبني الأحادية وفرض الهيمنة على باقي دول العالم بما فيها حلفاؤها التقليديون.

و لأن الواقعية ترفض ادعاء دولة من الدول بأن قيمها الأخلاقية يجب أن تكون بمثابة قوانين كونية تستوجب خضوع الجميع لها. وبدلا من ذلك ترى أن المصلحة هي التصور الذي يتبوأ مكانة القانون الكوني لأنه يحول دون الإقدام على مغامرات سياسية نابعة من محاولة فرض المنظومة القيمية والأخلاقية لدولة معينة على الدول الأخرى، وكذلك لأن تحقيق المصلحة شيء يشترك يحظى بإجماع الكل؛ وبالرجوع إلى مبدأ بوش الذي يرى أن على الولايات المتحدة أن تعمل على نشر الديمقراطية والحرية في جميع أنحاء العالم، و أن عملها هذا يعبر عن مهمة رسالية من الله، وجب إيجاد طرح نظري آخر يساعد على فهم سياسة إدارة الولايات المتحدة الأمريكية الحالية (2000-2008) . ويمكن أن تكون:

النظرية البنائية :Constructivisme : إحدى النظريات التي تساعدني في فهم وتفسير التوجه الجديد للإستراتجية الأمريكية في تعبئتها للرأيين الداخلي والخارجي، وتبريرها لكل تحركاتها الدبلوماسية والعسكرية، من خلال إبراز أهم القيم والمعتقدات التي تبني التحرك الخارجي للولايات المتحدة الأمريكية، خاصة في مواجهتها للدول والجماعات التي تدخل ضمن ما يسميه خطابها بالدول المارقة ومحور الشر.

وتنطلق النظرية البنائية من نقدها الموجه للنظريات الأخرى والتي ترى أنها فشلت في تفسير العلاقات الدولية، و يتأكد ذلك من خلال قرار قادة الإتحاد السوفييتي إنهاء الحرب الباردة ووضع حد للدولة السوفييتية وأحداث 11 سبتمبر 2001. التي كانت إعلان عن ميلاد العدو الجديد للغرب .

المفاهيم :

المحافظون الجدد: جماعة من المثقفين ورجال الدولة وهم المحافظون على قيم المجتمع ولا يقبلون كل ما هو محافظ سياسيا، بل ويتمايزون عن أطروحات التيارات المحافظة في أوروبا؛ فهم لا يريدون الدفاع عن نظام الأشياء بما هو قائم عليه وسائد، بل يريدون"تغيير العالم" ليصبح متلائما مع نموذج الحكم والحياة الديمقراطية في الولايات المتحدة الأمريكية. وهذا ما يفسر لماذا انطوت الإستراتيجية الأمريكية الجديدة التي أعلنت في20 سبتمبر2002 على نص صريح يقول إن القيم الأمريكية السياسية قد باتت قيما كونية ولهذا يجب أن تنتقل إلى المجتمعات والأنظمة السياسية.

الإنجليون الجدد: و يطلق عليهم كذلك المسيحيون الصهيونيون و يحمل مصطلح الإنجيليون بعدا من المرونة والاعتدال رغم تشابههم مع من يوصفون بالأصوليين ورغم أنهم ينحدرون من نفس المشرب، و يعملون على تشجيع ممارسات إسرائيل التي يعترفون بها وساندون أعمالها التي يعتبرونها تمهيدا لعودة المسيح المخلص، وتؤمن هذه الطائفة بعودة

المسيح الذي سيحكم العالم مدة ألف عام، حيث ستنعم البشرية في سلام تحت التعاليم المسيحية .

الحرب الإستباقية: تعتبر من وجهة نظر أصحاب النظرية إجراء ردعيا يتخذ مقدما.وعلى هذا النحو يطرح المحافظون الجدد في واشنطن النظرية في وسائل الإعلام الأميركية وكأنها نظرية جديدة أو نظرية قديمة تطبق للمرة الأولى. كعقيدة أيديولوجية تحكم السياسة الدولية للولايات المتحدة. ومن هذا المنظور تقرر شن الحرب في العراق. وتقوم الفكرة على أساس اتخاذ مبادرة عسكرية تحوطيه.. بمعنى أن عليك ألا تنتظر «العدو المحتمل» حتى يتطور إلى مستوى «عدو يقيني». كعقيدة أيديولوجية تحكم السياسة الدولية للولايات المتحدة. ومن هذا المنظور تقرر شن الحرب في العراق. وتقوم الفكرة على أساس اتخاذ مبادرة عسكرية وقائية.

الدول المارقة: تسمية الدولة المارقة ظهر لأول مرة في فترة الرئيس رونالد ريغان في سنوات الثمانينات من القرن العشرين، و هذا لنعت النظام السياسي الليبي بقيادة معمر القذافي.

و يعني مصطلح الدولة المارقة، كل دولة يمكن أن تمثل خطرا على الأمن الجماعي الدولي، وتعترض السياسة الدولية للولايات المتحدة الأمريكية.

محور الشر :_ بعد أحداث 11 سبتمبر 2002 و ما يمثله هذا الحدث من تحول في العلاقات الدولية و التحرك الأمريكي ، قامت إدارة جورج والكر بوش بتحديد أعدائها في محاور ، وظهر مصطلح محور الشر في الخطاب الذي ألقاه بوش في 29 سبتمبر 2002 ، وكان يقصد به: إيران والعراق وكوريا الشمالية، وهي الدول التي كانت تسعى لامتلاك أسلحة الدمار الشامل المحظورة الانتشار من طرف الولايات المتحدة و حلفاءها.

مراكز التفكير: عبارة عن خاصة و تجمع مجموعة من الخبراء ، المتخصصين في الكثير من الأحيان، ويعبرون عن أفكار في ميدان العلوم الاجتماعية، و يتميزون بقدرات تحليل وتفكير داخلية وتهدف إلى تقديم اقتراحات عن السياسات العامة. وتعني Think Tanks التسمية المترجمة عن الإنجليزية، مخبر تفكير، أو خزان تفكير، و لها تأثير لا يستهان به في مختلف المراحل التاريخية للدول المتقدمة خاصة الولايات المتحدة التي أصبحت من أهم الدول التي تجمع بين أراء الخبراء وخبرة الساسة.

ويأتي تصميم البحث كالتالي :

الفصل الأول : والذي أخصصه لعرض معالم الشخصية الأمريكية ومجمل الأفكار المسيطرة على الثقافة السياسية والمعتقدات الفلسفية و الدينية لصقور إدارة الرئيس الأمريكي جورج والكر بوش، وهذا بتفصيل الأفكار الفلسفية التي يؤمن بها المفكر ليو

شتراوس و التي تترابط بشكل عملي مع المعتقدات الدينية الإنجيليون الجدد والذين يعبرون عن التقاء الصهيونية واليهودية والمسيحية من أجل غاية واحدة.

الفصل الثاني : ويأتي الفصل الثاني كمحاولة لبناء الإطار الذي يتم فيه التفاعل والتقاطع بين الأفكار الفلسفية والدينية والدور التاريخي الذي أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تلعبه داخل المنظومة الدولية، باعتبارها الدولة المهيمنة والتي ترتقي إلى مصاف الإمبراطورية، نظرا لحجمها الذي بات يتزايد عبر تعاقب مراحل القرن العشرين الذي تعتبره الأوساط الأكاديمية والسياسية قرنا أمريكيا بدون منازع، وبداية القرن الواحد والعشرين الذي تسعى فيه القوى السياسية داخل دواليب السلطة الأمريكية أن تسيطر عليه، من خلال بروز نخبة من المثقفين ورجال السياسة، المدعمين بزخم من الأفكار والمعتقدات ورصيد من الإصرار على تطوير كل السبل التي تكفل بقاء الولايات المتحدة في قمة الدول ومراقبتها لكل الأوضاع العالمية والسيطرة المبنية على أسسها الإيديولوجية والمنصاعة لإستراتجيتها المبنية على فرض الحرية و الديمقراطية و حقوق الإنسان ، حسب ما تمليها معتقدات صقور البيت الأبيض أو ما يسمى بالمحافظين الجدد .

وسأقوم بتبيين أهم مراحل تكوين المحافظون الجدد، وابراز أهم خصائصهم، التاريخية والاجتماعية والثقافية، وأهم المراحل التي مرت في مسارهم نحو البيت الأبيض، حتى بلوغهم لنشر مبادئهم في السياسة الدولية لإدارة جورج والكر بوش. وفي هذا الفصل سأستعرض دور المؤسسات الأكاديمية و ما يعرف بمراكز التفكير في العمل السياسي و بناء الإستراتيجيات التي تميز الفعل الدبلوماسي والعسكري للولايات المتحدة الأمريكية.

الفصل الثالث : إجابة عن أهمية الأفكار في تصميم السياسات والإستراتجيات التي يتم على أساسها التحرك الخارجي للولايات المتحدة الأمريكية وسبل التعبئة الشعبية الداخلية والخارجية، وراء المبادئ التي تظهر بها الإدارة الأمريكية وخطابها، عبر القنوات الدبلوماسية والعسكرية. وتبرير الخيارات المختلفة التي باتت تثير الانتباه في المجتمع الدولي خاصة بعد الخيارات الأحادية التي أصبحت تميز القرارات الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001.

والرئيس جورج والكر بوش يصبح بذلك محل دراسة مباشرة عبر مجموع السلوكيات التي تميزه أكثر من أي رئيس سبقه، وهذا بتصريحاته عن علاقته بالله، والدور الرسول الذي دعي لإتمامه في العالم من خلال قيادة الولايات المتحدة الأمريكية واعتباره أن المسيح أحسن فيلسوف عرفه. ويتجلى ذلك من خلال أعضاء إدارته من المحافظين الجدد والتأثير الذي يظهر لهم في مختلف القرارات التي اتخذها في فترتي رئاسته.

المبحث الأول: معالم الإمبراطورية الأمريكية:

يقول رضا هلال في تقديمه لترجمة كتاب والتر ماكدوجال(أرض الميعاد والدولة الصليبية: أمريكا في مواجهة العالم منذ 1776)[1]، «كان على الإنسان الأمريكي الذي استوطن قارة جديدة، يفصلها محيطان عن العالم القديم، أن يخطط نظامه الاجتماعي بادئا بعهد مايفلاور، وعلاقاته الخارجية دون قيود جغرافيا ومتحررا من التاريخ، مستهلا تاريخه الخاص، وبالنتيجة فإن أمريكا استثناء ديني واستثناء جغرافي واستثناء تاريخي،وتلك الاستثنائية الأمريكية طبعت السياسة الأمريكية بسمات المثالية والنفعية والتجريبية»[2]، ويحدد ماكدوجال من خلال دراسته للتاريخ الأمريكي السياسة الدولية للولايات المتحدة في ثماني تقاليد، مقسمة في عهدين، العهد القديم والعهد الجديد[3] فيقول ماكدوجال بأن خلال العهد القديم الأمريكي أي حتى نهاية القرن التاسع عشر حكمت السياسة الدولية الأمريكية أربع تقاليد :

- الحرية في الداخل، أي توظيف السياسة الخارجية للدفاع عن حرية أمريكا.
- العزلة، أي أن يكون لأمريكا الحرية في صنع سياسة خارجية باستقلال عن مطامع القوى الأوربية، والوقوف موقف الحياد من الحروب الأوربية إلا عندما تتعرض الحرية الأمريكية للخطر.
- مبدأ مونرو الذي نص على أن لا يجوز لأي دولة أروبية أن تعد القارتين الأمريكيتين مكانا صالحا للإستعمار، أي عدم التدخل في القارتين الأمريكيتين.
- التوسعية وهي تقليد قام على مقولة المصير المبين لجون أسليفان بمعنى أن القدر فرض على الأمريكيين أن مصيرهم الاستكشاف والغزو باتجاه الساحل الغربي وصولا إلى المحيط الهادي.

يعتبر ماكدوجال أن العهد القديم الأمريكي انتهى باكتمال غزو أرض الميعاد في شمالي أمريكا بين ساحل الأطلنطي شرقا وساحل الهادي غربا. وخلال العهد الجديد لأمريكا الذي بدأ مع نهاية القرن التاسع عشر ، حكمت السياسة الدولية أربعة تقاليد هي:

- الامبريالية التقدمية بمعنى أن الأمريكيين مختارون لتحضير البشرية ونقل التقدم إلى الشعوب الأخرى.
- مبدأ ويلسون أو الليبرالية العالمية، وهو التقليد الذي إتبعه الرئيس ودرو ولسون من أجل أن يكون العالم أكثر سلما وديمقراطية بعد الحرب العالمية الأولى وتتمثل في النقاط الأربع عشر الشهيرة لويلسون.
- الاحتواء وهو التقليد الذي تبلور بعد الحرب العالمية الثانية،لمواجهة التهديد الشيوعي، دون قيام حرب عالمية.
- تحسين العالم، أي التعبير الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي في رسالة أمريكا لجعل العالم أحسن وقد تجسد في مشروع مارشال لإعادة اعمار أوربا.

يتبين من مجمل ما يسرد ماكدوجال بأن الولايات المتحدة الأمريكية ومنذ نشأتها بادرت إلى تكوين شخصية مستقلة ومتميزة عن باقي الدول في العالم، بما فيها التقاليد الأوربية، فالمكونين البشري والجغرافي ساهما في إعطاء الآباء المؤسسون للدولة الأمريكية، الرؤية لمهمة

---

[1] ماكدوجال، والتر، أرض الميعاد والدولة الصليبية: أمريكا في مواجهة العالم منذ 1773، ترجمة، هلال، رضا، الطبعة الثانية، دار الشروق العربي ، القاهرة، 2001، ص 348 .

[2] المرجع السابق، ص 06.

[3] المرجع السابق، ص ص 08-09.

وجب على الشعب الأمريكي احتضانها وبالتالي نشرها إلى باقي الشعوب، فعندما يسأل الأمريكي الذي ينظر إلى بلاده بأنها النموذج الفريد ففي الغالب يذكر أربعة أشياء[1]:

- **الدستور**[*]: وتكمن القوة الثابتة لهذه الوثيقة في تقديرها الواقعي المحافظ للطبيعة البشرية، فالمؤسسون الأوائل أدركوا أن البشر ليسوا خيرين بطبعهم وأن السبيل الوحيد لمنع الناس من استغلال السلطة هو توزيعها و إضعافها، كما أنهم أدركوا الميل الغريزي للفردية والكسب وسعوا لإيجاد إطار يحقق من خلاله الناس رغبتهم الطبيعية في الثراء.
- **الجغرافيا**: أمريكا لديها من المساحات ما يكفي لتوفير 4000 متر مربع من الأرض لكل أسرة، ولا يشغل ذلك إلا 05 %° من مساحة الولايات المتحدة مع استبعاد ألاسكا، وهو ما سمح للأمريكيين العاديين بالتطلع **إعادة الابتكار** لامتلاك كافة ألوان الكماليات التي طالما ظلت حكرا على الأثرياء في أوربا ... و الاعتماد على الأسلحة النارية لترويض الوحوش واللجوء إلى العقوبة القصوى (الإعدام) للحفاظ على النظام المزعزع.
- التي تعزز التميز الأمريكي من خلال حركية المجتمع المتواصلة غربا وجنوبا بحثا عن الجديد.
- **النزعة الأخلاقية**: يعتقد أن أمريكا في حرب صليبية أخلاقية دائمة ضد الساحرات وإدمان الكحول والكائنات الآتية من الفضاء والشيوعيين وغير ذلك، والأمريكي يرى العالم من منظور الفضيلة الفردية: ليس هناك من يعاني الفقر في هذه البلاد إلا وكان الذنب ذنبه، عبارة للقس هنري وارد بيتشر الذي عاش في القرن التاسع عشر، والذي كان يدعو للخروج بحثا عن وحوش يقتلونها.

المطلب الأول: الدستور الأمريكي

يتأسس النظام الدستوري الأمريكي على قاعدة رضا الرجال والنساء العاقلين الأحرار ويعبر عنه بالعقد الاجتماعي أي ثقة تنشأ بينهم لغايات محدودة. وتنسب نظريات العقد الاجتماعي إلى الفيلسوفين الانجليزيين توماس هوبز وجون لوك والفيلسوف الفرنسي جون جاك روسو. ويعتبر رجال الدولة الأمريكيون –الثوريون منهم وواضعوا الدستور- أنهم أصحاب تراث الحكم الديمقراطي الدستوري عبر مسيرة التاريخ الأمريكي، من إعلان الاستقلال عام 1776 إلى صياغة مواد النظام الكونفيدرالي عام 1781 وإبرام إتفاقية إنهاء الحرب الثورية عام 1783، وصياغة وثيقة الدستور عام 1789 والمصادقة على وثيقة

---

[1] Ǳون ميكلثوايت و أدريان وولدريدǯ، أمة اليم قوة ا‡افظ أمريكا، ترPة عبد الوهاā علوā، مكتبة الشروā الدولية، القاهرة، ĩ ĩ 29-30.

[*] الدستور أǴد أهم الأسباā فشل الاشتراكية أمريكا.

الحقوق عام 1791 واشتراكهم في الكفاح الأمريكي من أجل الحرية والدستورية. ولعل المبادئ الدستورية التي رسمت الإدراك الأمريكي لكيفية التحرك داخليا وخارجيا والمرتبطة أساسا بالشعب، الذي بات إرضاؤه وسيلة لتحقيق طموحات الساسة ورجال الاقتصاد والأعمال[1]:

- **سيادة الشعب:** تبدأ وثيقة الدستور بـ: «نحن الشعب الأمريكي...نصوغ وننشئ هذا الدستور»، وهكذا تعبر تعبر عن مبدأ سيادة الشعب أو حكم الشعب[2].
- **سيادة القانون:** أشار إعلان الاستقلال إلى الترابط بين الحكم العادل والمتزن مع قوانين الطبيعة وإله الطبيعة، وهي الترابط بين روح القانون وسيادته،من خلال معيار أعلى للتشريع والعدل يتعدى النصوص الوضعية وهكذا آمن الآباء المؤسسون بأن روح القانون وسيادته هي شريان حياة النظام الاجتماعي الأمريكي، ومفتاح الحريات المدنية الأساسية[3].
- **الفصل بين السلطات:** تعبر هذه النقطة عن كيفية إقامة حكم للقانون وليس حكما للناس وهذا لضبط سوء استعمال الحكم، وضمن واضعو الدستور بتوزيعهم العمل الحكومي بين ثلاث سلطات مستقلة، عدم خضوع هذه السلطة الرئيسية، التشريعية والتنفيذية والقضائية، لاحتكار أي واحدة منها، كما حال هذا التوزيع بين ثلاث سلطات مستقلة دون قيام حكومة مركزية قوية جدا قادرة على فرض سلطتها على حكومات الولايات، إلى جانب تداخل سلطات الحكم ومسؤولياته[4]:

- ضبط صلاحيات الكونجرس في إصدار القوانين بمنح الرئيس حق الاعتراض الفيتو على أي من هذه الإصدارات وفي نفس الوقت يملك الكونجرس إبطال هذا الحق الرئاسي بموافقة ثلثي أعضائه.
- الرئيس هو القائد الأعلى للقوات المسلحة، ولكن الكونجرس هو وحده الذي يتمتع بصلاحية إنشاء الجيوش وتوفير المال اللازم لها، وصلاحية إعلان الحرب رسميا.
- يتمتع الرئيس بصلاحية تعيين القضاة الفيدراليين والسفراء وسائر كبار الموظفين الحكوميين، ولا تصبح هذه التعيينات نافذة إلا بموافقة مجلس الشيوخ. ولا يمكن لأي قانون أن يكون نافذا ما لم يوافق عليهما مجلسا الكونجرس معا(النواب والشيوخ). معا.

---

[1] نقلا عن: جورج راسيل ، الدستورية وما يترتب عليها، عن الديمقراطية الأمريكية: التاريخ والمرتكزات، مجموعة دراسات بعنوان (أوراق الديمقراطية) نشرتها وزارة الخارجية الأمريكية، ترجمة، المصري، محسن عبد ربه، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص ص 27-36.

[2] المرجع السابق، ص 31.

[3] المرجع السابق، ص 31.

[4] المرجع السابق، ص ص 32-33.

- المحكمة العليا هي وحدها التي تملك الصلاحية النهائية لإبطال أي قوانين تشريعية أو قرارات تنفيذية من منطلق تناقضها مع الدستور.

- **الفيدرالية:** يوزع الدستور الأمريكي السلطة بين السلطات الثلاث ووزعها على مستويين من الحكم: المستوى القومي أي مستوى البلاد ككل ومستوى الولايات كل على حدا. حلت الفيدرالية محل الكونفيدرالية بموجب الدستور الأمريكي، وبذلك أصبح من حق الحكومة المركزية أو القومية مشاركة حكومات الولايات بعض سلطاتها، ورغم منح الدستور صفة السلطة العليا للحكومة المركزية، إلا أنه لم يجعل حكومات الولايات مجرد وحدات إدارية تابعة لها وهذا من خلال: إعطاء الحق لحكومات الولايات في تسيير ميزانياتها، وسن وتنفيذ القوانين التي تؤثر في طبيعة حياة سكانها. كما يمثل كل ولاية عضوين في مجلس الشيوخ أيا كان عدد سكانها. كما تم وضع طريقة لمشاركة كل ولاية في الهيئة الناخبة التي تختار الرئيس، بحيث يكون لكل ولاية على الأقل 03 مندوبي وعلى الأكثر 55 مندوبا، بحيث يبلغ عدد الهيئة الناخبة[1] 538. وبالنسبة لتعديل الدستور نفسه، فإن أي تعديل يمس هذه الوثيقة لابد أن يحظى بموافقة ثلاثة أرباع كل الهيئات التشريعية في الولايات، بالإضافة إلى موافقة ثلثي أعضاء مجلسي الكونجرس[2].

بهذه الطريقة التي نظر بها الآباء المؤسسون لواقعهم اندفعوا نحو تحقيق ما يسمى بالرسالة الأمريكية، بالجمع بين القيم والأخلاق التي جلبها المهاجرون البيض الأوائل، لتبعث تقاليد قانونية وسياسية استطاعت الولايات المتحدة تصديرها إلى باقي الشعوب، لتتميز بذلك، وتمنح للدولة الأمريكية علامة الحرية والديمقراطية الليبرالية التي تتواصل وتترابط مع مثالية التقوى المسيحية، جنبا إلى جنب مع المادية التي تدعو إلى العمل بجد لتجميع رأس المال، حسب النصيحة التي تقول: «ضع ثقتك في الله وأبق بارودك جافا»[3]. ورغم قناعة الأمريكي بضرورة التأسيس لبناء اجتماعي وسياسي واقتصادي يؤمن بحرية المبادرة والمعتقد والعمل، إلا أن الرجل الأبيض، مكن نفسه من جميع موارد الرفاه والتطور، «بينما بقي الهندي الأحمر يعبر عن الوحشية والحقد وحب القضاء على الآخرين دون تمييز بين الأعمار ولا الأجناس ولا الظروف»[4] وجاءت هذه العبارة في نص إعلان الاستقلال، الذي يبقي كذلك على العبيد السود، كملك للأسياد البيض، وجاء في نص إعلان الاستقلال كذلك: «حرمان الأسياد والسيدات من خدامهم العبيد بأي شكل من الأشكال، يعتبر خرقا لحقوق الإنسان»[5].

---

[1] العيثاوي، ياس ، السياسة الأمريكية ﺑ الدستور والقوﯼ السياسية، دار أسامة للنشروالتوﺯيع، الطبعة الأو ، عمان، 2009، ﺁ 35.

[2] راسيل، ﯓورﮋ، الدستورية وما يترتب عليها، مرﯓع سبق ذكره، ﺁ ﺁ 34-35.

[3] فايبلمان، ﯓيمﺯ.ﻙ، فلسفة الأمريكي ا ﻟﻔية، عن: الثقافة الأمريكية ، مكتب الاستعلامات الأمريكي بالقاهرة، ، دار ا عارف ا صرية، القاهرة، 1964، ﺁ 21.

4Arnault, Jaque, La Démocratie a Washington, Edition Socials, Paris, 1980, p. 15.

[5]ibid., p. 16.

ولعل الطريقة التي تعامل بها الأمريكي في الداخل كان لها التأثير على المستوى الخارجي، وظهور شخصية أمريكية بسمات طبعت علاقاتها مع باقي الشعوب في العالم.

المطلب الثاني: إيديولوجية الأمة الاستثنائية (العمل والفكر و التأثير)[1]:

ربط والتر رسل ميد[2]، هذه المرة تقاليد السياسة الدولية الأمريكية بشخصيات كان لها تأثيرها في تاريخ الولايات المتحدة والعالم:

- ألكسندر هاملتون: أو أولوية الاقتصاد والتجارة.
- أندرو جاكسون: الولع بالشرف و القوة.
- أندرو ولسن: ترقية الأخلاق في العالم.

ويرى أن السياسة الدولية للولايات المتحدة الأمريكية في جدل دائم بين المصالح والأخلاق، وبين البرغماتية والإيديولوجية وبين العمل والفكر. وساد الاعتقاد بأن الولايات المتحدة تعتبر نفسها نموذجا وبلدا استثنائيا.

1. قدرة استيعاب المهاجرين للوطن الجديد:

بالرغم من إعلان مؤسسي الولايات المتحدة قطيعتهم مع إنكلترا وأوروبا وبأنهم أنقياء من أي خلفية تاريخية أو أي استمرارية زمنية إلا أنهم اعتبروا أنفسهم استمرارا للغة ولثقافة ولتقاليد قاموا باعتمادها وأرادوا عن طريقها أن ينصبوا أنفسهم مرجعا مطلقا لباقي العالم. وبما أنها ذات هوية عضوية مختلطة الأجناس لذلك كانت الأمة الأمريكية ملاذا مفتوحا للجميع، وقامت في الوقت ذاته باستبعاد كل من لا ينتمي إلى تعريف اثني ضمني: إنها الأمة البيضاء الأنكلوسكسونية البروتستانتية التي شكلت «عرقا» مميزا، وينبغي أن ينصهر في قالبه كل راغب للانتساب للأمة حتى يصبح المنتسب جزء منها. وتعرف الولايات المتحدة ببوتقة إنصهار Melting Pot ويستعمل هذا المصطلح لوصف استيعاب المهاجرين للولايات المتحدة، نسبة للعمل المسرحي الذي ألفه إسرائيل زنجويل[*] Israel Zangwill وعرض في نيويورك سنة 1908 حيث يقول ديفيد أحد شخصيات المسرحية: «أمريكا هي بوتقة الله، بوتقة الانصهار العظيمة حيث تنصهر فيها كل أجناس أوربا ويعاد تشكيلها...إنكم الألمان مع الفرنسيين والأيرلنديون والإنجليز واليهود مع الروس في البوتقة ويخلق الله منكم الأمريكي»[3]. ويقصد بعملية الصهر الأمركة، سيطرة الثقافة الأنجلو أمريكية، فالمجتمع الأمريكي لم يكن ينظر إليه على أساس نتاج قطعة من روسيا وثانية من إيطاليا وأخرى من بولندا جرى تطريزها معا، وإنما نتاج صهر كصهر خام الذهب لتحويله إلى سبيكة ، والأمركة لم تكن تعني

---

[1] مكسيم لوفابر، السياسة الخارجية الأمريكية، ترجمة، حسين حيدر، عويدات للنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 2006، ص ص 97- 120.

[2] المرجع السابق، ص 97.

[*] صهيوني يهودي، هاجر من روسيا، ويعرف بأنه صاحب عبارة: فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض.

[3] رضا هلال، تفكيك أمريكا، ص 25.

تطهير الأقليات العرقية، بل تطهير الأقليات من عرقيتها. وهذا ما يؤكده بنجامين فرانكلين Benjamin Franklin في تقديمه لخصائص الهجرة الناجحة:« لا يهم عادات ودين ولغة الوافد الجديد أو مركزه الاجتماعي، المهم هو قدرته على العمل، فالأمريكي الحقيقي لا يسأل الأجنبي من أنت؟ لكن يسأل ما هو عمله؟ إذا كان لديه حرفة نافعة، وباتالي فهو مرحب به إذا امتهن تلك الحرفة إضافة إلى حسن السلوك مما يجعل منه محل احترام الجميع»[1].

إلى جانب تقديس العمل، يأتي الولاء السياسي فالأمريكي هو الذي يترك كل الأحكام والمعايير السابقة لتبنيه الوطن الجديد، فسعادته بذلك تجعله يملأ قلبه بالامتنان لله ولوطنه بالتبني، مما يجعله نشيطا ومفيدا، هذا هو المواطن الفعلي. فالأمريكي الجديد إنسان جديد New Man نوع جديد من الناس، في وطن جديد يتجدد فيه كل شيء: قوانين جديدة، ونمط جديد للحياة، ونظام جديد للحياة، ونظام اجتماعي جديد[2].

لقد احتاج بناء أمريكا 300 عام من حروب الإبادة ضد الأمريكيين الأصليين الهنود الحمر، حيث كان تدميرهم هو ثمن التطور، ومهما فعل السود والهنود فهم إذن بطبيعة الحال مستبعدون من الأمة، إلا إذا تخلوا عن هنديتهم وعن زنجيتهم. وفي نهاية المطاف وعلى كل المستويات فإن الأمة الأمريكية تقوم على الاستبعاد والعنصرية، رغم أنها تنفي ذلك بقوة. الاستبعاد أولا هو اقتصادي لأن السلطة الحقيقية مصادرة من قبل طبقة المالكين رغم وجود نوع من الحركية الاجتماعية بسبب تعظيم فكرة تشجيع إقامة المشروع التي ظهرت بشكل كبير أثناء الانقضاض على حقول تبر الذهب وعلى أراضي الغرب. ولكن الاستبعاد ليس فقط اقتصاديا، فقد استقرت في العقول رؤية للواقع ثنائية القطب حيث نميز من جهة الجانب الحضاري (المسيحية والأوروبية الغربية) ومن جهة ثانية الهمجية (الهنود ثم السود). أمام الضرورة التي كان عليهم إثباتها من أجل تبرير قيام الأمة بحث الأمريكيون عن طريقة يتمكنون فيها أن يتميزوا عن الشعوب التي تعيش معهم على الأرض نفسها، ولكنهم يختلفون عن الصورة التي أعطاها الأمريكيون لأنفسهم كأوروبين ، فهم حسب ما كانوا يصرحون به على درجة أعلى منهم ومكلفون بمهمة مقدسة[3].

2. رسالة أمريكا: المصير المبين:

في عام 1845 استحضر جون أسوليفان المصير الجلي أو ما يسمى القدر المبين Destinée Manifeste «وكأن العناية الإلهية قد وضعت في الاحتياط قارة كانت تنتظر شعب مسالم تعز عليه الحرية

[1]Denis Lakorne , La Crise de L’identité Américaine ‹du melting pot au multiculturalisme, Gallimard, 2003, p.194.
[2]ibid,.p.195.
[3] ميشال بونيون موردون، أمريكا المستبدة وسياسة السيطرة على العالم(العولمة)، ترجمة حامد فرزات، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق ،2001، ص 28.

وحقوق الإنسان أكثر من أي أمر آخر، وجاء يقيم ديمقراطية لا تعرف الأنانية»[1]، ويفسر الاستثناء الأمريكي بمثالية القيم والمهمة الحضارية الأمريكية التي تتضمن تلقين العالم الحرية والديمقراطية ونشر القيم الحضارية الأمريكية عبر إزالة الدولة القومية وإرادة نشر رسالة أمريكا التاريخية بالقوة واستخدام مفهوم حرية التجارة كمبدأ أخلاقي.

لقد كان الآباء المؤسسون للدولة الأمريكية منذ عام 1783 على يقين تام بحسب رأي الباحث مصطفى الفيلالي، بأن قيام الدولة الناشئة بعد انفصالها عن المملكة المتحدة سيشكل بداية جديدة للتاريخ البشري، وبأن الأمريكيين مكلفون برسالة سماوية[2] ومطالبون بالتبشير بها ونشرها ولو بالقوة في العالم وفق ما يتناسب مع هذه المهمة الإلهية المقدسة. ويستعرض الباحث فنسان الغريب[3] مجموعة من أراء القادة الأمريكيين الذين تعاقبوا على الحكم والذين أداروا السياسات الأمريكية وفق ما يتناسب مع هذه المهمة الحضارية المكلفين بها، و يبدأ بتصريح جورج واشنطن الذي يقول: «أن الله أراد لأمريكا أن تكون الموطن الذي يبلغ الإنسان كمال إنسانيته، وأن تصبح أرضا يتيسر فيها للعلوم والفضيلة والحرية والسعادة والمجد أن تبلغ أوجها.... إن قضيتنا هي قضية البشرية قاطبة». ويقول جون آدم إنه كتب على جمهوريتنا الطاهرة الفاضلة أن تحكم العالم، وأن يبلغ فيها الإنسان درجة الكمال ورأى جيفرسون أن الأمة الأمريكية أمة عالمية تسعى لتحقيق مبادئ تصلح للعالم كله وكان وودرو ولسن بدوره يشعر أنه في قبضة إله مسخر لتحقيق إرادته ؛ وأعلن كارتر أن هذه الرسالة السماوية توجب على أمريكا تلقين العالم الحرية والديمقراطية أما جون كنيدي فقد اعتبر نفسه أول رئيس ينظر إلى شؤون العالم قاطبة من خلال اعتبارها قضايا سياسية واقتصادية داخلية للولايات المتحدة، وبالنسبة لكلينتون «تعتبر الولايات المتحدة الدولة الواجبة الوجود»، ويؤمن بوش الابن أن الحربان التي شنهما على أفغانستان والعراق كلاهما «حرب صليبية» و«حرب عادلة» تهدفان إلى «نشر القيم الإنسانية الأمريكية في العالم».ومن كل هذه الآراء تتضح مركزية نظرة الأمريكي إلى نفسه التي تنبع من المنزلة الكونية التي يضعها لـ «رسالته التبشيرية»[4]. ربما نجد الإجابة عند وزير الخارجية الأمريكي الأسبق "كوينسي آدمز" (1821) والذي أطلق صيحة اعتبرت منارة للسياسة الأمريكية طوال النصف الأول من القرن العشرين.

يقول كوينسي آدمس: «أينما كانت راية الحرية والاستقلال مرفوعة أو سوف تكون، كذلك سيكون هناك قلب أمريكا وبركاتها وصلواتها لكنها لن تذهب إلى الخارج إنها تتمنى الخير والحرية والاستقلال للجميع، إنها نصيرة نفسها المدافعة عن نفسها، فقط سوف تدعم القضية العامة برزانة صوتها وتعاطفها وهي تعرف جيداً أنها حين تنضوي تحت شعارات غير

---

[1] ميشال بونيون موردون، مرجع سبق ذكره، ص 98.

[2] مصطفى الفيلالي، عن فنسان الغريب، مأزق الإمبراطورية الأمريكية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008، ص 56.

[3] نفس المرجع السابق، ص ص 56-57.

[4] مصطفى الفيلالي، عن فنسان الغريب، مرجع سبق ذكره، ص 57.

شعاراتها حتى ولو كانت شعارات الاستقلال عن الأجنبي فسوف تورط نفسها بما يتجاوز قوة الخروج من المأزق في كل حروب المصالح والمكائد والجشع الفردي والحسد والطموح والتي تفترض ألوان معايير الحرية..هل كان كوينسي يستقرئ المستقبل؟».[1]

ما من أمة تمسكت بخرافاتها الاستثنائية في سياساتها وممارستها مثلما تمسكت بها الولايات المتحدة، فأثناء عصر الأنوار، بدت أمريكا للعديد من الأوربيين كملاذ من تاريخ أوربا المشحون، نظرا لأن العالم الجديد كان خاليا، لم يكن الهنود الحمر مرئيين في عيون أوربا، بل أعتبروا جزءا من نباتات القارة وحيواناتها، فقد كانت إلى حد كبير بمثابة لوح أبيض يمكن أن يدون عليه البشر تاريخا جديدا[2].

وإضافة إلى ما تقدم من الآراء يستمر الباحث فنسان الغريب في عرض عينة من الآراء التي قدمها بعض أهم الساسة والمفكرين الأمريكيين الذين رؤوا ضرورة إزالة العائق المتمثل في الدولة القومية التي يعتبرونها من مخلفات الماضي وتحول دون تحقيق الطموح الأمريكي في الهيمنة والسيطرة، ويستشهد فنسان بمقالة لهنتغتون صدرت في مجلة الأمن العالمي، أنه: «يجب على الولايات المتحدة أن تعزز منزلتها الأولية بين دول العالم، وذلك في صالح المجموعة البشرية، قاطبة، إذ هي الدولة الوحيدة التي تقوم هويتها القومية على مجموعة من القيم السياسية والإقتصادية». و هكذا يتضح أن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت وباعتراف أصدقائها وأعدائها قوة يحسب لها ألف حساب، وحاملة لواء التغيير والإصلاح في العالم مرفقة بعقيدة المهمة الرسالية، والتي ترسخت مع الكم الهائل من الإمكانيات التي وفرتها لها الطبيعة والتطور العلمي والتجانس الشعبي الذي منح لها بعدا حضاريا وعالميا، وبقي النقاش الذي يثار أحيانا عن حقيقة الأحادية القطبية التي فرضتها مرحلة ما بعد تفكك الاتحاد السوفييتي، وعن قدرة تحمل الولايات المتحدة تبعات ذلك؟

المطلب الثالث: أشكال القوة و الضعف في القدرات الأمريكية[3]

أولا: القوة العسكرية التي تعتبر العامل الأول للهيمنة الأمريكية. فالميزانية العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية التي كانت قد بلغت 06% من اجمالي ناتجها القومي في اواسط ثمانينيات القرن الماضي، تراجعت إلى 03% أثناء التغيرات الدولية التي صاحبت الصراع الثنائي القطب ما أصطلح على تسميته نهاية الحرب الباردة . وبسبب الفوائض في الميزانية في سنوات رئاسة كلينتون والسياسة المعتمدة من طرف بوش الابن ردا على اعتداءات 11 سبتمبر 2001 ، ارتفعت الميزانية العسكرية الأمريكية من 300 مليار دولار في عام 2000 إلى 400 مليار دولار عام 2004 ، فالولايات المتحدة تمثل وحدها نصف النفقات العسكرية العالمية وأكثر من

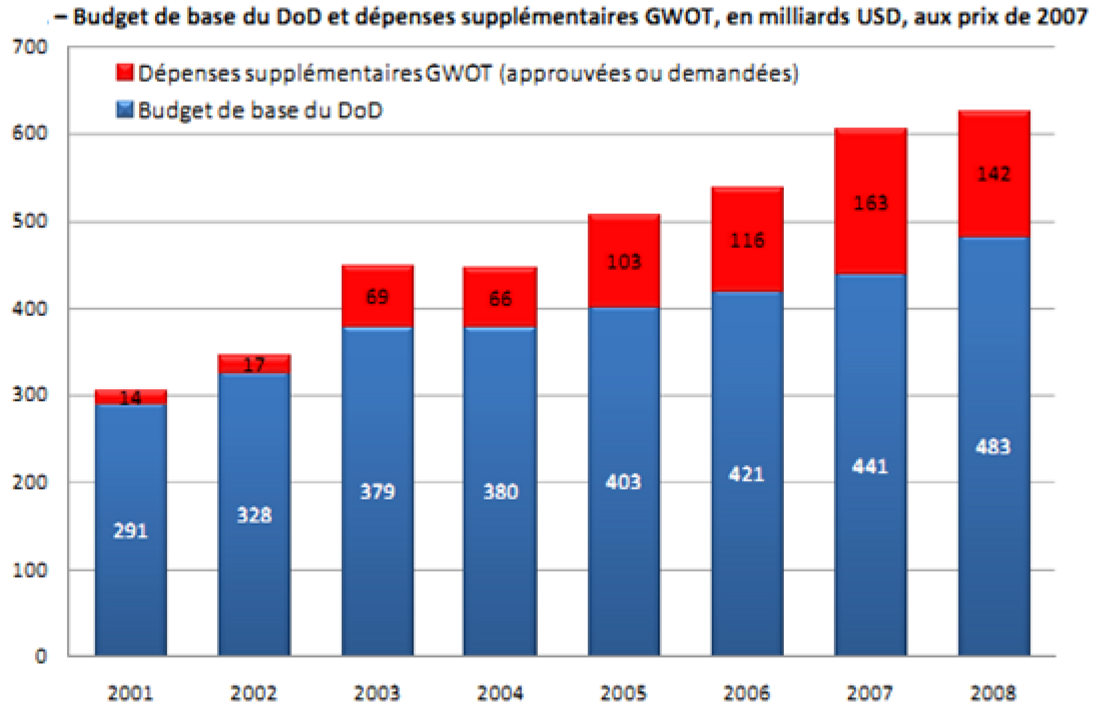
---

[1] إميل أم ، Œاية السلاȳ الأمريكيȖ http://www.alkhaleej.ae

[2] بنǅام ر.باربر، إم الƬورية اƪوف، ا ƞرā على الإرهاā والد ƹقراƯية، دار الكتاā العر ، بǦوت، 2005، ƍ 54.

[3] مكسيم لوفابر، السياسة اƪارǆية الأمريكية، ترƤة:ǅس ǅيدر، عويدات للنشر والطباعة،الطبعة الأو ، بǦوت، 2006، ƍ ƍ 121-145.

الثلثين من النفقات العسكرية لحلف الأطلسي، وبالتالي بعد تراجع روسيا في سوق الأسلحة، أخذت الصناعات العسكرية الأمريكية موقع الهيمنة في العالم. وفيما يلي بيانات عن ميزانية وزارة الدفاع الأمريكية والنفقات الإضافية للحرب العالمية على الإرهاب بمليارات الدولارات سعر 2007.



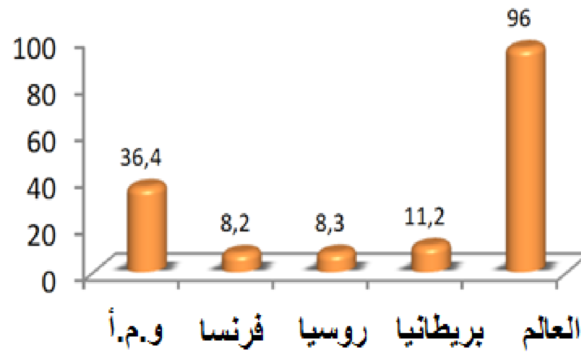
المصدر:

Luc Mampaey, Les dépenses militaires des États-Unis, 26 Juin2007, http://www.grip.org/bdg/pdf/g0992.pdf

الزّيــادة في صناعــات الدّفــاع

بيع الأسلحة لسنة 2008

بمليارات الدولارات



المصدر: les etats-unis en chiffres السفارة الفرنسية بواشنطن 2009

تتمتع الولايات المتحدة الأمريكية بشبكة من القواعد العسكرية ومن قدرة رمي يسمح لها من خوض في وقت واحد أكثر من حرب في أي مكان من الكرة الأرضية، حيث تكون مصالحها الإستراتيجية مهددة. بعد تراجع الخطر الشيوعي، تسارع تكيف الجهاز العسكري الأمريكي، وصار بإمكان الولايات المتحدة أن تدفع بمليوني رجل، في حين لا يستطيع حلفاؤها في الناتو تقديم أكثر من 150 ألفا، وتتوزع القوات الأمريكية على خمس قيادات جغرافية كبيرة، أروبا، المحيط الهادي، القيادة المركزية بالخليج، القيادة الجنوبية بأمريكا اللاتينية، ونظرا للعلاقة المثيرة للولايات المتحدة والحرب، والتطور التقني الذي ميز الأسلحة والتي أصبحت بها الحروب توصف بالذكاء والدقة، ظهرت في أدبيات البنتاغون فكرة الثورة في الشؤون العسكرية أو ما يسمى بالتغيير الانقلابي[1].

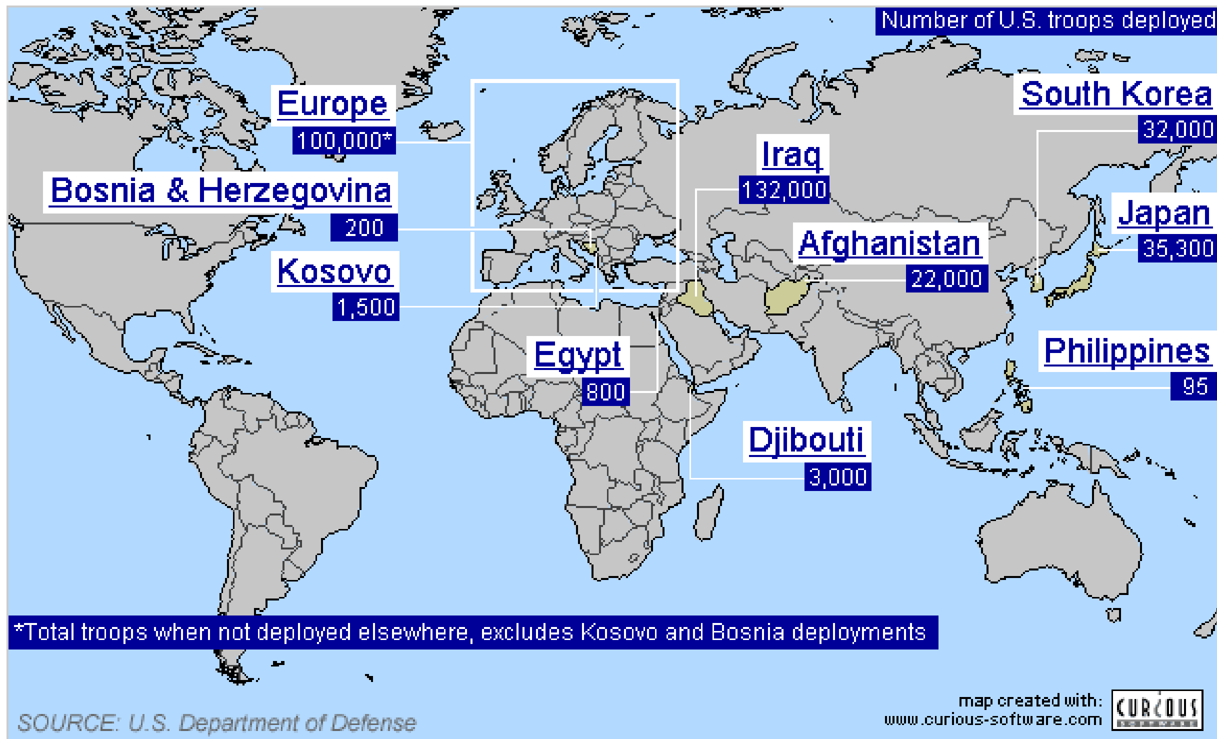
وتأتي هذه الثورة في الشؤون العسكرية لتجسيد التقدم العلمي والكفاءة العالية لوسائل الاتصال والكشف، ويهدف التغيير الانقلابي إلى الحد من الخسائر في وسط الجنود الأمريكيين، خاصة عندما لا تكون مصالحهم معنية بشكل مباشر.

ثانيا: القوة الاقتصادية والتي تتباهى بها الولايات المتحدة إبتداءا من 1896 تاريخ تربعها على عرش الاقتصاد العالمي، حيث تمثل ما يقارب 25% من إجمالي الناتج العالمي، لكن هذه النسبة مرشحة بالانخفاض بسبب صعود قوى اقتصادية جديدة، فمع انتهاء الحرب العالمية الثانية كانت الولايات المتحدة في أوج قوتها مع نسبة 50% من إجمالي الناتج العالمي، وتدريجيا لحقت بها كل من أوربا واليابان. ولا يخفى على أهل الاختصاص بأن للولايات المتحدة دور مباشر في في إنعاش الاقتصادين الأوربي والياباني. وتسجل الان كل من الهند والصين تطورا أسرع، وإذا ما صدقت التوقعات فإن الناتج الوطني للصين سيتجاوز الناتج الوطني لأمريكا بين سنة 2020 إلى 2040.

يمثل العجز التجاري للولايات المتحدة هما حقيقيا، فبعد أن كان الميزان التجاري الأمريكي فائضا ما بين عامي 1896 و 1971 ، اصبح اليوم في حالة عجز دائم وبلغ هذا العجز 05% من إجمالي الناتج الوطني لعام 2004. وتواصل أمريكا السيطرة على المؤسسات المالية الدولية (صندوق النقد الدولي والبنك الدولي) التي كانت هي في أصل إنشائها، ونيويورك هي العاصمة المالية الدولية. لقد تجنبت أمريكا مختلف الأزمات المالية التي مرت بها، لكن وبالرغم من تحسن وضع ماليتها العامة في نهاية إدارة كلينتون، لكن سرعان ما تدهورت من جديد، وقد يكون ذلك بسبب تزايد النفقات العسكرية، التي استوجبتها حروب بوش الابن[2].

[1] مكسيم لوفابر، مرDZع سبق ذكره، ٱ 127.

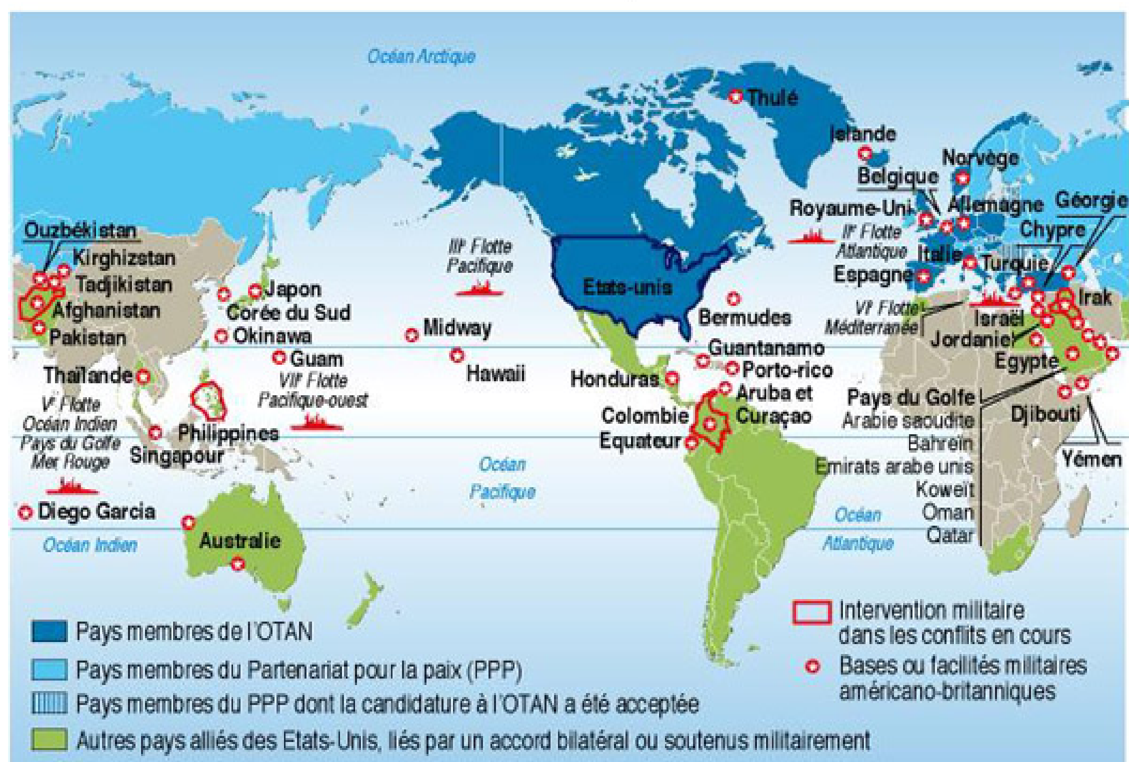
[2] ا رDZع السابق، ٱ 135.



توزيع القوات العسكرية الأمريكية في العالم

المصدر http://www.alsaha.com/sahat/4/topics/300870

Les Etats-Unis partout



وبشان الدولار الذي تحصلت من خلاله الولايات المتحدة الامتياز المالي كنقد مرجع للاقتصاد العالمي ويتولى البنك الاحتياطي الفدرالي توجيه السياسة النقدية، ويمكن للسلطات الأمريكية استخدام النقد كسلاح اقتصادي، ويستخدم الدولار بنسبة 40% من التدفق التجاري العالمي مقابل 10% إلى 15% لليورو ؛ كما يمثل الدولار ما يقرب من ثلثي احتياط العملات الصعبة في البنوك المركزية مقابل أقل من 20% لليورو، ويجري تداول ثلثي الدولارات مقابل 08% لليورو. لذا يقول جيرار مواتي: «قوة الورقة الخضراء، هي كذلك الوزن السياسي والحيوية الاقتصادية للولايات المتحدة»[1] .

ثالثا: الثقافة جزء من قوة التأثير إنها قدرة بلد على الاستمالة والانارة بنموذجه وقيمه ونمط حياته. هذه الثقافة هي أول ألمر النموذج الليبرالي الذي أغرى الكثير من المفكرين وجعلهم ينقلون تجربتهم في دراسات ومؤلفات لتزال محل اهتمام واسع، مثل توكفيل في القرن التاسع عشر، وفيبر في القرن العشرين، فالولايات المتحدة بالنسبة للكثيرين بلد الديمقراطية والحرية، ويعتبر كل شيء فيها ممكن (تجسيد فكرة الحلم الأمريكي)..

كما تتألق الولايات المتحدة بنمط الحياة فيها، فأنماط الثياب والذوق والموسيقى تحمل العلامة الأمريكية بامتياز، فالجينز والهامبرغر والماكدونالد والديزني لاند هي السماء الذائعة الصيت. والأفلام السينمائية الأمريكية، التي استطاعت أن تصنع أبطالا ووحوشا، وأن تروي قصصا وروايات أصبحت جزء من تاريخ البشرية، بل كادت تختلط بالحقيقة. وتسيطر أمريكا على سوق الموسيقى بنحو 50%، وبنحو اقل على سوق الكتاب، وأخذ المثقفون دور الإشعاع العلمي والسيطرة على المناقشات العالمية (هنتغتون وشومسكي و فوكوياما وستيغليتز...إلخ).

مما تقدم يمكن القول أن العالم الجديد حسب التسمية الأولى لأمريكا، استطاع أن يجلب الجديد إلى البشرية، من خلال القيم التي تبنتها النخبة الحاكمة والشعب، ومن خلال التعبير عن إرادة البقاء والمحافظة على المصلحة القومية للدولة الفدرالية، والتي أراد مؤسسوها أن تكون مصدر إشعاع لكل العالم، لذلك باتت التجربة الأمريكية تنعت بالاستثنائية والتميز عن باقي القوميات، حتى التي كانت مصدرا للهجرات المتعاقبة للولايات المتحدة. فاستيعاب المهاجرين الجدد للأرض الجديدة وإيمانهم بالحلم الأمريكي جعلهم ينصهرون تماما في دولة تطورت قوانينها حسب متطلبات مواطنيها وتطورهم عبر الزمن. وهذا ما يجرني للتدقيق في الشخصية الأمريكية من خلال النظر في المعتقدات الدينية التي تجلب المجتمع الأمريكي وكذا الفلسفة السياسية التي ينبعث منها الفكر الأمريكي.

[1] كان هذا في جريدة لوموند، 09 ديسمبر 2003.

المبحث الثاني: المعتقدات الدينية وأثرها في المجتمع الأمريكي

يأتي اهتمامي بتوضيح علاقة المجتمع الأمريكي بالدين المسيحي من خلال عودة المعتقدات الدينية في مختلف الخطابات السياسية للإدارة الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 والتي كانت بمثابة الإعلان عن ميلاد العدو الجديد للولايات المتحدة الأمريكية في قرنها الجديد عدو تغير لونه من الأحمر الشيوعي، إلى الأخضر المتمثل في الإرهاب الإسلامي المؤدلج إلى إسلاموي، ورغم خطورة ما حدث في الثلاثاء المشئوم على البشرية، لما أنتجته ردود الأفعال المختلفة عبر العالم، والسياسات الجديدة التي تعهد الرئيس الأمريكي جورج والكر بوش من انتهاجها ضد أولئك الذين لا يتفقون معه في حربه ضد الإرهاب، ويعتبر وبكل حزم وإصرار بأن من ليس مع الولايات المتحدة الأمريكية فهو ضدها. ولعل هذا ما جعل الدول الأكثر ارتباطا بالولايات المتحدة بالمضي في نفس المنحى داخل الحلف الأطلسي في الحرب الدائرة في أفغانستان، وبصفة الأحادية التي تعاملت بها في احتلالها للعراق، دون اللجوء للأمم المتحدة التي أظهرت عجزها الكبير في منع نشوب النزاع المسلح للمرة الرابعة في الخليج.

وبين الحرب على الإرهاب والحرب من أجل النفط، يبقى دور الولايات المتحدة الأمريكية الذي كلفت نفسها به عن طريق تبنيها لإستراتجية الحرب الوقائية والذكية، والتي تعمد من خلالها إلى توسيع نطاق تواجدها العسكري على الساحة الدولية، دون مراعاة الخصوصية التي تميز كل منطقة، بل أن الخصوصية الوحيدة التي تؤمن بها هي المصلحة القومية التي يجب حمايتها من أي خطر يمكن أن يتهددها. ولعل أول تهديد يخيف الولايات المتحدة الأمريكية هو عدم وجود التهديد، لكون غياب التهديد وعدم الإحساس بالخطر يؤدي إلى الخمول ونقص التأهب وبالتالي الضعف والانكماش الداخلي، وغياب الحجة والشرعية عن محاولات فرض السيطرة على الغير. وكون قرار الحرب الذي اتخذته إدارة بوش الابن- الرئيس الذي اختاره الله وانتخبه الشعب الأمريكي مرتين[1]- بعد أن تلقت الهيبة الأمريكية ضربة جعلت خصوصيات الأمريكيين تطفو إلى السطح، كشعب متدين وملتزم ومحافظ، إلى جانب الإحساس بالخطر الذي يهدد الأمة الأمريكية الحاملة لرسالة كونية والمتمثلة في تحقيق السلم والحرية والديمقراطية في العالم. ولأن الدين المسيحي البروتستانتي بالخصوص يقوم على لاهوت واضح لتغيير الفرد والمجتمع، وينطلق هذا الفكر من تعاليم الكتاب المقدس في شقيه العهد القديم والعهد الجديد، وللنظر في هذه المقاربة الدينية سأركز في مفهوم الدين وأهميته لدى الشعب الأمريكي وبالتالي تأثيره في السياسة والسياسيين داخل دواليب اتخاذ القرار في الولايات المتحدة الأمريكية.

---

[1] عادل ا علم، مقدمة الأصولية ا سيحية أمريكا والرئيس الذي استدعاه ا ! وانتخبه الشعب الأمريكي مرت ، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الثالثة، القاهرة،2005، 181 آ .

المطلب الأول: مفهوم الدين

لم يكن الدين الأول نشأة متعالية على الطبيعة بل ممجدة، أما تطوراته اللاحقة فطفرة مثالية تعالت على قيم الأرض وراحت تحلق في الفضاء مصورة عالما آخر في تدرج نحو السماء[1]. فالدين والتدين فطرة[*] في الإنسان وطبيعة فيه، وسلوك لا يستطيع التخلي عنه أو العيش بدونه، فهو ضرورة حتمية، وعلاج نفسي ووقاية صحية لا تغني عنها أي ضوابط أخلاقية أو قانونية[2]. وتكاد تصل النزعة الدينية إلى مستوى النزعة الغريزية لدى البشر حتى ولو لم تخلق معه خلقا؛ يكتسبها الإنسان من خلال علاقته بمصيره في مرحلة ما بعد الموت. وبسبب استمرارية تلك النزعة فقد شكلت مدارا أساسيا، ومحورا رئيسيا، استفادت منه النخب الحاكمة في كل العصور، وقامت بتوظيفه توظيفا ذكيا مستغلة خوف البشر من مصيرهم في الآخرة، و بهذا اكتسبت الظاهرة الدينية مضامينها السياسية. وأصبح الدين مطية للسياسة، تلك السياسة التي استغلت الماورائيات والغيبيات من أجل تحقيق مصلحة الحكام[3]. ولم يخل مجتمع من دين وشريعة حتى لو كان ذلك فلسفة أو رأيا لحاكم، أو عقيدة فاسدة، لأن الإنسان بطبيعته مولود على الطاعة والخضوع لمن يدين له[4].

يرى مسعد عربيد في دراسة نشرها في الموقع الإلكترون كنعان[5] -Kana'an – The e-Bulletin أن الدين، أي دين، من حيث الجوهر وفي أبسط تفسيراته، يرتكز على المفاهيم التالية:

- تعبير الفرد عن إحساسه أو تعلقه واعتماده على قوة خارج نفسه.
- أن الحياة والسعادة ليستا على الأرض، بل في عالم آخر، الحياة الآخرة.
- افتراض أن القوة مهما تنوعت مسمياتها (الله، الرب، يهودا، الخالق...إلخ) والتي تصبح موضع التعبد هي في رمز التفوق و الامتيازات في المجتمعات البشرية.

---

[1] . أƥد ƣسـ عنان ، ƿدلية الفكر، ƭ 31، نسخة إلكترونية Ʈملة www.4shared.com

[*] . هناƧ الكƦƺ ƹان يفندون أي دين وƹان يصفون أنفسهم بلفƸ الإنساني أو ا اركسي أو ا لحدين. ووƿود هƦلاƔ يشƺ إ أن الدين ليس شيƠا داƻليا أو فطريا الإنسان، ƣيث لا يوƿد ƿ Ʈدد للدين ومن Ż يعت هƦلاƔ أن الدين اƻتيار شخصي واƿتماعي. أنƮر مالوري ناي، الدين

الأسس، ترƤة هند عبد الستار، الشبكة العربية لƘ ا ƙ والنشر، ƭ 33.

[2] علي عبد العƮيم، الدين عند ا! الإسلاƿ، سلسلة البحوƙ الإسلامية، الكتاƣ الثامن، السنة الثانية عشر،1981، ƭ 03، نسخة كتاƣ Ʈملة من ا وقع الإلكتروƱ **http://www.al-maktabeh.com** .

[3] ƣسن ƻليل غريب ، ƫافت الأصوليات الإم الƦورية شروƣ العصر القومي العر ، دار الطليعة، بƺوت، 2009، ƭ 68.

[4] أسعد السمحراƱ، ترƤان الأديان، دار النفائس، بƺوت، 2009، ƭ 11.

[5] مسعد عربيد ، التوƸيف السياسي للدين :الولايات ا تحدة الأمريكية ƽوذƿا،ƔƂƨ الأول، كنعان النشرة الإليكترونية، السنة السابعة، العدد1197، يونيو 2007. http://www.kanaanonline.org/articles/01197.pdf .

ويشير مسعد عربيد: أن دلالات الدين لا تقتصر على مفهوم أو شأن أو مستوى واحد، وعليه لا يتسنى النظر إليه من منظور واحد فقط. فالملاحظ أن في الدين أبعادا ومستويات متعددة:

- فالدين على مستوى الفرد عقيدة إيمان وعلاقة بين المؤمن وربه.
- و في مستوى آخر فإن الدين تدين شعبي يتمثل في تقاليد وشعائر وطقوس.
- كما أن الدين، كما هو في الإسلام، مجموعة من النظم والتشريعات التي تحكم شؤون الحياة الدنيا وتضبط النواحي الحياتية للفرد والأسرة والمجتمع.
- ثم هناك دور الدين في المجتمع والسياسة ومن هنا يأتي التوظيف السياسي للدين وتسخير الطبقات الحاكمة له، لخدمة أهدافها ومصالحها. وكثيرا ما يستدعي ذلك مأسسة institutionalization- أي نشوء وتطور المؤسسة الدينية من أجل رعاية العقيدة الدينية -الدين ضمن إيديولوجية معينة تزعم امتلاك الحقيقة ومحاولة فرضها على الآخرين وهكذا يستخدم الدين (والمؤسسة الدينية) كواحدة من آليات جهاز القمع الإيديولوجي للدولة/السلطة[1].

وعليه، ينبغي التمييز بين الدين كعقيدة ومفاهيم ومبادئ يعتنقها ويمارسها الفرد في حياته الخاصة وفضائه الروحي، من ناحية، والسلوك أو الممارسة الدينية كمؤسسة وجماعة وطائفة تأخذ شكل التنظيم الاجتماعي وتحدد بالعادة هويتها وولائها للمؤسسة الدينية وللسلطة السياسية. و من باب التوضيح، تذكر المسيحية على وجه الخصوص، ويعود هذا إلى أنها الدين السائد في النموذج الأمريكي، الذي هو موضع التحليل. ولمعرفة أهمية الفكر الديني في حياة المجتمعات، وجب النظر في مفهوم الدين، و دوره في تكوين الفرد و الجماعة، وتأثير الدين في الأنظمة السياسية ومخرجاتها، وكيف يمكن أن يكون عاملا من عوامل التماسك والتقارب والسلم، أو عاملا للتفرقة والصراع والحرب، ومن هذا ما عرف عن الحروب الدينية المختلفة بين أفراد الدين الواحد، أو بين أتباع الأديان، كل حسب دينه وقناعاته. ولأن الهدف من بحثي هو محاولة لفهم دور الأفكار في السياسة الدولية للولايات المتحدة الأمريكية، بعد أحداث 11 من سبتمبر 2001، فالأفكار الدينية من أهم محركات السياسة، خاصة مع نهاية القرن العشرين، وبداية القرن الواحد والعشرون والذي كما يبدو يشهد حراكا على المستوى الحضاري، والديني، خاصة بعدما أصبح يعرف بصدام الحضارات، و نهاية التاريخ وفيما بعد حوار الأديان.

يختلف معنى الدين باختلاف العقول، فهو عند البدائيين غيره عند المثقفين، وعند الوثنيين غيره عند الموحدين، ومعناه عند علماء النفس غيره عند الفلاسفة وعلماء الاجتماع وعلماء الطبيعة والكيمياء والأحياء، وإن كان من الممكن أن يلتقي هؤلاء جميعا عند مفاهيم متقاربة أن لم يكن مفهوما واحدا[2].

[1] . مسعد عربيد، التوȘيف السياسي للدين،مرǻع سبق ذكره.

[2] عبد العȚيم علي، إن الدين عند ا! الإسلاȳ، سلسلة البحوǫ الإسلامية، الكتاǡ الثامن، السنة الثانية عشرة، سنة 1981ȳ، ǃ 11.

1. المعنى اللغوي: إن معنى الدين لغويا عند العرب هو: العادة أو السيرة أو الحساب أو القهر أو الحكم أو السلطان أو الطاعة أو الجزاء أو السياسة أو الرأي[1].

والدين من الفعل دان، يقال دان دينا وديانة، أي خضع وذل وأطاع، وهو اسم لكل ما يتدين به الإنسان. وإن كان الدين اسم لجميع ما يعبد به الخالق العظيم، فإن من معانيه أيضا : الملة والعادة و الشأن[2]. ويوم الدين هو يوم الجزاء والحساب[3].

تتعدد المعاني اللغوية ولهذا يرى محمد عبد الله دراز« أن المعاجم العربية لا تعطي مفهوما حاسما في هذا الأمر وأمثاله »[4]. واختار بذلك اختصار مجمل المعاني إلى معان ثلاث تكون متلازمة والتفاوت اليسير بين هذه المعاني الثلاثة مرده في الحقيقة إلى أن الكلمة التي يراد شرحها ليست كلمة واحدة، بل ثلاث كلمات، أو بعبارة أدق: أنها تتضمن ثلاثة أفعال بالتناوب.

بيانه: أن كلمة الدين تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه: دانه يدينه ، وتارة من فعل متعد باللام: (دان له)، وتارة من فعل متعد بالباء: دان به، وباختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية التي تعطيها الصيغة.

1. وقضى في شأنه، وجازاه، وكافأه. فالدين في هذا الاستعمال يدور على معنى الملك والتصرف بما هو من شأن الملوك؛ من السياسة والتدبير، والحكم والقهر، والمحاسبة والمجازاة. ومن ذلك: مالك فإذا قيل: دانه دينا يعنى بذلك أنه ملكه، وحكمه، وساسه، ودبره، وقهره، وحاسبه، يوم الدين، أي يوم المحاسبة والجزاء. وفي الحديث: "الكيس من دان نفسه"، أي حكمها وضبطها. و الديان الحكم القاضي.

2. وإذا قيل: دان له أي أطاعه، وخضع له. فالدين هنا هو الخضوع والطاعة، والعبادة والورع. وكلمة: الدين لله يصح أن منها كلا المعنيين: الحكم لله، أو الخضوع لله.

وواضح أن هذا المعنى الثاني ملازم للأول ومطاوع له. دانه فدان له أي قهره على الطاعة فخضع وأطاع.

3. وإذا قيل: دان بالشيء كان معناه أنه اتخذه دينا ومذهبا، أي اعتقده أو اعتاده أو تخلق به. فالدين على هذا هو المذهب والطريقة التي يسير عليها المرء نظريا أو عمليا. فالمذهب العملي لكل امرئ هو عادته وسيرته؛ كما يقال: هذا ديني وديدني. والمذهب النظري عنده هو عقيدته ورأيه الذي يعتنقه. ومن ذلك قولهم: دينت الرجل أي وكلته إلى دينه، ولم أعترض عليه فيما يراه سائغا في

---

[1] نفس المرجع السابق ص 11.

[2] عدد من المؤلفين، موسوعة الأديان الميسرة، دار النفائس، الطبعة الرابعة، بيروت، 2007م، ص 254.

[3] وهذا ما تؤكده الآية الرابعة من سورة الفاتحة، بقوله سبحانه وتعالى {مالك يوم الدين}.

[4] محمد عبد الله دراز، الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، مطبعة المصرية، بيروت، 1952، ص 27.

اعتقاده. ولا يخفى أن هذا الاستعمال الثالث تابع أيضا للاستعمالين قبله، لأن العادة أو العقيدة التي يدان بها، لها من السلطان على صاحبها ما يجعله ينقاد لها، ويلتزم إتباعها.

ويضيف عبدالله دراز أن: « جملة القول في هذه المعاني: اللغوية أن كلمة الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له. فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعا وانقيادا، وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمرا وسلطانا، وحكما وإلزاما، وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة، أو المظهر الذي يعبر عنها»[1].

وبالتالي: إن المادة كلها تدور على معنى لزوم الانقياد، ففي الاستعمال الأول، الدين هو: إلزام الانقياد، وفي الاستعمال الثاني، هو: التزام الانقياد، وفي الاستعمال الثالث، هو المبدأ الذي يلتزم الانقياد له[*]. والذي يفيد الموضوع من كل هذه الاستعمالات هو الاستعمالان الأخيران، وعلى الأخص الاستعمال الثالث. فكلمة الدين التي تستعمل في تاريخ الأديان لها معنيان لا غير. أحدهما هذه الحالة النفسية état subjectif التي نسميها التدين religiosité. والآخر تلك الحقيقة الخارجية fait odjectif التي يمكن الرجوع إليها في العادات الخارجية، أو الآثار الخارجية، أو الروايات المأثورة، ومعناها:

جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم، اعتقادا أو عملا. Doctrine religieuse وهذا المعنى أكثر وأغلب[2]. وفي الإنجليزية والفرنسية والألمانية ، اشتقاق كلمة الدين Religion - كما يقول لالاند – موضع جدل. فيستخرج معظم القدماء (لاكتانس وأوغسطين وسرفيوس) الدين Religio من Religare، ويرون فيه فكرة الربط: سواء الربط الواجب تجاه بعض الممارسات، أو الرباط الجامع بين الناس، أو بين البشر و الآلهة. ويشتق سيشرون الكلمة من **Relire** بمعنى تجديد الرؤية بدقة، في حين أن كلمة **Religio** ، تعني باللاتينية الإحساس المصحوب بخوف وتأنيب ضمير، بواجب ما تجاه الآلهة. ولم يكن لدى القدامى سوى كلمة **Religions** أي ديانات[3].

2. المعنى الاصطلاحي للدين:

[1] دراǃ، Ʈمد عبد ا!، الدين، مرǅع سبق ذكره، ǎ 33.

[*] يشƘ Ʈمد عبد ا! دراǃ إ أن: « هذه التحليلات الاشتقاقية كلها إǯا تكشف لنا عن ǅذر ا ǲ وأصله اللƸة، ولا تصور لنا ǥقيقته واضحة وافية، كما هي عرف الناس و اصطلاǥهم بل لا تǄال ا سافة منفرǅة ب ا ǲ اللƸوي، و ا ǲ العر . ذلك ليس أنه ليس كل ǹضوع و انقياد يسمى عرفا العرف تدينا، فخضوع ا Ƹلوǡ للƸالب، و Ǖاعة الولد لوالده، و تعǜيم ا رǗوس لرئيسه، كل أولǞك قد يكون من معدن ǹǚر غƘ معدن الدين، كما أنه ليس كل رأي ومذهب ولا كل سƘة و ǹلق يسمى دينا».

[2] ا رǅع السابق، ǎ 32

[3] اǩشت Ʈمد عثمان، مدǹل إ فلسفة الأديان، دار قباǒ للنشر والتوǃيع، القاهرة، 2001، ǎ ǎ 13-14.

يتساءل مالوري ناي[1] Malory nye عن كيفية وأسباب وتدين البشر بأساليب متنوعة؟ وما المقصود عند الكلام عن الدين؟ ويرى ناي أنه يمكن التفكير في مفهوم الدين من عدة اتجاهات، أي بوصف الدين على أنه اسما أو باعتباره صفة أم حالا أم فعلا.

الدين باعتباره اسما يعبر إما عن مجموعة من التعاليم الدينية أو عن شيء عالمي، يظهر أثره في كل البشر بغض النظر عن الدين الذي يعتنقونه والتعاليم التي يتبعونها. أما الدين باعتباره صفة أو حالا فإنه يعد وسيلة لوصف أشياء أو أنشطة أو سلوكيات بعينها (كتب دينية أو مؤسسات دينية أو أفعال دينية). وبالنظر إلى المفهوم باعتباره شيئا مؤثرا في البشر. ويصعب إيجاد تعريف شامل وعام لماهية الدين، تشمل كل الأديان، والسبب في ذلك حسب عبد الرزاق محمود – في كتابه المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب- « أن لكل دين نواحي خاصة به، سواء في الشعور أو الاعتقاد، أو العبادة. وعلى هذا فليس من السهل وضع حدود لمعنى الدين »[2]. ونظرا لهذه الصعوبة التي يتفق عليها أغلب الباحثين والذين اعتمدوا في الأخير على الاستنتاج الذي وصل إليه محمد دراز من أن « المعنى الاصطلاحي للدين على أهميته يكشف عن اختلاف كبير بشأنه بين الإسلاميين والغربيين»، بعد أن تساءل عن الخصائص والعناصر الجوهرية التي تميز العقيدة أما الإسلاميون فقد اشتهر عندهم تعريف الدين بأنه: « وضع إلهي يرشد في الحق إلى الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات»[3]. لكن هذا التعريف للدين قاصر على الدين المنزل، فكلمة وضع إلهي، لا تسمي الأديان الطبيعية والوضعية، فهي من وجهة نظر الإسلاميين باطلة كلها، لأنها أديان قام الإنسان بوضعها بنفسه، عن طريق عوامل إنسانية كالوثنية والبوذية[4]. وعند الإسلاميين، الدين والإسلام والملة والشريعة والمذهب، كلمات مترادفة وهي: دين الإسلام، وملة الإسلام وشريعة الإسلام ومذهب الإسلام. مع أن الدين أعم من كل ذلك فهو أعم من الإسلام، إذ أن الإسلام دين وليس كل دين إسلاما[5]. وهو أعم من الملة والشريعة، لأنهما اسم لما عدا العقائد من العبادات

[1] مالوري ناي ، الدين الأسس، ترجمة، عبدالستار، هند،الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى ، بيروت، 2009، ص ص 22-23.

[2] محمد عثمان الخشت ، مدخل إلى فلسفة الأديان، مرجع سبق ذكره، ص 14.

[3] أحمد عبد الرحيم السايح، ، وآخرون مقارنة الأديان، الدين- نشاته- الحاجة إليه، دار الثقافة، الدوحة، ص 24.

[4] المرجع السابق، ص 26.

[5] الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، سلسلة دروس العقيدة، عرض عقدي وتاريخي ميسر، دار الصميمي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ،الرياض، 1992، ص 10.

الدين			
اسم محدد	اسم عام	صفة أو حال	فعل
دين أو أديان	ديانة	ديني	يتدين
يشير الاسم إلى مجموعة من التعاليم الدينية مثل المسيحية والإسلام والهندوسية.	الوجه العالمي لثقافة الإنسان.	تستخدم الصفة بالمعنى العام من أجل وصف نوع شيء ما أو سلوك ما أو خبرة.	ليس شيئا بل فعل يدل على عملية أداء شيء ما.

استخدامات مصطلح الدين

مالوري ناي، الدين الأسس، ترجمة هند عبد الستار، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ص 22-23

العبادات والمعاملات، والدين أعم من المذهب لأن المذهب اسم لجملة من أراء اجتهادية*.

والفرق بين الدين والملة والمذهب: أن الدين منسوب إلى الله والملة منسوبة إلى الرسول. والمذهب منسوب إلى المجتهد[1].

أما الغربيون فلهم في الدين تعبيرات شتى، فقد اختلفت آراؤهم فيه، وإن كانت تدور حول صلات الإنسان بقوة عظمى يخشاها ويرجوها، ويمكن ذكر بعض التعريفات التي توضح النظرة الغربية الجامعة للدين، في كتاب القوانين يضع سيشرون تعريفا للدين : « الدين هو الرباط الذي يصل الإنسان بالله». ويقول كانت Kant في كتابه الدين في حدود العقل: « الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية »[2].

ويذهب كارل ماركس بعيدا في مفهومه للحاجة للدين:« إن الحاجة الدينية هي في نفس الوقت تعبير عن الحاجة الحقيقية وهي في الوقت ذاته احتجاج ضد هذه الحاجة، فالدين هو زفرة المظلوم، وهو بمثابة القلب في عالم بلا قلب، والروح في أوضاع خلت من الروح. إنه أفيون الشعب »[3]. فماركس يعتبر الدين نتاج بشري ناجم عن الحاجة التي فرضتها ظروف القهر و الاضطهاد؛ هذا ما يجعل الإنسان يلجأ إلى تخيل عالم غيبي أين يعيش كائن تتوفر فيه كل شروط الكمال وحيث يتحصل فيه البشر على كل ما يحتاجونه. ويسمح هذا الاعتقاد بتقبل كل متاعب ومصائب الحياة، وبالتالي تأتي دراسة ديانة شعب ما لتشخيص الأعراض التي تنجم عن المرض الاجتماعي الذي يعاني منه هذا الشعب[4].

وفي السياق نفسه يحاول مالوري ناي أن يبرز العلاقة التي تربط الدين بالسلطة عبر عرضه لأفكار مجموعة من الفلاسفة[5]: ماركسMarx وغرامشيAntonio Gramsci وألتوسير Louis Althusser وفيبر Max Weber وفوكو Michel Foucault، ويخلص إلى أن هناك وسائل كثيرة يتفاعل بها الدين مع السياسة في علاقات فرض السلطة وتوصف في الغالب من خلال مفهوم الإيديولوجيا. فبالنسبة لماركس الدين هو الذي يضفي صفة الشرعية للعلاقات

---

* الدين أـل من المذهب وأوسع مفهوما لأن الدين يشتمل على اعتقاد الإنسان ـول الـالق و المخلوقات و أمور الغيب والـرة، أما المذهب فيكون بعـ هذه الأمور، أو مسائل منها، و قد يكون أمور الـياة فقـ. أنـر الـو الأديان والمذاهب المعاصرة.

[1] ـمد عثمان الـشت ، مدـل إ فلسفة الأديان، مرـع سبق ذكره، ـ 15.

[2] المرـع السابق، ـ 20.

[3]Acton, H.B, Ce Que Marx a Vraiment Dit, Traduit De L'anglais par Anne Laurens, Marabout Université, Belgique,1973, p. 38.

[4]. نفس المرـع السابق، ـ ـ. 40-41، تأـ نـرة ماركس للدين متوافقة مع نـرة فيورباـ، الذي يعتـ الدين وهم يلـأ إليه الفقراء والـرومون لتقبل أوضاعهم المعيشية المـرية. ويتفق ماركس مع فيورباـ ضرورة التخلـ من هذا الوهم من ـلال العمل على تـيـ الـروف القاسية، والشفاء من المعتقدات الدينية كما يشفى مدمن المخدرات. وتأـ نـرة ماركس ـاولة لوضع مكانيـمات للثورة الاـتماعية على المسيحية والتدين وـذا استخلـ ماركس وإـلـ بأن الاشتراكية واللاتدين لا ـكن أن يفترقا.

[5]. مالوري ناي، مرـع سبق ذكره، ـ ـ 89-125.

الاقتصادية غير المتكافئة، من خلال تسهيل عمليات الاستغلال لأن الدين يقوم بالدور الحقير الذي يبقي هؤلاء المقموعين راضين بقمعهم[1].

ويشير غرامشي وألتوسير إلى الوسائل التي يمكن من خلالها إضفاء لمسة الذاتية على علاقات فرض السلطة، بواسطة هؤلاء الذين لا يملكون القوة بوصفها أيديولوجيا، إما عن طريق المشاركة في الهيمنة (غرامشي) أو عن طريق التبعية الاختيارية (ألتوسير). فبالنسبة لغرامشي يقوم بتحليل العلاقة بين طبقة الصفوة السائدة (المفضلة) والطبقات الدنيا من خلال عملية قبول وإذعان، ويقترح مفهوم الهيمنة أن العلاقات السياسية عبارة عن عملية صراع تقوم من خلالها الجماعة الحاكمة بالتفاوض مع الطبقات الأدنى بفرض وجهات نظرها الثقافية ومعاييرها وممارساتها على الطبقات الدنيا، بالقوة أو بأي وسيلة أخرى مثل التعليم.[2] وهكذا يصبح الدين وسيلة لتحقيق الهيمنة من خلال الرضا عن العلاقات غير المتكافئة. يرى ألتوسير أن المؤسسة الدينية المنظمة وسيلة يمكن من خلالها تذويب السيطرة الأيديولوجية للدولة، عن طريق إلباس القوة لباس الشرعية وهذا ما قامت به الكنائس في أوربا كمشارك فعلي في القمع الإيديولوجي للشعوب وأداة لتنفيذ القانون بالقوة.

تأتي هذه التصورات عن الدين من خلال إدراك للبيئة الأوربية التي سادت فيها المسيحية وحاولت اليهودية أن توجد لها مكانة خاصة، لهذا كان رأي الفلاسفة يتراوح ما بين مشكك وناقد للفكر الديني الذي يحمل في طياته معان للسيطرة والتسلط وحماية الحاكم وإضفاء الشرعية على مخرجاته. ويشير ناي إلى فكرة في منتهى القوة من خلال أطروحة فيبر حول صعود الرأسمالية الحديثة. إن أحد العناصر التي أدت إلى قيام روح الرأسمالية، كما يقول فيبر، كان سيادة أشكال معينة من المسيحية البروتستانتية، خاصة تلك المنحدرة من الكالفينية التي شجعت على تحقيق مستوى عال من الانضباط الذاتي بين أتباعها مع المحافظة على الاقتصاد والعمل الدؤوب، إضافة إلى خلاص المرء من خلال الانجازات المادية. بالرغم من قيام النشاط الرأسمالي في الدول الأوربية غير البروتستانتية أي الكاثوليكية، إلا أن دراسة قام بعرضها لويجي زنغال* Luigi Zingales احيث أعاد طرح السؤال الذي طرحه ماكس فيبر منذ قرن من الزمن، ولازال يصنع الحدث إلى اليوم: هل توفر أديان بعينها الظروف الملائمة للتنمية الاقتصادية؟ وللإجابة عن هذا السؤال قامت مجموعة من الاقتصاديين باستعمال بعض المعطيات التي جلبوها من 54 بلدا تحددت خلالها مجموعة من الأسئلة -جعلت العينة

---

[1] . مالوري ناي، مرجع سبق ذكره، ص 92.

[2] . المرجع السابق، ص 97.

* أستاذ كرسي جامعة شيكاغو La Chaire de Finance Robert Mccormack de La Graduate School of Business de L’université de Chicago.

تتكون من مائة ألف 100000 شخص- الثقة في الغير، معاملة النساء، اللاتسامح، الثقة في الحكومة، وأكدت النتائج تصور فيبر الذي أكد أن البروتستانت لديهم قابلية للعمل لأنه دليل على رضا الله[1].كما أن معتقداتهم جعلتهم يرون أن النجاح أو الفشل، والغنى والفقر مظاهر تتعلق بالفرد وعلاقته بالرّب ولهذا بات الفضاء البروتستانتي مجالا مساعدا للتقدم الاقتصادي. ولأن الولايات المتحدة الأمريكية التي استطاعت أن تكون لعقود متعاقبة صاحبة الريادة العالمية في مختلف المجالات(اقتصاديا وثقافيا وعسكريا) وجب النظر في علاقة المجتمع الأمريكي بالدين.

[1] Luigi Zingales، يمكن الإطلاع على مقالته، luigi@gsb.uchicago.edu

المطلب الثاني : علاقة المجتمع الأمريكي بالدين:

في سنة 1501 وفي رسالة موجهة للملك الكاثوليكي لأسبانيا كتب كريستوف كولومبس« لقد قلت بأن انجازي هذه المهمة للهند، لم ينفعني لا العقل ولا الرياضيات ولا الخرائط ولكن أتممت كل ما قاله **Isaïe**»[1]. هذه الرسالة تبين الطريقة التي اكتشفت بها أمريكا، باعتبارها أرض الميعاد التي ستقود المسيحيين إلى الخلاص. كانت الرحلة الأولى لكولومبس سنة 1492، بحثا عن طريق بحري جديد، يوصله إلى المنافذ البحرية والموانئ التي يسيطر عليها المسلمون، فيستولي عليها منهم ويسيطر على تجارة التوابل والحرير، والتي كانت تستجلب من الهند والهند الشرقية والصين، لتباع في أوربا حيث تدر دخلا كبيرا على التجار والملوك، لكن الصدفة شاءت أن تقود السفن التجارية إلى شواطئ عالم جديد، ومكتشفوه انطلقوا من حيث انتهت الحضارة الإسلامية في إسبانيا، ففي يناير 1492، سقطت مملكة غرناطة بعد ثمانية قرون من التواجد الإسلامي في شبه جزيرة أيبيريا. لتبدأ حرب الأفكار*. فبعد أن أحرقت كتب العلوم والفنون والفقه الإسلامي والتشريع، والمقدرة بحوالي مليون ونصف المليون كتاب ولم يستثنى منها إلا ثلاثمائة من كتب الطب والعلوم والآداب[2]، جاء الدور على إبادة حضارة ما سمي بالهنود الحمر وهم السكان الأصليون للأرض المكتشفة والتي سميت بالعالم الجديد، ويقول عبد الوهاب المسيري عن «مصطلح عصر الاكتشافات الذي قد يبدو محايدا، ولكن إن دققنا النظر اكتشفنا أنه صدى لفكرة عالمية الغرب، فهو مصطلح يعني أن شخصا اكتشف أرضا جديدة ولذا يطلق عليها العالم الجديد، فيها أشجار وأحجار وأزهار وزواحف وقوارض، لكن هذا العالم الجديد كان فيه أيضا بشر لهم تاريخ وحضارة»[3]؛ لذلك يرى المسيري أن النموذج الإدراكي الغربي قد وضع حدا على رؤيته، «فالإنسان الغربي يرى أن الغرب هو العالم الفاعل ....حيث وضع نفسه في مركز الكون، لذا حين وصل إلى أرضهم لم يرهم ...المصطلحات التي التي ترد لنا من الغرب تكون محملة بتحيزاته وتعبر عن رؤيته لنفسه وللآخر، ومن ثم فمثل هذه المصطلحات ليس بريئا»[4]

الولايات المتحدة الأمريكية إحدى مناطق العالم الجديد، سارت في عملية إنتاج المصطلحات التي تخدم مصالحها وديمومتها، واستطاع الآباء المؤسسون -لوريثة قوة الحضارة الغربية، من أثينا مرورا بروما، وانتهاء ببريطانيا وفرنسا- أن يؤسسوا إمبراطورية زمن الحداثة بكل معانيها، والتي استمد منها الفكر الأمريكي مجالات للنقاش والتحليل،

---

[1] Arnaut Mattelart, Histoire de L'utopie Planétaire, Editions Casbah, Alger, p. 14.

* كانت غرناطة تزخر بكم هائل من الثروة الفكرية في كل الميادين ، وخشيت الكنيسة الكاثوليكية من هذه الظاهرة فأصدرت أوامرها بتحريم التحدث باللغة العربية أو الكتابة بها في الأندلس، وقام الكاردينال خمينيس بمهمة حرق الكتب والمؤلفات الثمينة.

[2] أحمد لطفي عبد السلام، الانحياز الأمريكي لإسرائيل، دوافعه التاريخية والاجتماعيةوالسياسية، مكتبة النافذة، الطبعة الأولى، القاهرة، ص 12.

[3] عبد الوهاب المسيري، دراسات معرفية في الحداثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى ،القاهرة، 2006، ص 33.

[4] المرجع السابق، ص 33.

ومحاولة صنع نموذج متميز واستثنائي ينبع من التاريخ، من مايفلاور السفينة التي أقلت المهاجرون الأوائل الفارين من بطش الظروف في القارة العجوز، وفي أيديهم كتاب العهد القديم والتوراة وأسفار التلمود والمزامير وأخذوا يقارنون أنفسهم وبين اليهود الأوائل، فعندما عبروا المحيط إلى الأرض الجديدة، تمثلوا عبور الشعب اليهودي للبحر الأحمر عند خروجهم من مصر إلى أرض الميعاد في (فلسطين)، وكانت أمريكا من وجهة نظر المهاجرين هي الأرض الموعودة لهم من الله لأجل انتشار الرسالة المسيحية في كل العالم ولقد عبر عن هذا الفكر والتر أ. مكدوجال في كتابه أرض الميعاد والدولة الصليبية[1]، ويشرح في هذا الكتاب الخلفية الدينية لدولة أمريكا من خلال الكتاب المقدس والذي يتكون من عهدين :العهد القديم والعهد الجديد، ففي العهد القديم بناء الشعب والدولة واتساعها وملك الله عليها، أما العهد الجديد فهو الانطلاق بالرسالة إلى جميع الأجناس والألوان، أو ما يسمى (ملكوت الله)[2].

لا شك أن الدين هو أحد الأسس الرئيسية التي قام عليها المجتمع الأمريكي، وأهم الديانات في الولايات المتحدة الأمريكية هي: المسيحية وتشمل (البروتستانتية والكاثوليكية) ثم اليهودية ويليها الإسلام والبوذية والعلمانية الإنسانية كل ذلك في مجتمع متعايش معا، ويمكن وصف الشخصية الدينية للولايات المتحدة الأمريكية بتعبير الدين المدني، فهناك تأكيد دائم على الفردية وعلى الفصل بين الكنيسة والدولة وهذا ما يساعد في الانتقال من دين لآخر أو من طائفة لأخرى دون التأثير في النظام الاجتماعي العام[3].

وبسبب أهمية الدين البروتستانتي داخل المجتمع الأمريكي سأهتم بإظهار خصائص هذه الطائفة وتطور تأثيرها.

1. السمات الدينية الأساسية الأولى للمجتمع الأمريكي :

كان للمجتمع الأمريكي في مراحله الأولى السمات الرئيسية التالية:[4]

أغلبية بروتستانتية مطلقة .

ـانتشار البروتستانتية المحافظة .

التأكيد على الفضائل المتمثلة خاصة في تهذيب الذات و العمل الشاق .

فرض التصنيع والاكتشافات العلمية والتقدم التكنولوجي ومولد الأفكار الجديدة ومضامينها الاجتماعية والفلسفية، بعض التحديات الخطيرة على البروتستانتية المحافظة،

[1] والتر مكدوجال، أرض الميعاد والدولة الصليبية، أمريكا في مواجهة العالم منذ 1776، ترجمة هلال، رضا، دار الشروق، القاهرة، 2001، ط2، ص 348 .

[2] المرجع السابق، ص 25.

[3] عي، إكرام، التنوع الديني في أمريكا، عن: الإمبراطورية الأمريكية، الجزء الأول، مرجع سبق ذكره، ص ص 205-206.

[4] عارف، محمد، صعود البروتستانتية الإيفانجيليكية في أمريكا و تأثيره على العالم الاسلامي، ترجمة: خلاف، رانية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى ، القاهرة، 2006، ص 56.

والتي كانت تركز على خلاص الفرد. ومثل التفكير العلمي تحديا للرؤى الدينية الثابتة والمواقف المتعلقة بالقضايا الاجتماعية وحلولها التقليدية، وكان رد فعل البروتستانتية المحافظة على الأفكار الفلسفية والعلمية الجديدة مثل الداروينية التي أشعلت أزمة صحة الكتاب المقدس فيما يخص نظرية خلق الكون التي تتخالف مع سفر التكوين من الكتاب المقدس[1]. لكن سرعان ما وجدت اللاهوتية الجديدة أن توافقا بين الدين والعلوم من خلال تبني مذهب تكيفي، مطبقا نظرية داروين على بقاء الأصلح فيما يخص الدين والعرق وحمل الرجل الأبيض لرسالة الرجل الأبيض[2]. ولم يستطع المحافظون البروتستانتيون أن يستجيبوا لما تحتمه الحداثة وفكروا بشكل عام: إذا قاموا بنجاح بالدفاع عن مذهب الكتاب المقدس بوصفه كلمة الله المعصومة عن الخطأ، فسوف يحتفظون بأساس كاف لرفض كل التعاليم غير الصحيحة، ويعتقد عادل المعلم أنه قد تكون الولايات المتحدة، الدولة الوحيدة في العالم التي صدرت بها قوانين تمنع دراسة نظرية النشوء والارتقاء لداروين[3].

2. انشقاق البروتستانتية الأمريكية

وعرف العقد الأول من القرن العشرين انحدارا خطيرا في عضوية الكنائس البروتستانتية المحافظة، وهو دليل واضح على انشقاق البروتستانتية الأمريكية، وأن المحافظين قد أصبحوا بشكل سريع أقلية متضائلة. وشن المحافظون حملة دفاع قوية عن العقيدة التقليدية من خلال نشر: الأصول[4] (شهادة الحق) ، وذلك في العقد الثاني من القرن العشرين، وتضمن المؤلف اثني عشر كتابا.

تناقش الأصول وترصد أصول الإيمان التي لا يمكن التسامح عن أي انحراف عنها، وهذه الأصول الحائزة على أكبر إجماع:[5]

- عصمة الكتاب المقدس .
- ألوهية المسيح .
- الولادة العذرية للمسيح .
- الكفارة البديلة (الفداء) : الاعتقاد بأنه بالموت على الصليب فإن المسيح غير الآثم، قد تحمل على نفسه العقوبة المستحقة على البشر الآثمين.

---

[1] محمد عارف زكاء الله، الدين والسياسة في أمريكا: صعود الإنجيليين وأثرهم، ترجمة: عناد، أمال، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ص 49.

[2] عادل المعلم، مقدمة في الأصولية المسيحية في أمريكا، مرجع سبق ذكره، ص 143.

[3] المرجع السابق، ص 143.

[4] محمد عارف زكاء الله، الدين والسياسة في أمريكا، مرجع سبق ذكره، ص 45.

[5] نفس المرجع السابق، ص ص 46-47.

- البعث .
- عودة للمسيح ثانية.

نشر تحت إشراف معهد موودي بايبل بشيكاغو، بتمويل من رجال النفط في كاليفورنيا، ليمان وميلتون ستيوارت، و تضمنت الكتب الاثني عشر من الأصول تسعين مقالا موقف الأصوليون في الدفاع عن مذهبهم[1] .

3. **صعود الأصولية المسيحية و ظهور الإنجيلية:** اصطدمت البروتستانتية الأصولية في نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين بالفكر الليبرالي والعلمي الحديث، ورغم الحجج الأصولية المستندة أساسا إلى الكتاب المقدس لم يتمكن الأصوليون من الصمود مما أجبرهم على التراجع الحذر، وهيئوا أنفسهم مع بلورة قوة وتفوق فكريين وتبنوا خطط متشعبة بدأوا بها معركتهم الفكرية ضد الفكر الليبرالي والفكر العلمي الحديث وأبرز معالم هذه المواجهة[2]:

أ. **الاعتماد على الكنيسة المعلوماتية:**

لم يثبط هذا من عزيمتهم لإدراكهم ضرورة تطوير قوتهم الفكرية وتفوقهم، وتبنى وعضاهم وقادتهم مذهبا عرف بمذهب« متعدد الشعب »وكان يتميز بما يلي:

- نشر ثقافة القراءة على مستوى القاعدة وتشجيع الكتابة، ونتج عن القادة الأصوليين مجموعة من الكتب والمقالات ، و فتح المجال للمناقشات و اللقاءات بين الأتباع.
- انتشار المجلات الأصولية والجرائد والنشرات والتي أصبحت تحقق أكثر المبيعات عن باقي الصحف والمنشورات الأخرى.
- تأسيس معاهد لاهوتية قوية ومعاهد لدراسة الكتاب المقدس.

ويدل هذا على الوعي بضرورة الوصول إلى مستوى عال من التعليم في كل المستويات، وظهرت نتيجة لذلك مجموعة من الكليات والمعاهد الأصولية المعتمدة على الجمع بين الدين والعلوم الحديثة عبر الولايات المتحدة الأمريكية، وكان اهتمام خاص بالمعاهد الثانوية ومعاهد الكتاب المقدس.

ب. **الهجوم على الإنسانية العلمانية:**

خسر الأصوليون أمام الحداثيون في بداية القرن العشرون على أساس فكري، وكانت مشكلتهم الأساسية أنهم قاموا بتحدي العلوم الحديثة على أساس حقائق الكتاب المقدس بوصفه الحقيقة النهائية، وفي النصف الثاني من القرن العشرين قاموا بتغيير إستراتيجيتهم

[1] ̄مد عارف، صعود اـ وتستانتية الإيفاƱليكية أمريكا و تأثـƘه على العاƁ الاسلامي، مرƽع سبق ذكره، ̂ 59.
[2] ̄مد ǚكاŏ ا! عارف، الدين والسياسة أمريكا، مرƽع سبق ذكره، ̂ ̂ 79-88.

وجادلوا بدلا من ذلك ورأوا أن الإيديولوجيات الليبرالية يعتبرها الفكر العلماني ديانة[1]: حيث أن الليبرالية كرؤية ونموذج عالمي جاءت فعليا من الأسس الفلسفية للفكر العلماني .

كان فرانسيس شايفر هو المخطط الرئيسي لهذا الموقف الفكري حيث قام بتأليف ثلاثين كتابا على مدى حياته وكان أكثرها تأثيرا« البيان المسيحي» والذي كتبه لخدمة الحركة الإنجيلية والذي تضمن عرضا جديدا لمبادئ الإيمان المسيحي، وبين فيه شايفر طبقا لإدراكه للاحتياجات المعاصرة. والهدف من كل هذه المحاولات والدعوة الإيمانية الأصولية هو التأسيس لفكرة تفوق الفكر المسيحي الأصولي على الفكر الليبرالي. حيث تمت إشاعة مسألة الفكر العلماني بين الناس بوصفه ديانة هدامة ومعادية للمسيحية وذلك في كتب وخطب شايفر وكان كتابه : «كيف ينبغي أن نعيش – صعود وانحدار الفكر والثقافة الغربيين »، الذي يوضح فيه أن فكر الحضارة الغربية والتراث الثقافي للفترة الرومانية الإغريقية حتى عصره– أي شايفر– يكمن وراء الفكر العلماني[2].

ويعتبر الفكر الليبرالي المعاصر هو قمة ذلك التراث التراكمي، والهجوم على الليبرالية لن يكون مؤثرا، إلا إذا كان يؤسس بشكل واضح للأخطاء التي حدثت فيما يتعلق بالتاريخ الثقافي للحضارة الغربية بدءا من اليونانيين حتى هذا العصر. ومنهجه للفلسفة الإغريقية – الرومانية أن يقابل ضعفها ضد قوة الديانة المسيحية .

ج. قوة الأصولية المسيحية :

تمثل هذه القوة في مجموعة البروتستانت الذين يدعون إلى الإيفانجيلكيا، والتي تعتبر ظاهرة فريدة في البروتستانتية: فكل الإيفانجيلكيون بروتستانت ولكن ليس كل بروتستانتي إيفانجيلكيا. ويمكن للإيفانجيلكي أن ينتمي لأي طائفة بروتستانتية أو كنيسة رئيسية. و يؤمنون بالتعاليم التالية:[3]

- المذهب الإصلاحي للمرجعية الأعلى للكتاب المقدس
- الطبيعة التاريخية الحقيقية لإنقاذ الله لعباده و المدونة في الكتاب المقدس تجسد الله في المسيح و صلب المسيح.
- الخلاص الأبدي فقط من خلال الثقة الشخصية في المسيح
- أهمية الإيفانجيلكيا والأنشطة التبشيرية
- أهمية الذات من خلال حياة روحانية متحولة (التحول أو الولادة ثانية أو بتعبير آخر الولادة من جديد).

تتميز الإيفانجيلكيا بالتنوع داخل الوحدة والإيمان بتحول الذات روحيا، من خلال الولادة من جديد، ويتم ذلك من خلال عبور الآثمون من الخطيئة إلى الخلاص الدائم، وهذا ما يمنح فعالية خاصة باليمين المسيحي بوصفها سياسة الولادة من جديد. هذا الوعي بالخطيئة سواء كان يخص المرء

---

[1] [illegible] عارف، مرجع سبق ذكره، ص 81.

[2] نفس المرجع السابق، ص ص 83-85.

[3] نفس المرجع السابق، ص 85.

ذاته أو المجتمع، هو الذي يجلب كل المولودين ثانية معا ويمنحهم رابطة طبيعية مشتركة للإتحاد كجماعة لقيادة المعركة ضد الخطيئة في المجتمع وحول العالم[1].

ويستعمل الإيفانجلكيون وسائل الإعلام حيث يقوم الوعاظ الكاريزميون بتأدية الصلاة عبر موجات الراديو وشاشات التليفزيون، مثل بيلي جراهام وجيري فالويل وبات روبرتسون وجيم بيكر وجيمي سواجارت وآخرون. ويرجع الفضل لهؤلاء التلي ايفانجيلكيين في إحياء الحركة الأصولية الأمريكية في النصف الثاني من القرن العشرين[2].

4. دور الدين في السياسة الدولية الأمريكية:

تمثل قضية الدين واحدة من أهم القضايا في المجتمع الأمريكي، فعلى الرغم من أن الدستور الأمريكي وتعديلاته يؤكدان على العلمانية والفصل بين الدين والدولة، فإن الدين كان وما زال يمثل عنصرا أساسيا من عناصر خصوصية المجتمع الأمريكي. فالحياة الأمريكية تخضع لنظام من القيم تتفاعل داخله العديد من الأديان، ولكن بدرجات مختلفة تفصل بينها مسافات اجتماعية واتجاهات مذهبية وفكرية تؤكد على هذه التعددية[3]. أما المجموعات الأصولية التي تقرأ النصوص المقدسة قراءة حرفية، فقد رأت في قيام الدولة العبرية تحقيقا للنبوءات التوراتية.

أ. الدين والدولة في الولايات المتحدة الأمريكية:

إن تأثير الدين موجود منذ البدايات الأول لتكوين المجتمع، فأصل المجتمع الأمريكي يعود إلى تلك المستعمرات التي أسسها (البيوريتانيون) الفارون من الاضطهاد الديني في أوروبا الغربية كي يعبدوا الله على طريقتهم الخاصة في الدنيا الجديدة التي طالما حلموا بها[4]. فالمجتمع الأمريكي مجتمع من المهاجرين كان الدين جزءا من تكوينه الإيديولوجي. كما تأثر الدستور الأمريكي بالفكر الديني. فمبدأ الفصل بين السلطات، وفكرة الضبط والتوازن بين الكونجرس والرئاسة تعود إلى اعتقاد البيوريتانيين (التطهيريين) في ازدواجية الطبيعة الإنسانية أي الكمال (السمو) من جهة، والنقص منذ الخطيئة الأولى من جهة أخرى[5]. فالمسيحية هي الديانة الأولى في الولايات المتحدة، والمذهب الرئيسي هو البروتستانتية والذي ينقسم إلى عدة طوائف،

---

[1] ƮمدƘ ãكاõ ا! عارف، مرǋع سبق ذكره، ƭ 88.

[2] ƮمدƘ ãكاõ ا! عارف، الدين والسياسة أمريكا، مرǋع سبق ذكره، ƭ 92.

[3] Catherine L.Albanese , America : Religions and Religions، عن : الشاهر، شاهر إƧاعيل، مرǋع سبق ذكره.

[4] نفس اƫرǋع السابق.

[5] رضا هلال، الدين والسياسة أمريكا علمانية أǷ متدينة، عن:الإمƱ اƩورية الأمريكية، Ǿ1، مكتبة الشروǩ، القاهرة ،2001، ƭ 245

أكبرها هي الطائفة المعمدانية والتي يأتي منها في الغالب رئيس الجمهورية. ولم يتقلد هذا المنصب سوى رئيس كاثوليكي واحد هو جون كندي (1961-1963)[1].

لقد شعر البروتستانت بالمزاحمة من قبل الكاثوليكية، الأمر الذي دفعهم إلى المطالبة بفصل الدين عن الدولة. وقد تم لهم ذلك حين تقرر إدخال مبدأ الفصل في صلب الدستور الأمريكي؛ والذي يعتبر التعديل الدستوري الأول عام 1789[2]. ولا يوجد دين رسمي ولا كنيسة رسمية (وضع هذا النص توماس جيفرسون الذي أصبح الرئيس الرابع للولايات المتحدة الأمريكية) لأنه خشي أن تفرض إنكلترا مذهبها المسيحي وكنيستها[3].

تمتنع الدولة عن تمويل أي مؤسسة دينية من الخزانة العامة، ولا تمول الدولة المدارس الدينية من المال العام، حتى لا ترسخ دينا أو مذهبا معينا[4]، فالانفصال بين الدين والحياة السياسية في التقاليد الغربية هو انفصال نظري صاغه الفقه الغربي في محاولاته لإيجاد حل للمشكلات السياسية التي كانت تعاني منها الدول الغربية في العصور الوسطى نتيجة لمبالغات الكنيسة الكاثوليكية في ممارساتها السياسية. وإن هذا الانفصال لم تتقبله المرجعية الأصلية لثقافة هذه المجتمعات لتعارضه مع التصور القائم للعلاقات السياسية والذي تشكل القيم المسيحية أحد أهم عناصره، ولتجاهله لواقع الحركة السياسية والاجتماعية الغربية التي يعد الدين عاملا مؤثرا في تشكيلها وتوجيهها.

ب. الصهيونية المسيحية:

بالإضافة إلى وجود حركة صهيونية يهودية، فإنه توجد حركة صهيونية مسيحية. والصهيونية المسيحية هي: حركة دعوة دينية مسيحية، تدعو إلى العصمة الحرفية للكتاب المقدس والعودة الحقيقية للمسيح، وقيام حكمه الألفي الذي تكون القدس عاصمته[5]. وصهيونيتها تأتي من دعوتها إلى وجوب عودة اليهود إلى أرض الميعاد (فلسطين)، تحقيقا للنبوءات التوراتية التي يؤمن بها المسيحيون.

وبالإضافة إلى هذا الاسم (الصهيونية المسيحية) فإنه يطلق عليها أحيانا أسماء أخرى مثل: (الأصولية المسيحية) أو (الأصولية الإنجيلية) أو (الصهيونية غير اليهودية). تلتقي الحركتان الصهيونية اليهودية

[1] إكرام لمعي، التنوع الديني في أمريكا، عن: المرجع السابق، ص 206.
[2] سمير مرقس، الأصولية البروتستانتية والسياسة الخارجية الأمريكية (قانون الحرية الدينية نموذجا)، مرجع سابق، ص 272-273.
[3] رضا هلال، الدين والسياسة في أمريكا علمانية أم متدينة؟، مرجع سابق، ص 247.
[4] المرجع السابق، ص 249.
[5] صالح بن عبد الله الذلول، الصهيونية المسيحية: سر تبني أمريكا مشاريع اليهود، www.albayan-magazine.com

والصهيونية المسيحية عند مشروع إعادة بناء الهيكل في الموقع الذي يقوم عليه المسجد الأقصى[1]. لأنهم يرون أن من يهيمن على جبل الهيكل يهيمن على القدس، ومن يهيمن على القدس يهيمن على أرض إسرائيل[2].

5. نشأة الصهيونية المسيحية:

انبثقت الصهيونية المسيحية الأمريكية منذ العقد الخامس في القرن التاسع عشر، أي قبل صهيونية هرتزل بعقود[3]. وأول من استخدم عبارة (الصهيونية) في العصر الحديث كان ناثان بيرنباوم عام 1892. ونشر كتابا بعنوان: الانبعاث القومي للشعب اليهودي في وطنه كحل للمشكلة اليهودية وذلك في عام 1893. أما تعبير الصهيونية المسيحية فكان أول من استخدمه تيودور هرتزل في وصفه لمؤسس الصليب الأحمر الدولي هنري دونانت. وكان دونانت من الأثرياء الذين مدوا يد العون إلى الحركة الصهيونية اليهودية، وكان واحدا من شخصيات مسيحية قليلة جدا دعيت إلى المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في مدينة بال في سويسرا عام1897. ويعد جون نلسون داربي الأب الشرعي للحركة الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة.

ولما يئست حركة الإصلاح الديني البروتستانتي من تحويل اليهود إلى البروتستانتية تبنت الدعوة لعودة اليهود إلى فلسطين للتخلص منهم. وكان في ذلك إعلان نشأة المسيحية الصهيونية[4]. وكان تعريف الصهيوني المسيحي بأنه المسيحي الذي يقدم الدعم للحركة الصهيونية. ويعد ويليام بلاكستون (1841 - 1935) الممول والرحالة والمبشر الإنجيلي من أبرز المسيحيين الصهيونيين الأمريكيين الذين أطلقوا تلك الحركة. وهو الذي قال في أثناء زيارته إلى فلسطين للحج عام 1888 الشعار المشهور: إن فلسطين أرض بلا شعب ويجب أن تعطى لشعب بلا أرض[5].

يعتبر عام 1942 نقطة تحول مهمة في تاريخ الأصولية البروتستانتية، حيث تأسست (الرابطة الوطنية للإنجيليين) وتعد هذه الرابطة الكيان التنظيمي الذي يضم تحت مظلته آلاف الكنائس الأصولية في أمريكا[6]. ومع نهاية السبعينيات ساعدت التقلبات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في المجتمع الأمريكي على تهيئة الأرض الخصبة للمجموعات الدينية المتعصبة مثل: الأكثرية الأخلاقية. وحصلت متغيرات داخل الطائفة اليهودية الأمريكية، وأصبح هناك العديد من النقاط المشتركة التي تجمعها مع اليمين المسيحي.

---

1 كريس هالسل، يد الله، ترجمة محمد السماك، القاهرة: دار الشروق، 2000، ص 71.

2 المرجع السابق، ص 68.

3 رضا هلال، الدين والسياسة أمريكا المسيح الأمريكي وصهيون، عن: الإمبراطورية الأمريكية، ج2 ، القاهرة: مكتبة الشروق، 2001، ص 195

4 هلال، رضا، الدين والسياسة أمريكا علمانية أم متدينة؟ ، مرجع سابق، ص 193.

5 نفس المرجع السابق، ص ص 196-197.

6 مر قس، 2..، الأصولية البروتستانتية والسياسة الخارجية الأمريكية(قانون الحرية الدينية نموذجا)، مرجع سابق، ص 275

فحركة المسيحية الأصولية لم تتحول إلى حركة سياسية بالمعنى الدقيق إلا في السبعينيات، إذ لم تسع إلى السلطة (سواء أكانت تنفيذية أم تشريعية) قبل السبعينيات[5]. ثم توالى صعود اليمين المسيحي في الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين، حتى أصبح قوة مؤثرة في انتخابات الرئاسة والكونجرس، إذ أصبح يستحوذ على 25% من القاعدة التصويتية في الولايات المتحدة. (أي حوالي 10 أضعاف الأصوات اليهودية)[1].

6. الأسس الفكرية للصهيونية المسيحية:

كانت العلاقة بين البروتستانت واليهود حميمة، وعلى النقيض تماما، كانت العلاقة بين البروتستانت والكاثوليك. كما احتلت فلسطين - كوطن لليهود- مكانة خاصة لدى البروتستانت. وأصبح هناك اعتقاد بروتستانتي قوي بأن عودة المسيح المنتظر لا تتم إلا بإقامة الدولة اليهودية.

التقى البروتستانتيون عمليا مع الحركة الصهيونية في مبادئها[2]. وتأثر المهاجرون الجدد البروتستانتيون باليهودية، ويعود ذلك إلى أن المهاجرين الجدد اعتبروا أن العالم الجديد هو القدس الجديدة. حيث يرون أن تجربتهم مشابهة لتجربة العبرانيين الذين ذكروا في التوراة. فأصبحت أمريكا لديهم (كنعان الجديدة). فالعبرانيون القدامى فروا من مصر هربا من عبودية فرعون وهم فروا من ملك إنكلترا جيمس الأول بحثا عن ملاذ من الاضطهاد الديني. وأطلق المهاجرون الجدد أسماء عبرانية على الأماكن التي يفدون إليها. وكذلك أطلقوا أسماء عبرانية على المواليد الجدد.

وأول شهادة دكتوراه منحتها جامعة هارفارد في عام 1642 كانت تتناول موضوع (العبرية هي اللغة الأم). وكان أول كتاب يصدر في أمريكا هو (سفر المزامير). وأول مجلة صدرت حملت عنوان (اليهودي). بالإضافة إلى تعليم اللغة العبرية في المدارس والجامعات[3].

وتنطلق الصهيونية المسيحية من مجموعة من الثوابت العقائدية أهمها[4]:

أ. إن الإيمان بأن اليهود هم شعب الله المختار، يعني وجوب الالتزام بدعم إسرائيل ومساعدتها ليس كعمل سياسي فقط بل كواجب ديني، لأن الله هو الذي اختار، وعلى الناس أن يحترموا ويقدروا هذا الاختيار، وذلك باحترام إسرائيل وتقديسها.

---

[5] نفس المرجع السابق، ص 276

[1] هلال، رضا، الدين والسياسة في أمريكا علمانية أم متدينة؟، مرجع سابق، ص 257

[2] هلال، رضا، الدين والسياسة في أمريكا علمانية أم متدينة؟، مرجع سابق، ص 259-260

[3] مرقس، [illegible]، الأصولية البروتستانتية والسياسة الخارجية الأمريكية (قانون الحرية الدينية نموذجا)، مرجع سابق، ص 271.

[4] المرجع السابق، ص 270.

ب. إن الإيمان بأن الله منح الشعب اليهودي الأرض المقدسة (فلسطين)، يعني ليس فقط تأييد قيام إسرائيل، بل مساعدتها على إقامة المستوطنات، وعلى تهويد الضفة الغربية وباقي الأراضي الفلسطينية. إن الإيمان بأن القدس هي جزء من الأرض الموعودة للشعب اليهودي، يعني مساعدة إسرائيل على الحصول على اعترافات عالمية بضم القدس وتهويدها وجعلها عاصمة أبدية لها.

ج. إن الإيمان بأن من شروط العودة الثانية للمسيح بناء الهيكل، يعني تمويل مشروع بناء الهيكل، ويعني قبل ذلك، إزالة العقبات التي تحول دون بنائه وفي مقدمتها وجود المسجد الأقصى في الموقع الذي يجب أن يقوم عليه الهيكل.

د. إن الإيمان بحتمية معركة هرمجدون، التي تسبق بالضرورة العودة الثانية للمسيح، يعني تعطيل مساعي التسوية والسلام ودفع الأمور في الشرق الأوسط بصورة دائمة نحو الاضطراب ونحو العداء المتبادل بين العرب واليهود. فالسلام يعطل هرمجدون، وبالتالي يؤخر العودة المنتظرة، أما الصراعات فإنها تمهد لهرمجدون وتعجل بالعودة.

لقد آمنت الصهيونية المسيحية قبل تأسيس دولة إسرائيل بعودة اليهود كشعب إلى أرضه الموعودة في فلسطين، وإقامة كيانه الوطني فيها، تمهيدا للعودة الثانية للمسيح وتأسيسه مملكة الألف عام. وأخذت الصهيونية المسيحية تنظر إلى إسرائيل بعد قيامها كحدث وإشارة تؤكد معتقداتها[1]. فاحتلال القدس لم يزل الخطوة قبل الأخيرة لنهاية التاريخ[2]، فالخطوة الأخيرة هي إعادة بناء المعبد القديم (الهيكل) فوق موقعه التاريخي القديم... وهو المكان عينه الذي تقام عليه الآن قبة الصخرة.

إن اليمين المسيحي يؤمن بضرورة تحول اليهود إلى المسيحية قبل مجيء المسيح كي يشملهم الخلاص، بعد بناء الهيكل. وذلك ما يفجر التناقض - أحيانا - بين اللوبي اليهودي واليمين المسيحي[3]. وترى هذه الحركة أن القوانين الدولية لا تطبق على إسرائيل، لأن إسرائيل تختلف عن كل الكيانات السياسية الأخرى في العالم من حيث أن وجودها هو تجسيد لإرادة إلهية وليس استجابة لحاجة إنسانية. لذا فإن ما يجب أن يطبق على إسرائيل هو الإرادة الإلهية التي وردت في الكتب المقدسة وأبرزها الوعد الإلهي لشعب الله المختار[4].

---

[1] محمد السماك، الدين في القرار الأمريكي، مرجع سابق، ص 54

[2] [illegible]، الأصولية البروتستانتية والسياسة الخارجية الأمريكية (قانون الحرية الدينية نموذجا)، مرجع سابق، ص 272.

[3] رضا هلال، الدين والسياسة في أمريكا المسيح الأمريكي وصهيون، مرجع سابق، ص 201.

[4] نفس المرجع السابق، ص 210.

إن ملايين البروتستانت الأمريكيين يدعمون إسرائيل عن إيمان كامل بأن دعم أمريكا لإسرائيل هو السبيل الأساسي لبقاء أمريكا السياسي والروحي. فالتزام هؤلاء بالدولة اليهودية ينبني على النبوءات التوراتية والإيمان بأن اليهود هم شعب الله المختار[1].

من مميزات البروتستانتية المسيحية أن ولدت متعددة اللغات فمن ألمانية لوثر إلى فرنسية كالفن وانجليزية كينغ جايمس، وبعيدا عن لاتينية الإمبراطورية الرومانية و الإغريقية البدائية، هذه المسيحية الجديدة التي ظهرت في أوربا في القرن السادس عشر، تتحدث كل اللغات الأوربية، قبل كل اللهجات العالمية التي كانت في انتظارها. أعطى هذا التعدد اللغوي للبروتستانتية بشكل خاص والمسيحية عموما، نوع من التجانس وقوة العطاء، من خلال الكم الهائل من الترجمات إلى الألمانية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية، لتشكل بذلك باقة وغابة جعلت من أتباع هذه الديانة يستشفون تعاليم ساعدتهم على فهم واقعهم وينفتحون إلى العصرنة وقدرة على التكيف مع مختلف الظروف.

الإصلاحات اللوثرية كانت أكثر نصرانية من خلال وصف المسيح وتضحيته من أجل أتباعه، بينما إصلاحات كالفن تعمقت في القدر الذي سيؤول إليه البروتستانت الذين يمثلون الأمة المختارة (شعب الله المختار)، وتعمقت التعاليم الكالفينية في الحياة المادية من خلال اعطاء قيمة للحرية الفردية والمال الذي يعتبر وسيلة مهمة في الحياة، وللروح الرأسمالية مستقبل بمصالح دائمة وثروات دون خجل.

[1] رضا هلال، الدين والسياسة أمريكا ا سيح الأمريكي وصهيون، مرǅع سابق، ĵ 207

المبحث الثاني :الفلسفة السياسية الشتراوسية

من خلال هذا المبحث سأحاول تبيان تعلق شتراوس بالفلسفة الكلاسيكية وانتقاده للحداثة التي أفرغت حسب رأيه الحضارة الغربية من القيم والكفيلة بتقويتها ضد الأخطار التي يمكن ان تهددها.

المطلب الأول : مفهوم الفلسفة السياسية

1. **تعريف الفلسفة السياسية:**

تدل كلمة فلسفة المشتقة أساسا من اليونانية، على محبة الحكمة، وقياسا على ذلك فإن الفيلسوف صديق الحكمة - صديق = Philos، الحكمة = Sophia - وهو الذي يتميز بجهده في البحث عن كل شكل من أشكال المعرفة. لقد سبق لكل من أفلاطون وأرسطو أن تساءلا عن أصل الفلسفة وكان برأيهما أن الدهشة Emerveillement هي أصل الفلسفة[1]، وهي التي أتاحت للإنسان قديما وحديثا بأن يتفلسف وهذا تحاشيا للجهل والتخلص منه، ويتفلسف الإنسان لمعرفة الحقيقة. وبالنسبة لأفلاطون، المسائل الفلسفية تتمثل في : الحق والخير والجمال، وبها تنعكس كيفيات الوجود كله[2].

سمح إلمام شتراوس بالفلسفة اليونانية وفلسفة القرون الوسطى بأن يعيد الاعتبار لأعلام الفلسفة القديمة، وأن يضع فكرهم في منابر المناقشات الأكاديمية، خاصة وأنه من جمع في كتبه ومحاضراته الفلاسفة الإغريق والمسيحيين واليهود والمسلمين والملحدين في كتابة متقنة ونقدية لكل فكرة سياسية أنتجتها عقولهم وصاغتها ظروف حياتهم. ويتفق شتراوس مع التعريف اليوناني للفلسفة باعتبارها البحث عن الحكمة وهي البحث عن المعرفة الكونية، معرفة كل شيء في تعارض بسيط مع الرأي عن الكل. ويعود شتراوس إلى سقراط مؤسس الفلسفة السياسية الذي يقول : « الفلسفة ليست امتلاك الحقيقة لكن البحث عن الحقيقة، والفيلسوف يعرف أنه لا يعرف شيء»[3]؛ فكلما ازداد علم الإنسان، إلا وازداد شغفا للعلم بعدما تأكد يقينا بأن هناك حقائق أخرى يجهلها وبالتالي يجب اكتشافها. فمن أكبر فضائل الفلسفة هي التواضع فالفيلسوف لا يدعي معرفة ما لا يعرفه، تدفعه الرغبة بأن يصبح حكيما[4] للسعي دائما وراء الحكمة، وعن المعرفة الشاملة ومعرفة الكل. هذا لا يعني أن الإنسان كان يفتقد تفكيرا عن الكل، لأن قبل الفلسفة كانت هناك أراء حول الكل،

---

[1] . كونƶمان، بيتر و ňƯرون، dtv- أƯلس الفلسفة، ترƤة ƮورǮ كتورة، المكتبة الشرقية، بƙوت، الطبعة الأو ، 2001، ƭ 11.

[2]. المرƮع السابق، ƭ 11.

[3]. Leo Strauss, Qu'est-Ce Que La Philosophie Politique, Traduit de L'anglais par Olivier Sedeyn, Presses Universitaires de France, Paris 1992, p 17.

[4]. الفلسفة ما هي إلا ƾارين ƙƥضƙية للوصول إ الحكمة، والفلسفة القد ة تعترف منذ أفلاƯون أن الفيلسوف ليس ǵكيما، بل باǵثا عن الحكمة، فالفلسفة Ưƙ̀ للحياة الساعية للحكمة دون الوصول إليها. أنƮر، Pierre Hadot, Qu'est-ce que la philosophie antique ? Editions Guallimard, France, 1995, p.21.

وهذا ما جعل الفلسفة تبحث في محاولة تعويض الآراء عن الكل بمعارف عن الكل. ولتحديد الكل يستعمل الفلاسفة عبارة كل الأشياء، والبحث عن معرفة كل الأشياء يعني البحث عن معرفة الله والعالم والإنسان وبالتالي البحث عن طبيعة كل الأشياء، مجمل الطبائع هذا هو الكل[1].

الفلسفة السياسية فرع من فروع الفلسفة، حيث ظهرت في بيئة سياسية خاصة ومتميزة داخل اليونان، وموضوعها هو الدولة والإنسان La Cité et l’Homme[2]، وهو موضوع الفلسفة السياسية الكلاسيكية: «الفلسفة السياسية محاولة لتعويض الرأي عن طبيعة الأشياء السياسية بمعرفة طبيعة الأشياء السياسية »[3]؛ وعلى هذا فإن الفلسفة السياسية هي محاولة جادة وواعية قدر ما هي متماسكة وصارمة لإحلال المعرفة محل مجرد الرأي أو الاعتقاد. وتبرز الفلسفة السياسية حسب شتراوس من طبيعة الأشياء السياسية، وهي مرتبطة مباشرة بالحياة السياسية، حيث تنطلق من الآراء المنتشرة في المجتمع الإغريقي والقروسطي، وتحاول إيجاد الإجابة، « فكل فعل سياسي يهدف إلى المحافظة على وضع والوقاية من التغيير نحو وضع سيئ، أو العمل من أجل التغيير نحو وضع أحسن، وبالتالي كل فعل سياسي موجه باعتبارات ما هو أسوء وما هو أحسن، وهذا ما يستدعي التفكير فيما هو خير، بمعنى أن كل فعل سياسي يحمل بداخله ما يوجهه نحو معرفة الخير ونحو معرفة المجتمع الخيّر ولأن هذا الأخير هو الخير السياسي الكامل»[4]. ويقول شتراوس عن الأشياء السياسية بأنها تلك الأمور التي ما كانت لتصبح واردة لولا وجود الظاهرة السياسية والحياة حافلة بالعديد من الأمثلة التي يعايشها المواطن العادي، كالضرائب والشرطة والقوانين والمحاكم والحرب والسلام والهدنة..إلخ[5].

يكمل شتراوس في اهتمامه بمعنى الفلسفة السياسية حيث يعطي شرحا لمصطلحي (الفلسفة والسياسية) كل على حدى[6]:

- الفلسفة توحي إلى طريقة العمل وهي طريقة في نفس الوقت راديكالية وشاملة.
- السياسية توحي في نفس الوقت إلى المادة والوظيفة.

إذن الفلسفة السياسية تعالج مسائل سياسية بطريقة تلائم الحياة السياسية، أي أن مادتها امتزجت مع هدفها وهو الهدف النهائي للفعل السياسي. يتحدد بذلك «موضوع الفلسفة السياسية الذي يتكون من الغايات الكبرى للإنسانية: الحرية والحكومة أو الإمبراطورية»[7]، ويوضح شتراوس هذه الفكرة بقوله: « إذا كان هدف الجنرال هو الانتصار فإن هدف رجل الدولة هو الخير العام»[8]، بهذا تظهر أهمية الفلسفة السياسية في

[1]. Leo Strauss, Qu’est-ce que la philosophie politique, op. cit., p. 16.
[2]. Leo Strauss, La Cité et l’Homme, Le Livre de Poche, Paris, 2005, p. 64.
[3]. Leo Strauss, Qu’est-ce que la philosophie politique, op. cit., p. 16.
[4].ibid., p. 17.
[5] . دي كروسF، أنطوC، ومينوǮ، كينيث، أعلاȳ الفلسفة السياسية ا عاصرة، ترPة: عبدا!، نصار، مكتبة الأسرة، القاهرة، 1996، Ï .61
[6].Leo Strauss, Qu’est-ce que la philosophie politique, op. cit., p 16.
[7].ibid., p. 16.
[8].ibid., p. 18.

إيجاد نموذج للعدالة والخير، ولا يتسن ذلك إلا إذا تم التخلص من تأثير الزمان والمكان، للوصول إلى المعرفة السياسية السليمة والسماح للمقاربة الفلسفية والعلمية بأن ترى النور[1].

2. مهمة الفلسفة السياسية:

اكتشف الفلاسفة الكلاسيكيون أن الحياة السياسية تتميز بالنقاشات الدائرة بين جماعات تتصارع من أجل السلطة: مهمة الفلسفة السياسية الكلاسيكية هي معرفة طبيعة الشؤون السياسية من جهة ومعرفة النظام السياسي العادل والأحسن*، ليس فقط لمرحلة معينة أو طائفة معينة ولكن لكل الأوقات وفي كل مكان[2]. هذا التنافس على الحكم داخل الجماعة السياسية، يدعو الفيلسوف في هذه المرحلة إلى مهمة تحديد أي جماعة لديها شرعية الوصول إلى السلطة، وبهذا تصبح المسألة المحورية للفلسفة الكلاسيكية هي معرفة أحسن جماعة سياسية وبالتالي أحسن نظام سياسي أو بعبارة أخرى النظام السياسي الفاضل. ويعني هذا أن النقاش يكون داخلي وليس خارجي، لأن الفلسفة السياسية الكلاسيكية لا تتعمق في المسائل التي تهتم بالعلاقات الخارجية للجماعة السياسية.

الفصل بين مختلف مطالب هذه الجماعات : النبلاء والرجال الموسمين والحشد المتكون من المواطنين الفقراء، والذين يسعون للسلطة، يدفع الفلاسفة إلى سؤال نادرا ما يطرح في الحياة السياسية، ما هي الفضيلة ؟ وبالتالي فإن أنصار الفضيلة هم من لديهم المقدرة والأهلية للحكم، والأرستقراطية، حكم القلة– حكومة الأفضل – تصبح بهذا: الإجابة الطبيعية التي يقدمها كل من لديه التفكير السليم عن مسألة أحسن نظام.

هذه الفضيلة هي أساس النظام السياسي الفاضل والتي يعتبرها سقراط وأفلاطون وأرسطو شرط الامتياز الإنساني وهي البحث عن الحكمة والمتمثلة في الحياة التأملية والفلسفية. والحكومة التي يقودها الفلاسفة هي الأحسن، لأن الفلاسفة هم الوحيدون الذين يمكن أن يتخلصوا من النزعة الذاتية، وباستطاعتهم التمييز بين الخير والشر من خلال ترك الأهواء ونكران الذات في سبيل كل ما هو نبيل وعادل. لا يمكن للفضيلة أن تبرز إلا من خلال التربية والتعليم الذي يتسنى لفئة قليلة بسبب الإمكانات الاقتصادية التي تعيق الفئات الفقيرة من مزاولة الدراسة. وحسب الفلاسفة الكلاسيكيون الصدفة وحدها هي التي تؤدي إلى الحكم الأفضل وحكم الفلاسفة الحكماء[3]، و يؤكد شتراوس بأن فلاسفة السياسة الكلاسيكيين كان لديهم من الوعي العملي ما يجعلهم يدركون بوضوح أن قيام مدينة الحكم الأفضل في عالم الواقع يعتمد على كثير من العوامل التي تتجاوز أحلام الفلاسفة[4]. لذا كان

---

[1]Leo Strauss, Qu'est-ce que la philosophie politique, op. cit., p. 21.

* لا يعني هذا أن هذا النظام يصلح بالضرورة لكل الجماعات كحل أمثل لكل الأزمان والأماكن، لأن الامتياز السياسي لا يقترن بجماعة دون أخرى.

[2]Leo Strauss, Qu'est-ce que la philosophie politique, op. cit., pp.87,88.

[3]Ibid., p. 41.

[4] . أنطوان دي كروسبي وكينيث مينوغ، ، أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص 67.

هذا التصور للفضيلة مصدرا لمعاداة الديمقراطية من طرف الفلاسفة الكلاسيكيون، رغم أن الديمقراطية تحمل مبدأ الحرية التي تسمح بتنمية القدرات الإنسانية وهذا لأن الفضيلة أهم من الحرية[1].

3. الفلسفة السياسية والفكر السياسي:

يدعو شتراوس إلى ضرورة التمييز بين الفلسفة السياسية والفكر السياسي، ففي الغالب يقع خلط بينهما، والفكر السياسي يعني التمعن في الأفكار السياسية أو عرض الأفكار السياسية، وعن طريق الفكرة السياسية نستطيع فهم الأهواء والمفاهيم والأجناس أو أي مسألة يمكن أن تشغل بال الإنسان حول أسس السياسة. وبالتالي كل فلسفة سياسية هي فكر سياسي، والعكس غير صحيح، لكون الفكر السياسي لا يهتم بالتمييز بين الآراء والمعرفة، أما الفلسفة السياسية فهي الجهد الواعي والمتناسق والمستبسل لتعويض الآراء حول مبادئ السياسة عن طريق المعرفة، ويتعلق الفيلسوف السياسي بالحقيقة ويهتم بها بالدرجة الأولى. وتتميز الفلسفة السياسية بالحركية عن طريق التصور المشوش للاختلاف الأساسي بين القناعة أو الإيمان والمعرفة[2]. ومن هذا يتبين أن هناك ثلاثة متطلبات ينبغي أن تتوفر في الفكر السياسي حتى يمكن اعتباره فلسفة سياسية:

- لابد أن يكون جهد حقيقي من أجل المعرفة.
- النظر إلى الطبيعة النهائية لكل الأشياء.
- التعرف على ملامح النظام السياسي الفاضل.

المطلب الثاني: ليو شتراوس والحداثة

يتفق ليو شتراوس مع كارل شميت Carl Schmitt وألكسندر كوجيف Alexandre Kojève في انتقادهم لليبرالية والمؤسسات الليبرالية، وفي تخوفهم من الحكومة العالمية. ويتفق أيضا مع حنا أرندت Hannah Arendt في حنينه إلى السياسة الإغريقية، وخوفه من الحداثة واقتناعه بأن الفلسفة الأثينية القديمة يمكنها إنعاش الفلسفة السياسية الحديثة والديمقراطية الأمريكية[3].

ومن أهم ما يمكن استسقاؤه من مؤلفات ليو شتراوس عودته المتكررة لتوضيح التوتر والصراع الدائم بين القدامى والمحدثين Anciens et Modernes، ويعبر عن هذه الفكرة باستيقاظ الخصومة بين القدامى والمحدثين[4]. شتراوس القارئ الجيد للتراث الفلسفي (القدامى) وفلسفة الأنوار (المحدثين)، مستشهدا بمقالة شبينغلر الذي دق جرس الإنذار معلنا أفول الحضارة الغربية، كان هذا إنذار شؤم بالنسبة

---

[1]Leo Strauss, Qu'est-ce que la philosophie politique, op. cit., p. 41.
[2]Ibid., p. 41.
[3]Anne Norton, Leo Strauss Et La Politique de L'Empire Américain, Traduit, par Pierre Emmanuel Dauzat, Editions Denoël, 2006, p. 115.
[4]ibid., p.115.

لشتراوس، الذي يعتبر نفسه من الذين وجب عليهم أن يجدوا علاجا لهذه الأزمة التي يسميها أزمة الغرب[1].

1. **أزمة الغرب :**

إن ما عاصره شتراوس من أحداث دموية وتدميرية في أوربا جعلته يقر بأن المجتمع الحديث في أزمة سببها أزمة الفلسفة السياسية[2]، ولفهم أسباب هذه الأزمة ومحاولة إيجاد مخرج لها، « يجب العودة إلى اللحظة التي حطمت فيها الفلسفة السياسية الكلاسيكية أي بداية الفلسفة السياسية الحديثة»[3]، التي كان عليها مجابهة الفلسفة السياسية الكلاسيكية لفرض نفسها. الأزمة التي يحاول شتراوس تفكيكها وحل شفرتها تعود إلى أزمة فكر وإدراك لما هو كائن وما يجب أن يكون، هذا الفخ الذي وقعت فيه البشرية، من خلال ظهور الصراعات بين مختلف التيارات الفكرية، خاصة في مرحلة النهضة الأوربية التي تميزت بمد وجزر بين الكنيسة والعلم من جهة وبين الطوائف الدينية المسيحية واليهودية من جهة من جهة أخرى، إلى جانب حركة الهجرة الأوربية التي تلت الاكتشافات الجغرافية، وتحددت بذلك معالم التوزيع البشرى على الكرة الأرضية وفق غرب وشرق[4]. ومن غريب الصدف أن أفول الحضارة العربية الإسلامية في أوربا إثر طرد المسلمين واليهود من إسبانيا (الأندلس)، كان إذانا لنهضة أوربية غربية وجهت التاريخ نحو نمط مرَّ من السرعة إلى التسارع في بسط النفوذ وفرض الهيمنة وبالتالي التصارع المستمر بين الدول والجماعات، وصولا إلى تصادمات وحروب فكرية ودموية[*].

نهضة أدت إلى أزمة، جعلت شتراوس يحددها في أزمة الفلسفة السياسية؟ يرى شتراوس أن القرن العشرين قد شهد على _ الفشل الذريع للمشروع الحديث _ إن هذا الفشل أو الأزمة لتشكل في نظره فرصة لا يمكن إفلاتها : فرصة المراجعة و التساؤل من جديد، تساؤل راديكالي يكون سمة عامة لمشروع شتراوس. تساؤل يمكن بلورته في الصيغة التالية : «مهمتنا هي إيقاظ الخصومة مابين القدامى والحداثيين»[5] وتقتضي هذه الخصومة قبل كل شيء فهم طبيعة أطرافها لاستيعاب ولادة الحداثة ولفهم أزمة اليوم بشكل جيد. بعد ذلك يمكن فهم المصادر العميقة للحضارة المعاصرة والحكم عليها بعد اختبارها إذا ما كانت تستحق التقدير والاحترام.

[1]Leo Strauss, Nihilisme et Politique, Traduit par Olivier Sedeyn, Editions Payot & Rivages, Rivages Poches, Coll. Petite Bibliothèque, 2004, p.82.

[2]Ibid., p.82.

[3]Ibid., p.82.

[4] بسيس، صو ، الƸرā والأǹرون: قصة هيمنة، ترƤة، سعد، نبيل، مؤسسة كتب عربية،www.kotobarabia.com، ص ص 15-19.

[*] ا روā الدينية و تلف الثورات الأوربية (الفرنسية والبلشفية) وا رب العا ية .

[5]. Strauss, Leo, Nihilisme et Politique , .op.cit., p.83.

أ. الشك في المشروع الحديث:

يقصد بالمشروع الحديث، ظهور الحداثة أي تنمية فلسفة حديثة وعلوم حديثة، وهذا عن طريق السيطرة على الطبيعة. الثورة الصناعية والتطور التكنولوجي الذي وصلت إليه العلوم الحديثة جعلت الإنسان يخطو أشواطا في التطور والازدهار، وسمحت لظهور فضاء أكثر حرية وعدالة،سيرا نحو الدمقرطة في الكثير من الميادين (السياسية والعلمية والاجتماعية...إلخ)، وهذا بتحقيق مجتمع البذخ المعمم.

لكن هذا التقدم نحو المزيد من الحرية والازدهار «يستلزم بالضرورة التقدم نحو مجتمع شامل لكل الناس»، أي يشمل كل الأمم بنفس القدر من المساواة، «ولتحقيق السلام والأمن للعالم الغربي، يجب دمقرطة العالم أجمع».[1] ويؤكد شتراوس هذه الفكرة بقوله: «نظام حسن في بلد ما يستلزم نظام حسن في كل البلدان وبين كل البلدان»[2]. و لأن القرن العشرين عرف تحديات فرض فكر من نوع أخر و المتمثل في الفاشية Fascisme جعل تحقيق المجتمع العالمي الديمقراطي على المحك، وما زاد الأمر خطورة، تصاعد شأن الشيوعية عشية التخلص من النازية الألمانية والفاشية الإيطالية.

ليعرف القرن العشرين تصادما أوربيا جر وراءه رعبا عالميا- الرعب النووي- سببته مفاتيح الأزرار الحمراء التي كانت في جيوب قادة الدول الكبرى والتي استحوذت على التقنية المدمرة، وصنعت لنفسها ناديا- النادي النووي- تنافست لدخوله عموديا، وتحالفت لصد الآخرين من الانضمام إلية أفقيا. هنا يظهر ذلك المشروع الحضاري الذي جعل الإخوة أعداء، يحاولون تقاسم ما لهم وما لغيرهم، يضعون تصوراتهم في المقدمة داعين إلى عالم الخير بنظرة «ميكيافلية الغاية تبرر الوسيلة»[3]، فالفرق بين مقاصد الغرب ومقاصد الشرق الشيوعي رسمت معالم القرن العشرين، بتحديد طبيعة النظرة إلى مستقبل العنصر البشري من الناحية الأخلاقية ومن ناحية الوسائل المستعملة. وبات الغرب في خطر يصعب الوقاية منه، لأن الشيوعية التي تمثل الشر والطغيان المحدق بالغرب لا يمكن مواجهتها لا قولا ولا عملا، إلا عن طريق عظمة القوة العسكرية الغربية[4].

أعطت التجربة الشيوعية حسب شتراوس، درسين مهمين للحركية الغربية:

- درس سياسي بالمعنى الذي يدعو للنظر فيما هو متوقع وما يمكن فعله في المستقبل.
- ودرس في مبادئ السياسة.

يستمد الخطر الشيوعي قوته - على الحركية الغربية - من الوضع الذي آلت إليه السياسة الدولية، من خلال ما يسمى الأمم المتحدة، والادعاء بالمساواة بين الأمم، في الوقت الذي

---

[1] Leo Strauss, La Cité et l'Homme, op. cit., p. 69.
[2] Ibid., p. 69.
[3] Ibid., p.70 .
[4] Ibid., p.70-71.

تظهر اللامساواة من خلال عبارة الأمم المتخلفة Nation Sous Développées ، هذه العبارة التي توحي إلى الرغبة الجامحة في العمل على تنمية هذه الأمم، أي إما بإدخالها في الحركية الشيوعية، أو الغربية، هنا تظهر المفارقة بين ما هو متفتح للثقافات الكونية (المشروع الغربي)، وما هو خطر على هذه الثقافات الكونية (المشروع الشيوعي). يشبه شتراوس هذه الوضعية بما كان عليه الصراع بين المسيحية والإسلام في التعبير عن طموحاتهما الكونية، وأدى ذلك إلى تعايشهما رغم الصعوبات في تقبل أحدهما للآخر . هذا التشبيه يؤكد أن المجتمع السياسي يبقى على ما هو عليه، مجتمع جزئي حيث مهمته الأولى والمستعجلة هي المحافظة على بقائه ومهمته الكبرى هي أن يتطور. هذا ما جعل الغرب يفقد الثقة في إمكانية تحقيق مجتمع عالمي، إلى إعادة النظر في مسألة تحقيق الوفرة للسعادة والعدالة: لا يمكن للوفرة أن تعالج الشرور الأكثر عمقا.[1] ولا يعتقد شتراوس أن التقدم التكنولوجي مصدرا للسعادة الإنسانية، فالمشروع الحديث مصدر للأخطار لم تشهدها البشرية من قبل، فالسيطرة على الطبيعة يمكن أن يهدد الحياة على الأرض.

رغم اشتياق شتراوس للتراث القديم إلا أنه ليس محافظا بالمعنى العادي للكلمة، لأن انتقاده للحداثة كان باسم العقل، وبحثه الدائم عن الحقيقة والحق الطبيعي مما يجعله في ريب وشك دائمين من الوضع القائم. فإلى جانب التقدم التقني، أدي علم السياسة إلى الإقرار بأن الأحكام القيمية غير مقبولة من الناحية العملية؛ وهذا ما يصعب من مواجهة أنظمة الطغيان La Tyrannie وإطلاق أحكام القيمة على هذه الأنظمة. فعلم السياسة حمل معه النسبية والوضعية Relativisme et Positivisme نظرتان للواقع صعبتا من قدرة الديمقراطية الليبرالية الوقاية من أنظمة الطغيان[2]؛ لأن النسبية والوضعية ساهمتا في العجز الذي لحق بالغرب في تقييم الديمقراطية الليبرالية على أنها ذات أفضلية أخلاقية عن أشكال أخرى من الأنظمة[3].

يبدي شتراوس تخوفا على شكل تحذير من أزمة الغرب التي تضاف إليها أزمة الديمقراطية الليبرالية المهددة من الطغيان، خاصة إذا استمر في إهمال مسألة الفلسفة السياسية التي تتعلق بمسألة النظام السياسي الفاضل، فإذا كانت الديمقراطية الليبرالية هي النظام الأحسن والأجود فإن انهزامها يؤدي إلى مأساة حقيقية للبشرية.

[1]Leo Strauss, La Cité et l'Homme, op. cit., pp.72-73.
[2]Strauss, Leo De la Tyrannie, Gallimard, Paris, Coll. « Tel », 1999, p. 42.
[3] Ibid., p.43.

ب. الموجات الثلاث للحداثة :

يرى شتراوس بأن ميكيافلي Machiavel هو مؤسس الفلسفة السياسية الحديثة، لقد شكك هذا الأخير بطريقة جذرية، في قيم الفلسفة التقليدية : فادعى أساسا، وبوضوح بأن الفلسفة السياسية الحقة تبتدئ معه. وينتقد ميكيافلي مسألة الفضيلة التي تتحدد بالامتياز الإنساني والحكمة، وهي بذلك غاية صعبة التحقيق، مما يستدعي الوصول إلى الفضيلة من النمط المعاش لحياة الناس. ميكيافلي على خلاف عميق مع آراء الآخرين بخصوص كيف يجب على الأمير أن يتصرف تجاه رعاياه وأصدقائه وسبب هذا الخلاف هو اهتمامه بالحقيقة العملية الواقعية وليس بالتخيلات. فكثيرون هم الذين تخيلوا جمهوريات وإمارات، لم يكن لها وجود قط لأنهم كانوا يتوجهون إلى كيف ينبغي للناس أن يعيشوا حياتهم عوض كيف يحيا الناس حياتهم فعلا. يعارض ميكيافلي مثالية الفلسفة السياسية التقليدية بمقاربة واقعية للشؤون السياسية.

إن شأن الفلسفة السياسية التقليدية كان بحثا عن أحسن نظام سياسي أو احسن نظام حكم، أي كحكم يسعى جيدا إلى ممارسة الفضيلة أو يسعى إلى ما ينبغي للناس أن يعيشوا حياتهم عليه. وتبعا للفلسفة السياسية الكلاسيكية فإن إقامة أحسن نظام حكم يعتمد بالضرورة على الحظ المراوغ والغير مضبوط أو المصادفة Chance. وحسب جمهورية أفلاطون مثلا فميلاد أحسن نظام حكومي يعتمد على الصدفة Coïncidence أي اللقاء البعيد الاحتمال بين كل من الفلسفة والسلطة السياسية. أما أرسطو الواقعي المزعوم فيتفق مع أفلاطون في هذين المنحيين الهامين جدا : إن أحسن نظام حكومي هو النظام الأكثر ملائمة لممارسة الفضيلة. وإن تحقيق النظام الحكومي الأحسن يعتمد على المصادفة. لأنه بالنسبة لأرسطو لا يمكن تحقيق أحسن نظام حكم إذا لم تكن المادة اللائقة متوفرة. وبعبارة أخرى، إذا كانت طبيعة الأرض الموجودة وطبيعة الناس الموجودين لا تلائم النظام الحكومي الأحسن فوجود هذه المادة أو عدم وجودها لا تعتمد إطلاقا على مهارة المؤسس بل على المصادفة.

يبدو أن ماكيافيلي يتفق مع أرسطو في القول بأن لا أحد يمكنه إقامة النظام السياسي المطلوب. إذا كانت المادة فاسدة أي إذا كان الناس فاسدين. لكن ما كان مستحيلا بالنسبة لأرسطو اكتسى عند ماكيافيلي صعوبة جمة فقط؛ ويمكن التغلب على هذه الصعوبة بواسطة إنسان سام يستعمل وسائل غير عادية لتحويل مادة فاسدة إلى مادة صالحة. هذه العقبة التي تقف في وجه إقامة النظام الحكومي الأحسن والتي هي الإنسان كمادة أي المادة البشرية، هذه العقبة يمكن تذليلها لأنها قابلة للتحويل.

إن ما يسميه ماكيافيلي الجمهوريات المتخيلة للكُتاب الأوائل، يقوم على فهم خصوصي للطبيعة، وهو يرفضه ضمنيا على الأقل. وبحسب هذا الفهم فكل الكائنات الطبيعية، أو على الأقل كل الكائنات الحية، موجهة نحو غاية أي نحو كمال تتعطش إليه. أما التغيير الثاني المابعد ماكيافيلي والذي ينسجم مع روح فكره فيخص الفلسفة السياسية أو الأخلاقية

فقط. فماكيافيلي فك فيه كلية الارتباط بين السياسة والقانون الطبيعي، أي مع عدالة تفهم كشيء مستقل عن اعتباطية الإنسان. فالثورة الماكيافيلية لم تحقق كامل قوتها إلا عندما أعيد تحقيق ذلك الربط: أي عندما أعيد تأويل العدالة أو الحق الطبيعي بروح ماكيافيلية. هذا هو في المقام الأول العمل الذي قام به هوبز. ويمكن أن يوصف التغيير الذي أحدثه هوبز كما يلي: في الوقت الذي فهم فيه القانون الطبيعي سابقا على ضوء تراتبية غايات الإنسان، والتي تحتل فيها مسألة الحفاظ على الذات مرتبة أدنى، فهم هوبز القانون الطبيعي بصيغة الحفاظ على الذات. وبارتباط مع ذلك فالقانون الطبيعي أصبح مفهوما بالأساس في صيغة الحق في الحفاظ على الذات كشيء متميز عن أي ضرورة أو واجب، وهو تطور يبلغ ذروته مع حلول حقوق الإنسان محل القانون الطبيعي (عوضت الطبيعة بالإنسان وعوض القانون بالحقوق). وكما تقدم عند هوبز نفسه، فالحق الطبيعي في الحفاظ على الذات يتضمن الحق في "حرية جسدية"، وفي وضع لا يسأم فيه الإنسان. من الحياة فهذا الحق الطبيعي يقارب الحق في حفاظ على الذات بشكل مريح هو محور تعاليم لوك. لا يسعني هنا إلا أن أؤكد على أن التشديد المتزايد على الدراسات الاقتصادية ما هو إلا نتيجة لذلك. وفي نهاية الأمر نصل إلى الرأي القائل بأن الفيض الكوني والسلام هما الشرطان الضروريان والكافيان للعدالة المكتملة.

2. **العلاقة بين الوحي والفلسفة (القدس و أثينا):**

من خلال هذه الفكرة يوضح ليو شتراوس مسألة التوتر بين الفكر الإغريقي والإيمان التوراتي، أي الدين اليهودي والفكر الفلسفي اليوناني القديم، هذا التعارض الأساسي للفكر الغربي اكتسى أهمية كبرى في فكر شتراوس ولقد وصفه الفيلسوف اليهودي الفرنسي برنار هنري ليفي Bernard Henry Lévy بالحرب الميتافيزيقية بين اليهود و الإغريق و هذا في محاضرة قدمها في ديسمبر 2006 في مركز راشي Rachi بباريس بمناسبة الذكرى الثالثة لرحيل الفيلسوف بيني ليفي .

حسب شتراوس تبحث كل من أثينا و القدس إلى نقل و إحياء نفس المفهوم و هو الحكمة لكن بطريقة مختلفة:

بالنسبة للتوراة أصل الحكمة هو الخوف من الله، وبالنسبة للفلاسفة الإغريق أصل الحكمة هو الدهشة. كما يرى شتراوس أن معرفة الخير أمر أساسي بالنسبة لحياة الإنسان، لأن الإنسان لا يمكنه العيش دون نور و لا مرشد، والمسألة الأساسية إذن هي معرفة ما إذا كان باستطاعة الناس الحصول على معرفة الخير، أو أن عليهم الرجوع إلى الوحي الإلهي، لا يوجد هناك خيار أكثر أهمية من هذا: وجهة إنسانية أو وجهة إلهية.

يمثل التعارض بين الإيمان والعقل حسب ما يبينه شتراوس أهمية كبرى باعتبار فك هذه الشفرة هو الذي يحدد ضرورة الفلسفة من عدمها، أي أن التعارض يكمن في الفلسفة والعلم من جهة و الثقة في الكتابات السماوية من جهة، و كل محاولة للتوفيق بينها لا يجدي نفعا لأن كلا منها يدعي الأفضلية .

ولكن رغم هذا التعارض يؤكد شتراوس بأن تاريخ الكفاح الأزلي بين الفكر اللاهوتي والفلسفة يبين عدم قدرة كليهما دحض الآخر، و لأنهما يعتمدان على اختيار غير واضح ، على فعل إرادي. باعتبار أن المجهود المبذول من طرف الإنسان للوصل إلى المعرفة إذا لم يتكلل بالنجاح فإنه – الإنسان – مجبر على البحث عن شيء أفضل وأقدر وبالتالي لا يمكنه دحض إمكانية الوحي، لذلك يقول شتراوس أن على الفلسفة أن تعترف بإمكانية الوحي .وهذا ما يستدعي ضرورة وحتمية تواضع كل فيلسوف أمام الطبيعة، وهذا ما يقود للقول بأن الحياة التي يكرسها الإنسان للفلسفة والبحث عن المعرفة ليست بالضرورة الحياة الحقيقية، لأنها في النهاية لا تعتمد إلا على قرار ليس بالواضح و لا عقلاني ولا واعي. و في الأخير يرى شتراوس بأن هناك إمكانية لرفض كلا الاتجاهين، القدس و أثينا، و هذا بشرط البقاء على الحدين النشيطين لهذا الصراع .

من خلال ما سبق يمكنني العودة إلى المحاضرة التي سبق وأن ذكرتها للفيلسوف برنار هنري ليفي Bernard Henry Lévy والذي حاول من خلالها توضيح أهمية العلاقة بين القدس وأثينا، واضعا اليهود من خلال القدس في مواجهة تحديات الحضارة الغربية من خلال أثينا، مستدلا على ذلك برأي ثلاث فلاسفة يهود و هم على التوالي : عمانويل لفيناسEmmanuel Lévinas و ليو شتراوس Léo Strauss و غوزنزفاك Franz Rosenzweig و الذين يؤكدون ببقاء القدس حية، عكس ما يعتقده هيجل والفلاسفة الآخرون، والقدس عالمية و هي إسم يهودي عالمي وأفضل إسم وهو الذي يحمل معنى أن اليهودي هو الأفضل، وأن اليهود من يقود العالم نحو الخلاص و إنقاذ أثينا وبالتالي إنقاذ الحضارة الغربية، و كأنه انتقام اليهودي من الإغريقي، من خلال حمل رسالة رسولية تجمع بين الوحي اليهودي والقدس من جهة واللغة الإغريقية (الفرنسية و الإنجليزية،....و باقي لغات الحضارة الغربية) من جهة أخرى.

3. الديمقراطية الليبرالية كأحسن نظام سياسي[1]:

« في أواخر الحرب العالمية الأولى خرج إلى الوجود كتاب يحمل العنوان المشئوم التالي: أفول، أو غروب الغرب. لاشبنغلر Oswald Spengler لا يفهم من الغرب ما تعودنا أن نطلق عليه الحضارة الغريبة، أي تلك الحضارة التي انبثقت من اليونان، بل يفهم منه الثقافة التي بزغت بأوربا الشمالية حوالي 1000م. وتشمل علاوة على ذلك، الثقافة الغربية الحديثة. لقد تنبأ، إذن بأفول الحداثة أو بغروبها، ويعتبر كتابه وثيقة دامغة على أزمة الحداثة». هكذا بدأ شتراوس مقاله عن موجات الحداثة الثلاث ، لأنه يرفض رفضا قاطعا أن يستسلم الغرب للأزمة التي قد تهدد وجوده، لكون هذا الغرب هو الذي يضمن بقاء الحضارة واستمرار الإنسانية ، الغرب- المتمثل في الولايات المتحدة و أروبا الغربية – الذي كان بإمكانه أن يمد سلطانه و سيطرته وإملاء قوانينه على معظم أنحاء العالم، أصبحت قيمه مهددة من الزحف الشيوعي.

لكن الأزمة الحقيقية حسب شتراوس هو أن الغرب فقد الثقة في مقاصده ، لأن أزمة العصر هي السبب في الشك في المشروع الحديث. المشروع الحديث يصادف ظهور الحداثة، أي تطوير فلسفة وعلوم حديثة والتي تهدف استكشاف الطبيعة، بفضل استعمال التكنولوجيا الجديدة والمتطورة، أدى ذلك إلى ديناميكية للتطور نحو الأفضل والتي تسمح بالارتقاء نحو أكثر حرية و عدالة. وبمعنى آخر تكوين مجتمع يتمتع بالاكتفاء العام، و كل فرد يمكنه التمتع كلية بحقه في البقاء في رفاهية، لكن هذا التطور نحو الأفضل والرقي والحرية يجب أن يكون تطورا نحو مجتمع يجمع بين كل الناس، أي يجمع بين كل الأمم على نحو من المساواة. و يقول شتراوس أن السبيل الوحيد لعالم آمن للديمقراطيات هو أن يصبح العالم بأكمله ديمقراطيا، وانخراط شتراوس في الديمقراطية الليبرالية التي يفضلها وينتقدها في نفس الوقت ينبع من نتيجتين مهمتين:

النتيجة الأولى : حدث عاشه شتراوس في شبابه من خلال جمهورية فيمار Weimer التي كانت ضعيفة في مواجهة الحركات الراديكالية والمناهضة للديمقراطية الليبرالية والتي كانت نتاج الحرب العالمية الأولى والمتمثلة في الإشتراكية الوطنية والشيوعية. بالنسبة لشتراوس يظهر ضعف الديمقراطية الليبرالية الألمانية من خلال الوضعية غير الثابتة والمضطربة لليهود الألمان على خلاف يهود الدول الغربية الأخرى، ومن هذه المرحلة المظلمة من تاريخ اليهود ، جعلت شتراوس يخلص إلى نتيجتين مهمتين، أولهما أن أي ديمقراطية ليبرالية كي تحافظ على نفسها واستمراريتها

[1] نقلا عن: Bréchot, François-Xavier, Le philosophe et les idéologues (L'Influence De La Pensée De Leo Strauss Sur La Politique Etrangère de George W. Bush), Mémoire de recherche, Université Jean Moulin Lyon 03, 2005، ص 42.

أمام الحركات المناوئة للديمقراطية عليها أن تتسلح بالقوة ، أي أن عليها أن لا تتردد في استعمال القوة لفرض العدالة وإحترام قيمها الخاصة، وعليها ألا تشك في أفضليتها الأخلاقية على غيرها من أشكال الأنظمة السياسية.هذا الموقف يفسر رفض شتراوس لنسبية القيم والوضعية في العلوم الإجتماعية المعاصرة، والتي تحرم الديمقراطية الليبرالية من الأدوات المناسبة للتصدي للخطر الشيوعي، والوضوح الأخلاقي الذي يسمح بإقرار دون تحفظ بأن الديمقراطية الليبرالية أحسن نظام سياسي على مستوى العالم، وهذا ما يحتم أخذ الحيطة في اختيار الوسائل المستعملة من الديمقراطية الليبرالية للوصول إلى أهدافها، مع الحفاظ على مبادئها الحيوية

النتيجة الثانية: التي استخلصها شتراوس من جمهورية فيمار، أنه لا يمكن للديمقراطية الليبرالية أن تمنح حلا لمشكلة اليهود الذين يتعرضون للإهانة والإحتقار داخل نفس البلد. قبل وصول هتلر Hitler للسلطة اعتقد اليهود الألمان أن الليبرالية أوجدت الحل لمشكلتهم عن طريق دمجهم داخل المجتمع، من خلال تبني الديمقراطية الليبرالية وبالتالي توخي الحياد تجاه الاختلاف بين اليهود و المسيحيين كمواطنين لنفس الوطن يتمتعون بنفس الحقوق السياسية، لكن الواقع غير ذلك لأن الليبرالية جلبت كل شيء حتى المساواة القضائية، أما المساواة الاجتماعية لم تتحقق. هذه النتيجة كانت السبب المباشر لما يعتبره ليو شتراوس حدود الليبرالية، وهذا ما أدى إلى تحول معظم اليهود الألمان إلى الصهيونية، لحل الأزمة اليهودية، و الحل الأمثل هو بناء دولة يهودية ليصبح اليهود كباقي الأمم في العالم. وبالنسبة لشتراوس الصهيونية السياسية لم تحل المشكلة اليهودية: لأن مؤسسيها، بنسكر وهردتزل ارتكبا خطأ عندما نظرا إلى المشكلة اليهودية بنفس الطريقة التي عالجتها الليبرالية، أي باعتبارها مشكلة إنسانية أي مشكلة سياسية. كان الرجوع إلى التراث الفلسفي الكلاسيكي في توافقه مع التراث الديني الوسطوي لفهم وتقييم وعلاج أزمة الحداثة هو عنوان مشروع ليو شتراوس، وذلك في علاقة جدلية تتراوح بين الاستمرار والتقابل بين الحداثة وما قبلها. وكان موقفه هذا بمثابة رد فعل ضد هيمنة إشكالية النهايات على الزمن الحديث: نهاية الإنسان، نهاية العقل، نهاية الأخلاق، نهاية الحق، نهاية الدين ، نهاية التاريخ...إلخ، هذه النهايات التي صدرت عن نزعة عدمية عميقة تكشف عن مدى الأزمة الفكرية والروحية التي يعاني منها الغرب اليوم. ولقد تسلمت أمريكا مشعل الحضارة الغربية وباتت تمثل أثينا التي تصارع القدس، لكن وبعد وصول أتباع شتراوس إلى الحكم من خلال البيت الأبيض، وإلى عقول الساسة في الكونجرس من خلال الدراسات والمنشورات التي تنتجها مراكز متخصصة، وتحالفهم مع الإنجيليين الجدد، وبالتالي استبدال التوتر بين الفلسفة والدين (أثينا والقدس) بالإنسجام والتفاهم على مشروع واحد ومواجهة عدو مشترك، رغبة في الهيمنة من جهة والإنتصار في هرمجدون من جهة أخرى. وهذا ما أحاول استكشافه من خلال الفصل الثاني؟

المبحث الأول :تكوين تيار المحافظون الجدد

كان لكتاب رسل كيرك « العقل المحافظ » Conservative Mind الذي ظهر سنة 1953 وقعا كبيرا في الساحة الفكرية للولايات المتحدة، واضعا حجر الأساس لحركة فكرية فريدة من نوعها لما بعد الحرب العالمية الثانية، ليصبح – كتاب العقل المحافظ- دليلا نظريا للثورة المحافظة الجديدة التي بدأت ترتسم ملامحها داخل مختلف نقاشات المثقفين البارزين أمثال[1]:

وليام باكلي William Buckley ، إريك فوجلين Eric Voegelin ،جيمس بورنهانJames Burnham ،جون لوكاس John Lukacs، توماس مولنرThomas Molnar ، ولمور كيندال Willmoore Kendall ، ريتشارد ويفر Richard Weaver. وأعطى كتاب كيرك دفعا قويا ومعنا جديدا للتيار المحافظ الأمريكي، الذي أظهر أتباعه وعيا دقيقا للتحولات التي عرفتها فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية والتحديات الجديدة التي وجب على الولايات المتحدة أن تواجهها.

تكمن هذه التحولات في تراجع المد الاستعماري الأوربي إثر الحرب بفعل عوامل أهمها[2]:

أ. تصاعد التهديد الشيوعي الذي تزامنت نشوة نصره على النازية مع ضم عدد من الدول الشرقية و رواج النموذج الشيوعي إيديولوجيا و ثوريا في دول الأطراف، حيث كانت الدعاية الشيوعية تعزف أنشودة جذابة مضمونها التحرر من الاستعمار و التسلط الإمبريالي الغربي و مقاومة الفردية الاستغلالية و العنصرية.

ب. قيادة الولايات المتحدة للحلفاء في حربين متتاليتين و ضربها الحركات الاستعمارية في أمريكا اللاتينية و تطويرها السلاح النووي و إنتاجها سياسة ليبرالية سيطرت على النزاعات الأوربية. وتوحيدا مارشاليا - (مشروع مارشال) - في مواجهة التهديدات السوفييتية بأساليب وقيم مضادة.

في نفس الوقت قامت الولايات المتحدة بتدعيم التيارات الليبرالية لأنها ترى في ذلك تعزيزا لأمنها السياسي، وجبهة في وجه المد الشيوعي، وبهذا شكل الغرب الأوربي امتدادا للأمن الأمريكي على مدى الحرب الباردة*؛ الأمر الذي دفع الرئيس السوفييتي ستالين إلى الإعلان سنة

---

[1]. Kissler Nicolas, Le conservatisme américain, Presses Universitaires, Paris,1998,pp. 5-6.

[2]. نقلا عن عدنان، أﭘد ǵسو ، ǅدلية الفكر، ľ 132.

*. ﮑن تقسيم ǵقبة ما بعد ا ﺮā العا ية الثانية و ﻇهور ما يسمى ا ﺮā الباردة ﺑ إ ثلاϙ مراǵل: **ا ﺮحلة الأو** : الصراع الأمريكي- سوفييـ و هو صراع ﺑ قطبـ - (ﺮكÂ)- إيديولوǅيـ أǵدǵƵ ليـ Ƃا رأƧƂا (الولايات ا ﺘحدة و أوربا الǂربية) و ňǓر شيوعي اشتراكي (الاƠاد السوفييـ و أوربا الشرقية) ،، و عرفا تنافسا توسعيا دول ا‡يǕ. Ɓ يكن السوفييت مستعدين عسكريا و اقتصاديا واǅهة مباشرة، و اقتصرت منافستهم دعم الثورات الشيوعية. وساƵت أمريكا قمع الشيوعية ا قاد ǵركتها **ماوزيدونغ** الصـ ، و مǠǎرة الثورة الصناعية كوريا اƨنوبية ا تدňلت ـمايتها اƩمسينات بعد أن ء الشيوعيون اƩǓ الفاصل، و ǵاربت الشيوعية فيتنامȳ و دافعت عن تايوان ضد التدňل الصيـǂ، و اعترفت=

1946 بأن: «السلام في ظل التطور الرأسمالي السائد بات مستحيلا»، و إعلان تشرشل بأن «حاجزا حديديا هبط على القارة الأوربية»[1].

فكان لا بد في أعقاب هذه التطورات من سلوك الرأسمالية سياسة أكثر اعتدالا إزاء قضايا العالم الثالث، ومحاربة التمييز العنصري. ويعترف الأمريكيون أن العلاقة بين الحرب الباردة وقضايا السود والملونين أصبحت واضحة في عهد إيزنهاور إذ نشطت سياسة التكافل الاجتماعي والدعم الصحي و التعليمي، وغدت الرأسمالية التقدمية أكثر إلحاحا دوليا في الستينات والسبعينات خاصة مع تعاظم شأن الديمقراطية الإشتراكية[2] أوربيا.

وتظهر المحافظة الجديدة كأهم تيار يعبر عن الاستياء من الأوضاع التي آلت إليها الولايات المتحدة، ورفضها لجو الإحساس بالذنب والنسبية الثقافية للمجتمع، إلى جانب الاهتزاز الذي سببته حرب الفيتنام وتسرب الشك إلى القدرات المعنوية للولايات المتحدة أمام الشيوعية[3]، وهذا ما تؤكده الأحداث التي ميزت الساحة الداخلية الأمريكية في الستينات، حيث شهدت حركية كبيرة، من غليان شعبي في أوجه وظهور مجموعة من الاضطرابات الاحتجاجية التي رافقت أعمال الشغب في المناطق الحضرية، واحتجاجات الطلبة، إلى جانب النضال من أجل الحقوق المدنية. أدى ذلك إلى دفع الكونجرس إلى اصدار مرسوم تحرير العبيد سنة 1964، وأوامر سابقة أصدرتها السلطة التنفيذية لإنهاء الفصل العنصري في القوات المسلحة، وأوامر صادرة عن المحكمة العليا لإنهاء الفصل العنصري في المدارس[4]، وبالتالي التخلص من نظام جيم كرو* وتعويضه بعبارة عندنا حلم و هي العبارة التي استعملها مارتن لوثر كينغ في مسيرته نحو واشنطن.

=بإسرائيل بعد ستة عشر دقيقة من إعلانها، كرد استراتيجي على انتشار الفكر الاشتراكي في سوريا و الشرق حيث النفط الذي يشكل أهم أسباب التنافس الدولي. **المرحلة الثانية:** بدأت القوة السوفييتية و تفاقم الخطر الشيوعي خاصة بعد أن توصل عملاء المخابرات السوفييتية الوصول إلى أسرار القنبلة النووية، و بداية مرحلة جديدة و خطيرة من الحرب الباردة وهي مرحلة الردع النووي. و عرفت هذه المرحلة تصاعد الصراع في الشرق الأوسط، و مساندة مباشرة لإسرائيل من الولايات المتحدة الأمريكية في حرب 1967 و1973، والتعثر الذي شهدته القوات الأمريكية في فيتنام و أزمة الصواريخ الكوبية التي نصبت بالقرب من الشواطئ الأمريكية والاشتراكية الصينية التي راحت تهدد بالتوسع على المستوى الأسيوي ، مما جعل الولايات المتحدة إتباع أسلوب التقارب مع الصين وهذا بزيارة الرئيس نيكسون لبكين . وبالتالي الدخول في سياسة الانفراج و الحوار مع المعسكر الشيوعي. **المرحلة الثالثة:** أدت سياسة الانفراج إلى تصدع التماسك الشيوعي ، و بدأت فترة الثمانينات الهشاشة الاقتصادية والسياسية السوفييتية وبتزايد المطالبة بالإصلاح الاشتراكي مقابل تفوق أمريكي في إنتاج الأسلحة التقليدية ، و تطور في أساليب الردع، و عرفت هذه الفترة بازدهار التيار المحافظ في السياسة الأمريكية بفوز المرشح الجمهوري ريغان (صاحب مشروع حرب النجوم) بفترتين رئاسيتين ، و كان بإمكانه حسب استطلاعات الرأي الفوز بفترة رئاسية ثالثة لو لم يمنع الدستور الانتخاب ذلك. و انتهت هذه المرحلة بانهيار المعسكر السوفييتي والتحول نحو نظام عالمي جديد بعد معركته الأولى للرئيس بوش الأب بإخراجه القوات العراقية من الكويت إثر قيادته لتحالف دولي . **أنظر: عدنان، أحمد حسن**، جدلية الفكر، مرجع سبق ذكره ص ص 133-135.

[1] . عدنان، أحمد حسن ، جدلية الفكر، مرجع سبق ذكره، ص ص . 132-133.

[2] . المرجع السابق ، ص 135.

[3] Gilles Kepel, Fitna : Guerre au cœur de L'islam, Edition Gallimard, Paris , 2004, p 74 .

[4] . زكريا، فريد ، مستقبل الحرية ، الديمقراطية غير الليبرالية في الوطن و الخارج، ترجمة رضا خليفة، مكتبة الأسرة ، القاهرة 2009، ص 22.

* . كان وصف **جيم كرو** Jim Crow قد أصبح العبارة المختصرة للتمييز العنصري المشروع (استنبطت هذه الجملة من اسم شخصية في مسرحية غنائية في القرن التاسع عشر كان الممثلون البيض فيها يطلون وجوههم بالماكياج الأسود لتصوير ثقافة الأرقاء بأسلوب كاريكاتوري)، و هذا منذ سنة 1837م أستعمل اسم **جيم كرو** للتعبير عن التمييز العنصري ségrégation raciale.

مجمل هذه الحركية الاجتماعية كانت بيئة لبروز تيارات مختلفة تهتم خاصة بالأوضاع الداخلية و محاولة إيجاد المخارج الكفيلة بتحقيق الاستقرار والرقي الذي نشأت من أجله الدولة الأمريكية رغم حداثتها.

المطلب الأول: بروز المحافظة الجديدة

1. **أصل التسمية و أهم المبادئ:** تعود أصل تسمية المحافظون الجدد إلى الاشتراكي الأمريكي ميكائيل هارينغتون Michael Harrington الذي استعمل هذه التسمية في منتصف الستينات*، ليعبر عن تنديده بإعادة بعث الأفكار المحافظة القديمة، والتصاعد الكبير لحركة المحافظين الجدد في هذه الفترة يعود إلى النشاط المنظم و المتكامل لأربع أصناف من الشخصيات والفاعلين داخل المجتمع الأمريكي[1]:

- الفلاسفة الذين أمدوا القواعد الإيديولوجية الضرورية لتطوير هذه الحركة.
- الخطباء الشعبيون الذين يفسرون المصطلحات الفلسفية لجعلها في متناول عامة الشعب.
- السياسيين الذين يقدمون قاعدة انتخابية موثوقة حيث يمكن استغلال الحركة المحافظة سياسيا.
- المحسنين الذين يوفرون الأسس المالية الضرورية لوضع البرامج الانتخابية.

وهكذا أضيف هذا المصطلح إلى المفردات السياسية و هو تيار فكري جديد ومعقد، ويعبر عن حنينه للمجتمع القديم المبني على الأخلاق و التي كانت تميز مرحلة ما قبل الحداثة. وبدأت المحافظة الجديدة تمثل قوة سياسية متزايدة خاصة في العملية الانتخابية[2]. و التيار المحافظ كان قبل كل شيء طريقة نشيطة و استجابة للمشاكل التي كانت تعترض مجتمع وليست طريقة للمحافظة على مصالح الطبقة الحاكمة. وهذا ما جعل الفكر المحافظ متغلغلا في المجتمع الأمريكي، لأن هذا الأخير تأسس ونما وفق هذا الفكر؛ سواء في أمريكا المستعمرة أو أمريكا الثورية التي اتخذت صورة نمطية محافظة، ذات متحمسين كأمثال البريطاني إدموند بورك** Edmund Burke، أحد رواد الفكر المحافظ للقرن الثامن عشر و الذي

---

* . البداية كان رواد هذه المدرسة الفكرية ينعتون أنفسهم **بالليبراليين الجدد**، ويعتبر بعضهم بأن التعريف الصحيح هو أنهم **المحافظون** الناحية الثقافية **وليبراليون** السياسة و **اشتراكيون** الاقتصاد، و سنة 1971 تبنى كرستول تسمية **الليبراليون المحافظون**.

[1].Edward Lee, The Four P's of the Modern American Conservative Movement, colloque organisé par l'Observatoire sur les Etats-Unis de la Chaire Raoul-Dandurand, Jeudi 09 fevrier 2006, p. 05.

[2].Jalbert Lizette et Leppage Laurent , Néoconservatisme et restructuration de d'états, Canada-Etats-Unis-Angleterre, Université du Québec à Montréa, 1986, p. 09.

** من الأسباب التي أثارت حماس بورك للثوار الأمريكيين أن المتمردين كانوا – و على خلاف نظرائهم الفرنسيين – يركزون على الحرية لا على المساواة. أنظر: جون ميكلثوايت وأدريان وولدريدج، أمة اليمين قوة المحافظين في أمريكا، ترجمة عبد الوهاب علوب، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ص ص 22- 23.

أعجب بالثورة الأمريكية و عارض الثورة الفرنسية[1]. و أصبحت المحافظة الجديدة* ممثلة بحركات منظمة سياسيا ومفصلة إيديولوجيا داخل تيارات مختلفة تؤمن بـ: أولوية الفرد، و رفض تدخل الدولة في الشؤون الاقتصادية إلى جانب الأخلاق الدينية التي تمثل قاعدة التقاء كل قوى التيار المحافظ[2]. هذا ما يفسر رفض المحافظة الجديدة فكرة وجود شبكة أمان Safety Net - والتي تعني قيام الدولة بتوفير الخدمات والمساعدات الاجتماعية الضرورية لكل من يواجه صعوبات في اشباع حاجياته – وباعتبار ذلك تقليل من شأن الفرد، إضافة إلى كونها فكرة اشتراكية[3].

وتؤمن المحافظة الجديدة بالحكومة القوية وغير الظاهرة، و فكرة لامركزية الإدارة وهذا لاحترام استقلالية المؤسسات مثل العائلة والكنيسة والمدرسة والشركة. وفي النقاشات السياسية تستعمل كنايات عديدة للتعبير عن المحافظة الجديدة منها التتشارية** Thatchérisme والليبرالية المحافظة libéralisme-conservateur وفاشية إنسانية Fascisme à visage humain أو نيوليبرالية؛ كلها تسميات تعبر عن محتوى ومظاهر نفس الفكر البارز[4]. والمحافظة الجديدة التي برزت عبر أجيال من المثقفين والجامعيين الذين يعبرون عن ثورتهم على الواقع الداخلي والخارجي الذي يتنافى مع القيم الأمريكية الصحيحة والتي تعبر عن قيم البشر جميعا والتي تتمثل في الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان وحرية المبادرة الاقتصادية. و كل هذه الأفكار داخل قنوات فكرية وإعلامية ومعاهد شبه أكاديمية والتي يعبر عنها باسم مراكز التفكير Think Tank : مؤسسة هيريتاج Fondation Heritage ومعاهد مثل راند Rand وهودسون Hudson Institute، إلى جانب مجلات مثل كومنتري Commentary و بابليك انترست (الشؤون العامة) Public Interest[5]. ويمكن الإشارة إلى دور الجامعات والجامعيين في تكوين تيار

[1]. Cuccioletta Donald, The Four P's of the Modern American Conservative Movement, colloque organisé par l'Observatoire sur les Etats-Unis de la Chaire Raoul-Dandurand , Jeudi 09 février 2006, p. 06.

* . تمثل عبارة المحافظة الجديدة تناقضا مع بين العصرنة و التقاليد و يعبر عن مجموعة من الأفكار الرافضة للحداثة الموروثة عن تدخل الدولة : رفض المساواة الاجتماعية والخوف من تدخل الدولة. و مبدأ المحافظة الجديدة تمثل تقليدا تاريخيا يتناقض بشدة مع سياسات واقتصاديات دول العالم الأخرى. ويعبر عن منظور للحياة و المجتمع مختلف تماما عن باقي الشعوب. فالمحافظة الجديدة تعبر عن نظام سياسي و اقتصادي يسميه الاقتصادي الفرنسي ميشيل ألبرت بالرأسمالية الأمريكية الجديدة و يقصد بهذا المصطلح الليبرالية الجديدة، و يقصد بالليبرالية هنا الليبرالية الكلاسيكية إلى تحرير الأسواق و المطالبة بالحرية الفردية و التخلص من العوائق التي تفرضها الدولة القومية أي إلى تقليص تدخل الدولة. أنظر:

Jalbert Lizette et Leppage Laurent , Néoconservatisme et restructuration de l'Etat, Canada - Etats-Unis - Angleterre, Université du Québec à Montréal , 1986, page 10.

[2] . كورف روبرت، التحرر من أمريكا: حماية الديمقراطية و التكامل الاقتصادي و الثقافي للشعوب ، ترجمة رشا جمال عباس، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2007، ص 13.

[3]. Jalbert Lizette et Leppage Laurent, op. cit., p. 10.

** . نسبة إلى مارغريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا(1979-1990). و التي عرفت بالمرأة الحديدية.

[4]. Jalbert Lizette et Leppage Laurent, op. cit., p. 10.

[5]. Ibid, p 12.

المحافظة الجديدة خاصة جامعة شيكاغو* L'Université de Chicago التي تعبر عن أفكار تخدم برامج المحافظين الجدد.

يعبر المحافظون الجدد عن مراحل مهمة من تاريخ الولايات المتحدة والعالم، تميزت بخصائص أعطت لأصحاب النفوذ في السياسة الأمريكية رؤى واتجاهات تعبر عن ميولها الثقافية والاجتماعية والإيديولوجية، إلى جانب الإمكانيات التي تتوفر لدى الدولة الأمريكية والتي تمنح لهؤلاء مجالا من اعتماد خطاب ينادي بلعب دور ريادي على الساحة الدولية، لما لأمريكا من قدرات مادية (الاقتصادية والعسكرية) ومعنوية (القيم الأخلاقية: الحرية والديمقراطية والسوق الحرة). والبرامج التي يقودها هؤلاء تنبعث من إدراكهم بضرورة الاستعداد الدائم لكل ما قد يعرض المصالح الأمريكية للتهديد والمنافسة، حتى من طرف الحلفاء الغربيون.

يذكر إيريك لوران في كتابه العالم السري لبوش Le Monde Secret de Bush - الذي يتحدث فيه عن دور الدين والأعمال والشبكات السرية في سياسات الولايات المتحدة وحكم الرئيس بوش الإبن – عن التقرير الذي حرره القاضي لويس باول** Lewis Powell سنة 1971- نداء باول- والذي أكد فيه الوضع الخطير الذي آل إليه النظام الاقتصادي الحر بسبب الهجمات المتكررة التي يقوم بها الشيوعيون واليساريون، ويذكر باول: « الذين يقودون هذه الحركة وهم طلبة الجامعات والأساتذة الجامعيون ووسائل الإعلام، إلى جانب المثقفين والجرائد الأدبية و الفنانين والعلماء والسياسيين...ويجب مواجهة هذا الخطر عن طريق إجراءات موحدة ومنسقة ومنظمات حاضرة على المستوى الوطني»[1].

طالب باول في هذا التقرير أن تقوم هذه المنظمات بالاستعانة بالخبراء والباحثين، وتأسيس الجرائد والمجلات وتأليف الكتب والمقالات، التي تساعد على مواجهة الانحطاط الذي لم بالثقافة الأمريكية، إضافة إلى إجراءات على المدى البعيد والتي أعجبت أصحاب النفوذ السياسي والمالي في الولايات المتحدة الأمريكية من المحافظين المتعصبين، والذين أعلنوا الحرب على ما أسموه الثقافة المضادة Contre-culture[2]. وتتمثل هذه الإجراءات[3] في: التركيز على الفكر المحافظ وفرضه الإرادة المحافظة داخليا وخارجيا، وزيادة عدد المفكرين المدافعين عنه في الجامعات ومراكز البحث، وهذا بتغيير المناهج التعليمية في مؤسسات التعليم العالي، وتحويل أجزاء من أموال الدعاية في الشركات الإعلامية لدعم الفكر المحافظ، والدعوة

---

*. تعتـ ـامعة شيكاغو متميـة عن غـها من الجامعات الأمريكية الاـر؟ كو ـصصت تكوين **المفكرين و ا ر** و ليس القادة السياسيـ أو رـساء الشركات.

**. كان لويس باول ـاميا لشركة ـنرال موتورة مرشحا نصب قاضي المحكمة العليا الأمريكية سنة 1971، و نفس السنة قاـ بتحرير نداء لصالـ الغرفة الوطنية للتـارة موـه لأصحاـ عاـ الأعمال .

[1]Éric Laurent, Le Monde Secret de Bush, Paris, Pocket, 2004, p.25

[2]Ibid, p. 26.

[3]. أنـر عبدا ي، وليد، ملامح الـارة الدولية ـل ا ستـدات الأـة، ـاضرة ألقيت بتاريـ 2003/05/05.

لتغليب هذا الفكر في النظام القضائي وفي التفسيرات القانونية للنصوص، والمزج بين القوة السياسية والشركات الكبرى بإعطاء دور أكبر للشركات في نشاط المؤسسة السياسية، واستبعاد العناصر غير الموالية.

إن دراسة المحافظين الجدد تتطلب إيجاد أهم المحطات التي مر منها هذا التيار في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية المليء بالأحداث سمحت لها بأن تسمي القرن العشرين قرنا أمريكيا وتسعى للسيطرة على القرن الواحد والعشرين باحثة عن تحقيق أمجاد الإمبراطورية الرومانية التي لبثت تسع 09 قرون، ويمكن تحديد ثلاث مراحل لبروز نشاط المحافظين الجدد كرد فعل عن الأوضاع الداخلية والخارجية لبلادهم:

2. أجيال المحافظون الجدد[1]:

اهتم كثير من الباحثين بدراسة طائفة المحافظين الجدد، ولأنهم من المثقفين والأكاديميين البارزين في الولايات المتحدة، فقد كانت لكتاباتهم -في مختلف المجلات المتخصصة والمؤلفات التي تعبر عن أراءهم في مختلف القضايا الداخلية منها والخارجية- الدور الأساسي لفهم توجهاتهم وتطلعاتهم فيما يخص الدور المنوط بالولايات المتحدة الأمريكية داخل المنظومة الدولية. وكان للفرنسيين والكنديين رصيد محترم من الدراسات التي استكشفت المسار التاريخي والتوجه الإيديولوجي للمحافظين الجدد، فيتفق كل من (جوستان فايس Justin Vaisse وجيل كيبل Gilles Kepel والأمريكي أندروا باسفيتش) في النظر للمحافظين الجدد على أنهم أجيال متميزة من المفكرين والمحللين السياسيين وليس كجيل واحد، ظهروا خلال مراحل، كردة فعل على الأوضاع الداخلية والخارجية، واستجابة لمجموعة من التهديدات التي تواجه الولايات المتحدة والحضارة الغربية حسب تصورهم.

كما قام فرانسيس فوكوياما كأحد المحافظين الجدد والذي يتبرأ من بعض مواقفهم فيما بعد، بمحاولة لتعريف رؤاهم - المحافظين الجدد - و تاريخهم من خلال الاطلاع على معرفته الخاصة بهم، أو ما كتب عنهم من الأكاديميين والصحفيين عبر العالم[2]. ويرى فوكوياما أن تراث هذه الحركة معقد، والأوصاف التي تنسب إليها ليست صحيحة بالضرورة، ويقدم فوكوياما نقدا للسلوك الخارجي لإدارة بوش الابن، التي تمكنت مدرسة المحافظين الجدد استغلاها لتحقيق برنامجها تجاه العدو الذي أوجدته أحداث 11 سبتمبر 2001. وسأنقل نفس التقسيم

---

[1] Justin Vaisse, Histoire du neoconservatisme aux Etats-Unis, édition Odile Jacob, Paris, 2008, pp.17-22.

[2] . اعتمد فوكوياما على ما كتب المحافظون الجدد أنفسهم عن مسارهم أمثال كريستول و بو دهوريتز و كذا الصحفيين الفرنسيين ألان فراشون ودانييل فرنيي كتابهما L'Amérique messianique | إلى جانب أعمال عن الجذور اليهودية لطائفة الجدد .. فوكوياما فرانسيس ، أمريكا على مفترق الطرق، ما بعد المحافظين الجدد، ترجمة محمد محمود التوبة، مكتبة العكيبان، الطبعة الأولى ، الرياض، 2007، ص...

– إلى أجيال - مع إيجاد أهم النقاط التي اتفق عليها هؤلاء الخبراء عن المحافظين الجدد ومحاولة رصد مكونات وانشغالات كل جيل:

- **الجيل الأول:** ويتمثل في مجموعة من المثقفين اليهود المنتمين إلى اليسار المناهض للشيوعية، درسوا في كلية المدينة* (City College of New York CCNY)، في أواسط الثلاثينات إلى بداية الأربعينات من القرن العشرين. عرفوا بالتوجه إلى التروتسكية المناهضة للستالينية ليصبح الصراع ضد الاتحاد السوفييتي هو الأولوية في نظرهم، لما يمثله من تهديد للعالم الحر. واختلف المحافظون الجدد مع التطور الليبرالي للولايات المتحدة الأمريكية وسياسة اليسار الديمقراطي الذي بدأ ينتهج سياسة التنديد بالصهيونية وسياسة الاحتلال الإسرائيليةفي فلسطين؛ وعرف الجيل الأول محاولات اليهود إيجاد استقرار في المناخ العام للولايات المتحدة الذي يتميز بانتشار واسع لمختلف الإثنيات (السود البرتوركيون والأسيويون والهنود...إلخ). وكانت هذه المحاولات لإيجاد هوية تميزهم عن الآخرين رغم أنهم يعتبرون أنفسهم أمريكيون بالدرجة الأولى[1]. واحتجاج المحافظون الجدد ضد الإحساس بالذنب والنسبية الثقافية التي ميزت المجتمع الأمريكي والتي رافقت برامج إدارة ليندون جونسون لتحقيق المجتمع العظيم Societ Great[2]؛ الذي ظهرت آثاره في التدخل التسلطي للدولة الفيدرالية لفرض المساواة والاندماج بين الفئات العنصرية، خاصة في جنوب البلاد[3]. ورفضهم للتدخل الحكومي الفاشل وغير المجدي والمكلف، والنشاط الذي فقد الرؤية الهادفة لمبادئ المساواة وأسبقية الحرية. وكما يقول جوستان فايس Justin Vaisse : « للبحث عن ميلاد المحافظة الجديدة، يجب التركيز على السياسة الداخلية وليس الخارجية، وبالأخص في جهة الإيديولوجيات السياسية »[4]. إنه الجيل الأول الذي بدأ ينشأ حول مجلتين متخصصتين : The Public Interest التي أسسها ارفنغ كرستول Irving Kristolو دانيال بال Daniel Bell، في سنة 1965 و Commentaryكومنتري التي اسسها نورمان بودهورتز Norman Podhoretz ويحوم حولها مجموعة مرموقة من المثقفين وأهمهم: ناتان جلازرNathan Glazer ودانيال باتريك موينيهان Daniel Patrick Moynihan وسايمور مارتان ليبسات

* .هذه الشخصيات ǅǀǁǄت من الطبقة العاملة ، و من ǹلفيات ا هاǄرين ، و درست كلية ا دينة بنيويورǕ لأن مؤسسات النخبة مثل ǄامعǾة كولومبياǾ وǄامعة هارفارد كانت مǾلقة الأغلب أماǛ أمثال هؤلاǅ. أنǛر : فوكوياما فرانسيس ، مرǄع سبق ذكره، ص 32-33.

[1]Ouzan Françoise, Histoire des Américains Juifs, Editeur André Versaille,p p 75-76

[2] . مشروع المجتمع العظيم: الذي كانت ǃثاره الواضحة هي التدǹل ا تسلǖ للدولة الفيدرالية لفرǑ الإندماǃ العنصري ǹاصة ǄنوǍ البلاد ، أين ينقل الأǕفال السود إ ا دارس ا كومية ǵافلات مؤمنة با رس الوǕǂ .و كانت ميǄة هذه ا دارس أǆ تشمل الأǕفال البيȒ و الذين تركوها مǾتǄهǾ إ مǾدارس ǹاصة مكلفة وǵصرية . كن الرǄوع إ قانون ا قوǍ ا دنية. أنǛر:
Gilles Kepel , Fitna Gurre au cœur de L'islam, Editions Gallimard, Paris, 2004, page 75

[3] Justin Vaisse, Histoire du neoconservatisme aux Etats-Unis, op. cit., p. 16.
[4] Ibid, p. 15.

Seymour Martin Lipset وميدج ديكتار Midge Decter وجايمس ك.ويلسون James Q. Wilson وميكائيل نوفاك Michael Novak. وهم من قدامى الاشتراكيين لسنوات الثلاثينات أو قدامى التروتسكيين المشككين بليبرالية الصفقة الجديدة New Deal ورفض ليبرالية المجتمع العظيم Great Society، ويظهر تعارض المحافظين الجدد مع الليبرالية الأمريكية التي تساند مبدأ تدخل الدولة في الاقتصاد والمجتمع[1].

- **الجيل الثاني**: كان ظهور الجيل الأول من المحافظين الجدد كرد فعل للتطور اليساري لليبرالية، وأما الجيل الثاني، فكان كرد فعل للتوجه اليساري داخل الحزب الديمقراطي ويقول إرفنغ كرستول Irving Kristol : «المحافظون الجدد ما هم سوى ليبراليون اعترض طريقهم الواقع »[2]، ويتحدث في احدى مقالاته- قناعة المحافظة الجديدة، ماذا كانت وكيف أصبحت؟[3]- عن نشأة ظاهرة المحافظة الجديدة بين صفوف أعداد من المثقفين الليبراليين المحبطين في سبعينات القرن العشرين. ففوز جورج ماكغوفرن George McGovern بترشيح الحزب الديمقراطي لرئاسيات سنة 1972. كان بمثابة تأكد صعود الجناح اليساري الذي يقوده ماكغوفرن داخل عائلة الديمقراطيين. ومن أهم النقاط التي أكد عليها ماكغوفرن في برنامجه الإنتخابي، دعوته أمريكا إلى العزلة والتخفيض من التزاماتها الخارجية، وميزانيتها للدفاع؛ وأدى هذا الاندفاع اليساري إلى خسارة الديمقراطيين للانتخابات الرئاسية أمام المرشح الجمهوري نيكسون Nixon . ما أثار حفيظة واشمئزاز الأغلبية الصامتة من الشعب الأمريكي الذي كان ينتخب لصالح الحزب الديمقراطي والذي حسب رأيهم تنازل بهذا التحول، عن مسائل المجتمع الحقيقية، واهتم بفئات الأقلية (السود واللاتينيين والنساء والمثليين..إلخ)، وتبنى بهذا رسميا الثقافة المضادة، عوض الدفاع عن النظم والقيم العائلية الأمريكية. وجمع هذا الجو من عدم الرضا الجيل الثاني من عائلة المحافظين الجدد، داخل طائفة من الجامعيين والناشطين السياسيين في واشنطن (بان واتنبرغ Ben Wattenberg و جان كيركباتريك Jeane Kirkpatrick وماكس كامبلمان Max Kampelman وأوجان روستو Eugene Rostow وجيمس وولسي James Woolsey وكينيث أدلمان Kenneth Adelman ...إلخ) . ويهدف هؤلاء إلى إعادة الحزب الديمقراطي إلى الوسط، بإنشائهم التحالف من أجل الأغلبية الديمقراطية[4] Coalition For a Democratic Majority، المعارض لماكغوفرن McGovern، وشعار هذا التحالف Come Home Democrats كرد على Come Home America وهو الشعار الذي كان ينادي به

---

[1]Justin Vaisse, Histoire du neoconservatisme aux Etats-Unis, op. cit., p.15.

[2] . إرفنغ كرستول، قناعة المحافظة الجديدة: ماذا كانت، و كيف أصبحت؟ مقالة ضمها كتاب،إرون سلتر، المحافظون الجدد، ترجمة فاضل جتكر، مكتبات ونشر العكبيان، الرياض، [illegible] [illegible] [illegible] 59-65.

[3]Gilles Kepel, Fitna Gurre au cœur de L'islam,Paris, Editions Gallimard, 2004, page 75

[4] ibid., p.76.

ماكغوفرن، وأصبح هدف المحافظون الجدد في تلك المرحلة هو دفع الحزب الديمقراطي للتخلص من دعاة العزلة وتأكيد ضرورة العودة إلى تقاليد الحزب المتمثلة في القوة والدفاع عن الديمقراطية في العالم، طبقا لمبدأ ترومان Truman وميراث روزفلت Roosevelt، وناضلوا بشدة ضد سياسة الانفراج التي اتبعها الرئيس نيكسون Nixon وكيسنجر Kissinger. وتمكنت هذه المجموعة من إقصاء مفهومي الاحتواء والتعايش السلمي اللذين طورهما جورج كينان أثناء الحرب الباردة.

في هذه المرحلة كان المحافظون الجدد من الحزب الديمقراطي وهذا ما تؤكده التشكيلة السياسية التي جمعت بين الأكثرية الديمقراطية و بعض الجمهوريين سنة 1976 والتي أصبحت منبرا للمحافظين الجدد: Committee on the Present Danger وهي لجنة الخطر الراهن والتي ناضلت ضد ما تعتبره الضعف العسكري والاستراتيجي للولايات المتحدة أمام الإتحاد السوفيتي ودعت إلى إطلاق صفارات الإنذار قبل فوات الأوان. وهذه النظرة يشرحها إرفنغ كرستول الذي اعتبر أنه لا حظّ لبقاء أمريكا في عالم مليء بالتهديدات للقيم الأمريكية الثابتة وهذا الاتجاه الاستراتيجي بالنسبة للمحافظين الجدد هو لحماية القيم الأمريكية والمتمثلة في الديمقراطية والحرية والتي لا يمكن حمايتها إلا إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية قوية ومسيطرة عسكريا. ويبدو تأثير الاستراتيجي ألبار ولستيتر* Albert Wohlstetter واضحا في دعوة لجنة الخطر الراهن إلى زيادة النفقات العسكرية والحذر الشديد من مراقبة التسلح.

هناك مجموعة أخرى من المحافظون الجدد للجيل الثاني من الشباب والذين بدأوا مع السيناتور الديمقراطي هنري سكوب جاكسون Henry Scoop Jakson والمؤيدون للخط المعادي للشيوعية والمعارضون لتدخل الدولة و الكينزية على المستوى الداخلي، ويمكن ذكر ريتشارد بيرل Richard Perle و بول ولفوفيتز Paul Wolfowitz و كارل جارشمان Carl Gershman وفرانك جافني Frank Gaffney و إليوت أبرامس Elliot Abrams و لويس ليبي Lewis Libby وأخرون. والذين ساندوا ترشح السيناتور جاكسون عن الحزب الديمقراطي سنة 1976[1].

من خلال نشاط الجيل الثاني عرف المحافظون الجدد نقلة من المجال الثقافي إلى النشاط السياسي بالتركيز خاصة على السياسة الخارجية وهجومهم المستمر على الإدارة الأمريكية التي أبرمت اتفاقيات نزع السلاح (SALTII -ABM -SALT)، ورفضوا التساهل مع مسألة

* . ألبار وهلستيتر: استراتيǅي مؤثر ǅدا، باǴث مؤسسة راند و مستشار البنتاغون و أستاذ Ǻامعة شيكاغو نفس مرǴلة ليوشتراوس، و هو أǴد أباŏ العقيدة النووية للولايات ا تحدة الأمريكية. و قد عارô وهلستيتر الاتفاقات الثنائية بـ الولايات ا تحدة والإǾاد السوفيي ، Ǵيث كان يرʔ أن هذا الأŔȟ عدو للشعب الأمريكي.

[1].Vaisse Justin, Histoire du neoconservatisme aux Etats-Unis, op. cit., p. 25.

رفض هجرة اليهود السوفييت[1] إلى الأراضي الفلسطينية وتعتبر هذه المحطة الثانية الجسر الذي أوصل المحافظون الجدد إلى إدارة الرئيس رونالد ريغان Ronald Reagan، بعد أن تأكدوا بأن الرئيس جيمي كارتر Jimmy Carter لا يتفق مع توجهاتهم في السياسة الدولية للولايات المتحدة، وفي سنة 1980 أيد المحافظون الجدد ريغان الذي كان عضوا في لجنة الخطر الراهن. وقد عرف المحافظون مع ريجان كمجموعة منشقة عن الحزب الديمقراطي باسم ديمقراطيو ريجان Reagan's Democrats، حيث تفرقوا في المراكز الأكاديمية والبحثية والإعلامية من دون أن ينتظموا في حزب أو يشكلوا جسما سياسيا يمكن أن يشار إلى أدبه السياسي المكتوب أو إلى عقيدته الفكرية. وكانت هذه هي المرحلة التي تبلور خلالها تيار المحافظين الجدد، إذ ساعدت الحركات أو بمعنى أدق التقلبات الفكرية والسياسية التي مر بها المجتمع الأمريكي، على تشكيل بيئة خصبة لنمو أفكارهم و تبلور تيارهم الفكري والسياسي، وبداية ظهور أثرهم في السياسة الخارجية الأمريكية خاصة في إنشاء الصندوق الوطني من أجل الديمقراطية National Endowment for Democracy (NED) التي تهدف إلى مساندة مسار الدمقرطة في الخارج[2]، وعرفت هذه المرحلة ظهور مصطلح إمبراطورية الشر Empire du Mal و هذا في خطاب للرئيس ريغان أمام مجلس العموم البريطاني سنة 1982 حيث اعتبر الولايات المتحدة وحلفاءها إمبراطورية الخير التي عليها مقارعة إمبراطورية الشر المتمثلة في الإتحاد السوفيتي، ويؤكد استمرار المعاداة للشيوعية التي تعبر عن الخطر على قيم الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان في العالم[3]. وقام ريغان بتنشيط التحرك الخارجي*، والتأكيد على الدور الريادي للولايات المتحدة في تحقيق الانتصار على قوى الشر و هذا ما أدى إلى إعلانه عن برنامج حرب النجوم و الحرب على الإرهاب الدولي وزيادة الإنفاق العسكري بنسبة 35%.

- **الجيل الثالث:** بعد ريغان عرف المحافظون الجدد تقهقرا بسبب التفكك السوفيتي وزوال امبراطورية الشر التي كانت أهم ذريعة يستند إليها دعاة القوة والانتشار العسكري في الخارج، وبدأت هذه المرحلة بصعود جورج بوش الأب إلى السلطة وإعلانه عن النظام العالمي الجديد مبشرا بحقبة الإمبراطورية الأمريكية التي تنشر قيمها من داخل الحدود وليس من خارجها برفاهها ونجاحها كدولة رعاية، وتحد من تدخلاتها الخارجية وإتباعه الواقعية السياسية حسب كيسنجر والعودة إلى المدرسة الجفرسونية ورفض سياسة المحافظين الجدد[4].

---

[1] Vaisse Justin, op. cit,. p.19 .

[2] Kepel Gilles , Fitna Gurre au cœur de L'islam,Paris, Editions Gallimard, 2004 p. 73.

[3] سلوى ، سعد، المحافظون الجدد و ترسيخ بنية العنف في العلاقات الدولية، مجلة النبأ، العدد 78 ، رجب 2005، www.annabaa.org

* عرفت هذه المرحلة بتدخل عسكري أمريكي نشيط حول العالم و الفضاء، من أوربا الشرقية إلى الشرق الأقصى و الكورية مرورا بالشرق الأوسط و شمال إفريقيا (أفغانستان والحرب العراقية الإيرانية و لبنان و ليبيا) و انتهاء بأمريكا اللاتينية (نيكاراغوا).

[4] سلوى سعد، مرجع سبق ذكره.

ولعل حرب الخليج الثانية أكبر دليل على الحذر الذي ميز السياسة الدولية الأمريكية آنذاك واكتفائها بإخراج الجيش العراقي من الكويت في حرب عاصفة الصحراء دون تغيير نظام صدام حسين، رغم ثورة الأكراد والشيعة. ولم تختلف رئاسة بيل كلينتون Bill Clinton كثيرا عن سابقه رغم تموقع الحزب الديمقراطي في الوسط، وبعض المؤشرات الأخلاقية للرئيس كلينتون* التي أغرت لفترة قصيرة بعض الصقور[1]، لكن بعد ذلك ساد الاعتقاد بنهاية المحافظون الجدد إذ أدى فشلهم في العثور على عدو جديد إلى صعود أصحاب التوجهات الواقعية وسيطرتهم على السياسة الأمريكية، ونادى الواقعيون بالتروي في إطلاق مشاريع أمريكية كبرى، والتأني في استخدام القوة العسكرية الأمريكية و عدم الإسراف في زيادة نفقات الجيش الأمريكي[2].

منذ منتصف التسعينيات، نسج المحافظون الجدد شبكة واسعة لتعميم أفكارهم ونشرها، من بين مكوناتها الأساسية مراكز تفكير ومؤسسات بحثية مثل: معهد أمريكان إنتربرايز، ومشروع القرن الأمريكي الجديد ومعهد هيدستون، ومجلات فكرية واسعة الانتشار مثل ناشيونال رفيو، وكومنتري. وصحف شعبية رائجة مثل وول ستريت جورنال. وأمام التحديات الجديدة التي عرفتها مرحلة ما بعد الحرب الباردة وعودة الجمهوريين إلى الحكم مع جورج والكر بوش George W.Bush عرفت المحافظة الجديدة استفاقة جديدة وعرف الجيل الثالث تحولا كاملا نحو اليمين الجمهوري، والشخصيات الجديدة للمحافظين الجدد مثل وليام كرستول William Kristol إبن ارفنغ كرستول Irving Kristol و روبارت كغان Robert Kagan اللذان يكتبان في مجلة The Weekly Standard إحدى المجلات المهمة للمحافظة الجديدة و شارل كروثامر Charles Krauthammer ولاورنس كابلان Lawrence Kaplan وماكس بوت Max Boot ودوغلاس فايث Douglas Feith وميكائيل ليدن Michael Ledeen لم يكونوا في الحزب الديمقراطي وليسوا تروتسكيين قدامى بل رجال من اليمين المحافظ، رغم مبادئهم التي تتوافق أحيانا مع اليساريين حول بعض مسائل المجتمع. وأهم المسائل التي تعرض إليها الجيل الثالث من المحافظين الجدد هي الدور الذي يجب على الولايات المتحدة الأمريكية أن تلعبه في العالم، بزيادة قوتها والحفاظ على القيم الأخلاقية (الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان) بنشرها وتصديرها إلى كل الدول[3]. ويكن

* كلينتون الذي قرر القياǽ بتدǹ ǹارǽي ، الصومال و البلقان، دون أن ينتǰ رؤية واضحة أو متقدمة لدور أمريكا العاǁ، فقد رأى اǂافȊون اǲدد أن ǛǓ ة الصومال، و النصر غǞ ا كتمل البلقان، كن أن تطرح الشكوǯ ǵول ا صداقية الأمريكية.

[1] . قبيسي، هادي، السياسة اǂارǽية الأمريكية ب مدرستـ : اǂافȊية اǲديدة و الواقعية، الدار العربية للعلوǽ ناشرون، بǞوت، 2008، ǋ ǋ 20-25.

[2] . العناǃ، ǹليل، اǂافȊون اǲدد ǹططون لابتلاع العاǁ، العربية ǛعلاǽǓ، 4 ǯǞيران2003.

[3]**Ju**stin Vaisse, Les Néoconservateurs Américains et l’Europe: Sous Le Signe de Munich, www.vaisse.net/.../BiblioJustin-neoconservateurs_et_leurope-revue

المحافظون الجدد قدرا كبيرا من الرفض لدور المنظمات الدولية والقانون الدولي، وجهود الحد من التسلح، وبشكل خاص يعتبرون الأمم المتحدة تثبيط لمساعي الهيمنة الأمريكية، حيث يرون أن القوة العسكرية يجب أن تبقى أساسا رئيسيا للسياسية الخارجية[1]. وكان المحافظون الجدد قد حدثوا في وثيقة توحيد التخطيط الدفاعي[*] عام 1992 عن ضرورة اعتماد الضربة الوقائية Préemptive ضد الدول التي تمتلك أسلحة دمار شامل وهذا ما سمي مبدأ ولفوفيتز[2] والذي جاء فيه:

- الزيادة في ميزانية الدفاع.
- اتخاذ اجراءات عسكرية وقائية.
- استعمال القوة الأحادية مع أو بدون حلفاء، حيث يجب اللجوء إلى استعمال القوة إذا استدعى الأمر لذلك و هذا لمنع ظهور أي منافس محتمل للولايات المتحدة، و لتأمين الوصول إلى منابع النفط خاصة في الخليج الفارسي. ووضعت في الأدراج حتى أعادتها إلى الواجهة تحليلات كغان وكرستول من خلال مقالة بعث ريغانية جديدة في السياسة الخارجية[3] التي نشرت سنة 1996 وشرحا أهداف وثيقة التخطيط الدفاعي التي كانت نقاطها تمهيدا لما سمي فيما بعد مشروع من أجل قرن أمريكي جديد والذي يعتبر بدوره تمهيدا لمبدأ بوش فيما بعد.

المطلب الثاني : أفكار المحافظون الجدد

يصنف تيار المحافظين الجدد بأنه لصيق الصلة بإسرائيل، وحليف متعصب لها، إذ أن أكثر قادة ومنظري الجدد من المثقفين اليهود. ويعرف بعض المتخصصين هذا التيار بأنه نتيجة صراع نشب بين اليهود الليبراليين واليهود المحافظين حول السيطرة على وجهة يهود أمريكا الأيديولوجية. والمحافظون الجدد ليسوا جددا إلا في إعادة ممارسة دورهم وتوجهاتهم، لأن الفكر المحافظ هو لب القيم الأمريكية منذ تأسست الولايات المتحدة، وقد عادت هذه الخلايا النائمة إلى الظهور المتطرف من جديد بفضل النهج السياسي الذي اعتمده جورج بوش الابن. ويؤمن المحافظون الجدد بمجموعة من الأفكار التي تعتبر مبادئ

[1]Le Mouvement Juif Neoconservateur du Trotskisme au Bellicisme Sioniste

[*]. أعتبرت هذه الخطة مستحيلة التنفيذ إلا إذا حدث أمرا كارثيا يشبه حادثة بيرل هاربر حسب **مايكل ليدين** Michael Ledeen الذي قال قبل عامين من أحداث 11 أيلول 2001: «إن هناك حاجة إلى حادث **بيرل هاربور** جديد لحشد تأييد الشعب الأمريكي لطموحات المحافظين الجدد، وهي ضمان هيمنة سياسية واقتصادية على العالم». و هذا ما حدث فعلا يوم الثلاثاء الأسود 11 سبتمبر 2001.

[2]David Grondin, Une Lecture Critique du Discours Néoconservateur du Nouvel Impérialisme : La Lutte Globale Contre Le Terrorisme Comme Pax Americana, Études Internationales, Vol. 36, n° 4, 2005, p. 469-500,
in www.erudit.org.

[3] ibid., p. 477.

يضعون على أساسها برامجهم ونظرياتهم داخل الإدارة الأمريكية[1]، ويؤكد المحافظون الجدد ذلك : المشاركة في النقاشات العمومية وفي الشأن العمومي جعلت من المحافظون الجدد يروجون بفعالية لوجهات نظرهم في السياسة الخارجية، ورغم أن انتصارهم لم يكن مكتملا فإنه من الضروري التأكيد بأن هذه المجموعة من المثقفين والسياسيين تمكنوا من إيصال أفكارهم وكتاباتهم وإلى إسماع تعليقاتهم في أعلى مستويات السلطة وهذا في معركة مفتوحة ومتساوية مع الأفكار المنافسة[2].

1. الهيمنة الفاضلة (Hégémonie Bienveillante)

يؤمن المحافظون الجدد بدور القوة العسكرية كأداة أساسية لمواجهة التحديات والنزاع في العالم، والقضاء على الديكتاتوريات وهذا ما يعبر عن القيم الأمريكية ويخدم الأخلاق الوطنية للشعب الأمريكي والتي تعبر على الأخلاق العالمية، لأن الحرية والشرف والأمن حلم كل البشر ولا يمكن لأي كان أن يقبل الاستعباد والإستبداد[3]. والعلاقات الدولية بالنسبة لهم تقوم على القوة، كما أن السلام الحقيقي إنما يأتي فقط نتيجة للانتصار في الحرب، وليس بالدبلوماسية أو العدالة. وتمثل هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم، ضمان للأمن لأن الديمقراطيات لا تحارب الديمقراطيات الأخرى، وأن هناك تقارب في المصالح بين الولايات المتحدة وباقي الدول الأخرى[4]. وعلى الولايات المتحدة الأمريكية فرض قيمها، لأن الخطر بالنسبة للعالم ليس أمريكا نفسها لكن ضعفها . وخلال السنوات الأخيرة ساند المحافظون الجدد عددا من الأفكار التي اكتسبت رواجا واسعا في واشنطن، وعلى رأس هذه الأفكار الإيمان بأن أمام أمريكا فرصة غير مسبوقة لإعادة صياغة النظام العالمي، نابعة من حالة الفراغ التي يعشها العالم بعد سقوط الإتحاد السوفيتي، وهو فراغ يجب أن تملأه أمريكا من خلال الدور الرسولي الحتمي الذي يجب أن تضطلع به، ويعبر عنها كراوثامر Krauthammer باللحظة الأحادية التي تجمع بين الهيمنة التي أصبحت مكرسة ومقبولة من الآخرين، والقوة التي ليس لها مثيل من قبل والتي تعطي لها الريادة والقيادة على العالم، وهذا إيمانا بالتميز والاستثناء الأمريكي الذي يعطي لها إمكانية كسب رهان امتلاك القرن الجديد.

يرى هؤلاء أن الولايات المتحدة الأمريكية تمثل النموذج الوحيد والذي يجب الحفاظ عليه باعتباره نموذج الأرض الموعودة الحرة والجمهورية أو حملة من أجل الحضارة والديمقراطية . والعالم يبحث عن قائد، وأن أمريكا هي حتما هذا القائد، فسيطرة أمريكا

[1] . يمكن الإطلاع على المقال الموقع www.ifriqiyah.com/cnt/us/USArticle/120.htm

[2] David Grondin, Une lecture critique du discours néoconservateur du nouvel impérialisme, op,. cit. pp. 478-479.

[3] Gueldry Michel, Qu' est ce que le néoconservatisme ? www.cairn.info/article_p.php, p.58.

[4] ibid,. p58.

وسيادتها المطلقة على العالم هي مصدر الاستقرار. لذا فهم يرون أنه من الطبيعي أن يتوحد الغرب وغيره من دول العالم تحت القيادة الأمريكية لإعادة تشكيل النظام العالمي الجديد وتحقيق العالم الحر. وهذا ما يتضح في نص إستراتيجية الأمن القومي لسنة 2002 على أن القرن العشرين قد شهد الانتصار الحاسم للديمقراطية الليبرالية في معركة الأفكار[1].

2. وسائل تحقيق الهيمنة الأمريكية

حسب فرانسيس فوكوياما Francis fukuyama المحافظون الجدد يؤمنون بالمبادئ الأربعة الآتية[2]:

- القناعة بتأثير الخصوصيات الداخلية للأنظمة وأن السياسة الخارجية يجب أن تعكس القيم العميقة للمجتمع الديمقراطي الليبرالي. ومناهضة الشيوعية والإسلام الشمولي ليس فقط بالمعركة بين القوى من أجل تحقيق السيطرة، بل كفاح الأفكار والقيم.
- القناعة بضرورة استعمال القوة الأمريكية لأغراض أخلاقية وعلى الولايات المتحدة الاستمرار في التدخل في الشؤون الدولية، لكون الأمريكيين الأقوى على الإطلاق.
- عدم التسلط على المجتمع مثل الشيوعية التي تتدخل في كل شيء فالمحافظة الجديدة ليست نظرية اقتصادية بل مبدأ للسياسة الخارجية والتي تهتم بنقاط معينة.
- التشاؤم من دور و شرعية المؤسسات الدولية لفرض الأمن والعدالة، ويجب التأكيد على أن المؤسسات الدولية تمثل عرقلة لبروز حقوق الإنسان والديمقراطية وهذا كون أكثر الديكتاتوريين أعضاء فيها (الصين وروسيا داخل مجلس الأمن) يلاحظ ما يحدث في دارفور وحماية الصين للنظام السوداني لتأمين حاجياتها من المواد الأولية. في كتاب الخطر الراهن Present Dengers الذي نشر في سنة 2000 للثنائي ويليام كرستول وروبرت كغان، ينددان بوضوح التردد الأمريكي للمحافظة على هيمنتها الفاضلة L'hégémonie bienveillante، ويدعوان لمحاربة كل ظواهر الشر الإنساني وهذا باستعمال الهيمنة الفاضلة للولايات المتحدة على العالم[3]. في سنة 1996 كتب كل من وليام كرستول وروبرت كغان مقالا في مجلة الشؤون الخارجية عن تشابك المحافظين الجدد في الحزب الجمهوري حسب أسس الريغانية الجديدة، في هذا يعتبر كغان وكرستول أن التعددية القطبية والاتفاقات الثنائية التي أبرمها الديمقراطيون المثاليون ليست

[1]. Akli Le Coq , Les néoconservateurs , Du centre vital à l'Axe du Mal ,Master I EEAI, Université de Sergy-Pontoise , France , p. 36.

[2] فرانسيس فوكوياما، أمريكا على مفترق الطرق، مرجع سبق ذكره، ص 21.

[3] المرجع السابق، ص ص 64-68.

كفيلة بتحقيق السلم في العالم الذي يتميز بالفوضى. والسبيل الوحيد لتحقيق السلم والأمن ضد تهديدات الطغيان والأنظمة التي لا تحترم اقتصاد السوق هو تغيير هذه الدول إلى الديمقراطية الليبرالية ويمكن توضيح وسائل التغيير في ثلاث محاور:[1]

- الحفاظ على التفوق العسكري الأمريكي مع الرفع المستمر لميزانية البحث والتنمية .
- الأولوية للحلف الأطلسي بدل الأمم المتحدة
- الدرع الصاروخي الذي يجعل من الولايات المتحدة غير مخترقة.

وهذا ما يعبر عنه عن طريق الإعلان عن إنشاء مركز تفكير في يوم 03 جوان 1997 الذي أطلق عليه إسم المشروع من أجل قرن أمريكي جديد Le Project for a New American Century (PNAC)، واستعمال عبارة القرن الأمريكي تبين النية في السيطرة الأمريكية على العالم والعمل على تأسيس أولى اللبنات لتحقيق حلم الآباء المؤسسين، الذين وصلوا لتحقيق دولة متميزة في العالم الجديد، ويعتبر التميز إحدى التقاليد التي بنيت على أساسها السياسة الخارجية للولايات المتحدة منذ البداية (جورج واشنطن وجون كوينسي آدم) إلى رؤساء القرن العشرين (ويلسن وهاري ترومان ورونالد ريغان وصولا إلى جورج والكر بوش).

ومن بين ما يؤمن به المحافظون الجدد أن من واجبهم التعجيل بعودة المسيح إلى الأرض، لتحقيق نبوءة الكتاب المقدس بشن الحرب على المسلمين والاستيلاء على كل الأراضي المقدسة. وهم ينظرون بعين التطرف إلى الآخر ويرونه أيا كان عدوا يجب استئصاله.

وفي مجال الاقتصاد، تبنى المحافظون الجدد الليبرالية الجديدة التي تستند إلى فرض الأمركة على نظام العولمة، وما تتضمنه من تدويل واسع على صعيد الإنتاج والتبادل، وتداول الخدمات والمال والاتصالات والمعرفة ومنظومة القيم والأفكار. كما تبنوا سياسة اجتماعية منحازة لصالح الأثرياء والشركات الرأسمالية الكبرى، على حساب مصالح الفقراء وشرائح واسعة من المجتمع. وكانوا قد رفضوا الثورة الثقافية التي اجتاحت أمريكا في الستينات، والتي نادت بالتعددية الثقافية وحقوق الأقليات والنساء، إذ رأى الجدد أن ذلك من شأنه أن يضعف أمريكا.

وكان الرئيس الأمريكي، جمي كارتر، قد نبه في كتابه: القيم الأمريكية المعرضة للخطر إلى أن المحافظين الجدد الذين روجوا لفكرة أنه إما أن تكون معنا أو أن تصبح ضدنا أصبحوا بفلسفتهم الإمبريالية يشكلون أكبر خطر على سمعة الولايات المتحدة في العالم.

---

[1] فرانسيس فوكوياما ، أمريكا على مفترة الطرق، مرجع سبق ذكره، ص ص 66-67.

المبحث الثاني : الفلسفة والدين في فكر المحافظين الجدد

المطلب الأول: شتراوس والمحافظون الجدد

تلتقي أفكار المحافظون الجدد مع الفيلسوف ليو شتراوس من خلال أهم المعارك الفكرية التي تبناها هذا المفكر و التي ظهرت من خلال مؤلفاته التي ابرز فيها ميوله و حنينه إلى عالم الأخلاق، و الحقيقة التي بحث عنها أسلافه من الفلاسفة الغربيين القدامى، و الذين بحثوا عن أحسن نظام سياسي يمكنه أن يوفر للإنسان الأمن و الحق في الحفاظ على حياته، داخل منظومة أخلاقية راقية تحميها الفلسفة و العقل .

ويظهر تبني المحافظون الجدد لأفكار ليو شتراوس في السير على نفس النهج في معالجة القضايا المصيرية التي تواجه استمرار عالم الحرية والخير ضد الأخطار الآتية من عالم الطغيان و الشر ويمكن سرد أهم نقاط الالتقاء بين المعلم شتراوس و تلامذته المحافظين الجدد:

1. **معاداة الشيوعية:**

حسب نورمان بودهورتز و إرفنغ كرستول معاداة الشيوعية والعمل على القضاء عليها كان الهاجس المسيطر على المحافظون الجدد فيما يخص جانب الشؤون الخارجية[1] ، و يتقاسم معهم شتراوس نفس الهاجس والرفض للنظام الشيوعي الذي يعتبره خطرا على العالم الحر، والمبادئ التي يؤمن بها العالم الديمقراطي. ويؤكد ذلك في كتابه المدينة والإنسان La Cité et l'Homme: « الشيوعية ستبقى ما دام لا تسمى الأشياء بأسمائها ، فاليد الحديدية للطاغي التي يتحكم فيها الخوف من الثورة على حكمه والتي تجعله إما لينا أو صلبا. والحدود الوحيدة للشيوعية والتي يمكن للغرب أن يضع ثقته فيها هي خوف الطاغي من القوة العسكرية الكبيرة للغرب»[2]. وخوف شتراوس من الشيوعية التي يراها العدو الفعلي للحرية والديمقراطية والتي يعتبرها التعبير الحقيقي للطغيان الذي يمكن أن يتكرر يمتد ويتوسع عن طريق الإمكانيات التي توفرها له الحداثة من تكنولوجيا وإيديولوجيا يمكنها أن تغذي الشعور بالتفوق[3]. ويستند شتراوس في اعتقاده بالخطر الشيوعي من المبدأ الكوني الذي اقتبسه من الفيلسوف توسيديد Thucydide والذي يؤكد على النزعة التوسعية التي تتميز بها الدول القوية، وكل دولة قوية تبحث لفرض نفسها على الدول الضعيفة حسب ما تتطلبه مصلحتها، وهذه القاعدة صحيحة بالنسبة للآثينيين أثناء الحروب البونية وهي صحيحة بالنسبة للإتحاد السوفييتي أثناء الحرب الباردة[4] .

---

[1] Norman Podhoretz, « Neoconservatism a Eulogy »,in: Bréchot, François-Xavier, Le philosophe et les Idéologues, op. cit., p. 70.
[2] Leo Strauss,, La Cité et L'homme, op. cit., p. 71.
[3] leo Strauss, de la tyrannie, op. cit., pp. 393-394.
[4] Leo Strauss, in: François-Xavier Bréchot, Le Philosophe et Les Idéologues, op. cit., p. 70.

لدى المحافظين الجدد نفس الرؤية والمعاداة للشيوعية باعتبارها ترجمة للأنظمة الشمولية والديكتاتورية والتي تبحث للتوسع وغزو العالم عن طريق القوة. ويتفق المحافظون الجدد مع شتراوس في الثقة التي يوليها للقدرات العسكرية والتكنولوجية للولايات المتحدة الأمريكية التي يمكن أن تردع المسؤولين السوفييت، وهذا ما يزيد في اصرارهم على رفض اتفاقيات مراقبة التسلح وتخفيض ميزانية الدفاع.

2. مجابهة الأنظمة الشمولية والطاغية :

بالنسبة لشتراوس المسألة السياسية التي تهتم بها الفلسفة السياسية هي البحث عن أحسن نظام سياسي، وهذا لأن طبيعة هذا الأخير تؤثر بشكل أساسي في باقي مكونات الساحة الاجتماعية العامة والخاصة، فالنظام السياسي حسب شتراوس يعبر عن الشكل. و النمط المعيشي والاختيارات المعنوية للمجتمع، إلى جانب شكل الدولة والحكومة وروح قوانينها[1]. هذا ما يفسر اعتبار شتراوس بأن الصراع بين الشيوعية والديمقراطية الليبرالية أهم موضوع سياسي لما بعد الحرب العالمية الثانية[2]، ويعتبر أن على كل ديمقراطي يحترم نفسه المساهمة بفاعلية لمواجهة الشمولية الشيوعية التي تعبر عن الشر.

يؤكد شتراوس مستندا إلى أرسطو الذي يعتبر بأن هناك أنظمة سياسية مختلفة وكل نظام يحاول أن يظهر بأحسن شكل ممكن، ومن الضروري معرفة حقيقة النظام الأحسن والذي يعطي شكل المدينة من جهة ويمنح حق المواطنة من جهة أخرى[3]. كما أن نهاية النظام تتعلق بالنظام نفسه ووجوده يتحدد بالأهداف المسطرة، ولا يمكنه البقاء إذا انتهت الأهداف، بعكس المواطنين الذين يستمر بقاءهم، وهذا ما يجعل أرسطو يستخلص بأن تغيير النظام يؤدي إلى تغيير شكل المدينة[4]، وهذا لا يعني أن المدينة قد زالت، كما زال النظام، لكن أصبحت مختلفة تماما باعتبارها تهتم بأهداف تختلف كلية عن الأهداف السابقة.

هنا تبرز نقطة الالتقاء بين شتراوس و المحافظين الجدد الذين يؤمنون بفكرة تغيير النظام Regime change في مجتمع معين، من نظام ديكتاتوري مثلا إلى نظام ديمقراطي ليبرالي والذي يحول شعب ذلك المجتمع إلى ديمقراطي تماما، لأن النظام الديكتاتوري حسب الجدد لا يهتم بأمور رعياه ويمنعهم من التمتع بالحرية، لذلك يجب قلب هذا النظام وتغييره بالديمقراطية الليبرالية. ودعوة المحافظين الجدد لدمقرطة الشرق الأوسط والعمل على تغيير

[1]Leo Strauss, in: Bréchot, François-Xavier, op,.cit. p. 71.
[2]ibid., p.71.
[3]Leo Strauss, Nihilisme et politique, op. cit., pp. 140-146.
[4]Leo Strauss, in: Bréchot, François-Xavier, Le Philosophe et Les Idéologues, op. cit., p.72.

النظام في أول فرصة سانحة، تدخل ضمن هذا المسعى الذي يبرز في تحقيق المجال الذي يسمح للولايات المتحدة العمل بمبدأ السلام الأمريكي في ظل السلام الديمقراطي .

3. **رفض نسبية القيم** :

رفض شتراوس طيلة حياته التيار الفكري الذي يعتبره محطما لقيم الديمقراطية الليبرالية، ويقصد بذلك الوضعية والتاريخانية، فالأولى تؤدي إلى العدمية بسبب النسبية التي تتبناها في تفسيرها لمختلف الظواهر والثانية تؤدي إلى نفي الفلسفة بسبب تبني فكرة التطور التاريخي للفكر البشري وتعذر الوصول لحقيقة معينة[1]. وتماشيا مع نفس الفكرة يتضح رفض المحافظون الجدد للصور الثقافية التي ظهرت في الستينات من القرن الماضي، أي ضد النسبية وتحرير السلوك والعادات، التي أدت بالأمريكيين إلى الانسلاخ من قيمهم الحقيقية وفقدان الثقة في التفوق المعنوي للديمقراطية الليبرالية ضد الشمولية الشيوعية السوفييتية، مما أدى إلى تهديد بقاء النظام الديمقراطي في الولايات المتحدة، ويأتي هذا مع اعتقاد عدد متزايد من الأمريكيين بعدم وجود فرق بين النظام السوفييتي والنظام الأمريكي.

وهذا طبعا ما أثار النزعة الوطنية لدى المحافظين الجدد وجعلهم يبرزون بقوة وفاعلية من خلال مواقعهم كمثقفين وجامعيين، يحملون القيم التي تعبر عن الحلم الأمريكي ورغبة البقاء كأحسن نظام، يترجم التطلعات الإنسانية نحو عالم السلم والأمن، والاهتمام بتحسين الوضع الثقافي الداخلي يعبر عن الإرادة في استمرار السيطرة والقوة التي تمنح للولايات المتحدة البقاء سيدة القرون القادمة[2]، و يعبر ألان بلوم Allan Bloom عن رفضه لما آلت إليه الأوضاع الداخلية للولايات المتحدة في كتابه انغلاق العقل الأمريكي[3]. و يحاول من خلال ذلك إيجاد الحلول الكفيلة بتنبيه المجتمع الأمريكي من الأخطار المحدقة والتي يمكن أن تقضي على هيمنة القوة الأمريكية وانهزام القيم التي تعبر عن العالم الحر الذي سعى إليه الآباء المؤسسون.

4. **الثقة في تفوق القيم الديمقراطية:**

انطلاقا من خيبة أمله من فشل جمهورية فيمار Weimar الألمانية أمام تصاعد النازية سنوات 1920 و 1930 أصر شتراوس على إبراز تفوق قيم الديمقراطية الليبرالية وحقوق الإنسان عن قيم الشيوعية والديكتاتوريات بمختلف أشكالها، ويرى شتراوس أن الضعف

[1]Leo Strauss, in: Bréchot, François-Xavier, Le Philosophe et Les Idéologues, op. cit., p.72.
[2]ibid., p. 73.
[3] أحد طلبة شتراوس امعة شيكاغو، عرف واقفه اه الثقافة ا ضادة، ومن خلال كتابه ا ذكور، حاول بلوم وصف الأحوال ا طة ا الت إليها الأوضاع أمريكا، بسبب ما يسميه انغلاقات الليبرالية الذين سببوا تنامي الفساد الأخلاقي، واللامبالاة بالأخطار ا تترصد بالد قراطية الأمريكية.

الذي ميز الساحة الألمانية في تلك المرحلة جعل المجتمع الألماني يدير وجهه للديمقراطية الليبرالية نحو العدمية الألمانية[1].

بالنسبة لشتراوس والمحافظين الجدد على الديمقراطية الليبرالية ان تدافع عن نفسها وتجسد تفوق مؤسساتها وقيمها الحضارية عن باقي الأنظمة، ولابد لها أن تعبر عن افتخارها بذلك. والوضوح الأخلاقي الذي يميز الحضارة الغربية، يجب أن يلغي النسبية التي تمنح إمكانية إعادة النظر في الديمقراطية الليبرالية، وهذا ما يؤدي إلى ضعف نسبية الخير في مواجهة تجسد الشر المتمثل في الطغيان[2].

ويتقاسم كل من شتراوس والمحافظون الجدد فكرة الديمقراطية القوية والتي تتقن استعمال القوة لفرض احترام مصالحها وقيمها، ويستشهد شتراوس بجمهورية فيمار Weimar التي أدى ضعفها إلى زوالها السريع. فالعدالة واحترام القواعد والقوانين الأساسية تستلزم الاعتماد على القوة وهذه إحدى المبادئ التي يؤمن بها المحافظون الجدد ويحسنون التعبير عنها عند أول فرصة تمنح لهم في تصورهم للسياسة الدولية للولايات المتحدة الأمريكية[3].

5. الأحادية كمبدأ للسياسة الخارجية :

- **عالم فوضوي**

يرى شتراوس أن الأوضاع السياسية للحرب الباردة والقرن العشرين، لم تختلف عن سابقاتها من الأوضاع السياسية الماضية، باعتبار الجنس البشري ما يزال منقسما إلى دول منفصلة بحدود والتي تختلف عن بعضها البعض بأنظمة سياسية وبرؤيتها للمستقبل، مما يفسر صعوبة التعايش السلمي بين هذه الدول التي تتواجه في مراحل معينة[4]. مما يبرر كذلك مسألة استمرار كل دولة في تبني سياسة خارجية خاصة بها والتي تهدف بالأساس إلى ضمان الأمن القومي الذي يضمن لها البقاء والاستقلال.

يرى شتراوس أن السياسة الخارجية والسياسة الداخلية عليها أن تتلازمان من أجل وظيفة أساسية وهي تحقيق الخير والسعادة للمجتمع، مع إمكانية العيش حياة جيدة ومطابقة للفضيلة[5].

وبالنسبة للمحافظين الجدد يميلون إلى تبني فكرة أن العالم مشكل حسب حالة الطبيعة لهوبز Hobbes، عالم خطير وفوضوي وكل دولة تشكل خطرا على جاراتها، حيث الحرب حاضرة دائما والقوة وسيلة السياسة الخارجية. وهذا ما يتطلب الحزم في القرار

[1] Leo Strauss, Nihilisme et politique, op. cit., p. 41.
[2] François-Xavier Bréchot, Le Philosophe et Les Idéologues, op. cit., p.74.
[3] ibid., p. 74.
[4] ibid., p. 75.
[5] Leo Strauss, La Cité et L'homme, op. cit., p. 75.

الخارجي الذي يجب أن يكون في يد القادة الوطنيين الذين يهدفون إلى ضمان الأمن والعيش الجيد للمواطنين[1].

ففي مذكرة استراتيجية كتبها، يقول لاروش: « إن هدف الآفة المسماة إدارة بوش تشيني هو إزالة كل ما يتعلق بوجود الدولة القومية ذات السيادة، وذلك باستخدام أداة الحروب الأبدية »[2]. وكتب لاروش مخاطبا بشكل خاص أولئك الذين يعتقدون في دول العالم وداخل الولايات المتحدة أن بمقدورهم العيش مع فترة رئاسية جديدة لبوش وتشيني، ما يلي: « إن هدفهم هو ليس إخضاع مناطق معينة سياسيا كمستعمرات، بل إزالة جميع المعوقات التي تقف في طريق النهب الحر للكوكب (الأرض) ككل. إن نيتهم هي ليست فتح أراضي جديدة، بل تحقيق إزالة كل بقايا السيادة القومية وتقليص عدد سكان العالم من البشر إلى أقل من مليار نسمة... فهدفهم في أفغانستان والعراق على سبيل المثال هو ليس السيطرة على هذين البلدين، بل إزالة أمم قومية عن طريق إطلاق قوى الفوضى والدمار. هكذا سيكون من قبيل خداع النفس بشكل كبير اعتبار فشل العمليات العسكرية في العراق كفشل لنية إدارة بوش. فنيتها هي التدمير الذاتي لآخر بقايا سيادة الدولة القومية، وهذا ما يحققون فيه نجاحات كبيرة في الوقت الراهن»[3].

وتحت عنوان: كسر نظيف: إستراتيجية جديدة لتأمين مملكة (إسرائيل) تم صياغة وثيقة في العام 1996، على يد مجموعة من مفكري المحافظين الجدد، تضمنت مشروعا استعماريا واسعا للشرق الأوسط، وقد هيئت من قبل فريق من الخبراء جمعهم ريتشارد بيرل ثم أعطيت لبنيامين نتنياهو. و باختصار فإنها تمثل أفكار وأطروحات الصهيوني فلاديمير جابوتينسكي، إذ دعت الوثيقة إلى: «إلغاء اتفاقيات أوسلو للسلام، والقضاء على الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات، وضم الأراضي الفلسطينية، إلى جانب الإطاحة بصدام حسين لزعزعة استقرار سوريا ولبنان في سلسلة من الأحداث و تفكيك العراق وإقامة دولة فلسطينية على أراضيه. واستخدام إسرائيل كقاعدة تكميلية لبرنامج حرب النجوم الأمريكي».

6. رفض التعددية الدولية:

يعارض شتراوس لفكرة الفيدرالية أو الدولة الكونية وهذا لثلاث أسباب[4]:

- صعوبة تحقيق التجانس والوفاق بين شعوب العالم، والجمع بين المصالح التي تعبر عنها السياسة الخارجية لكل دولة.
- الأمم المتحدة تجمع بين الأضداد، أي بين العالم الديمقراطي الحر وعالم الشمولية الشيوعية، وتعتبر الأمم المتحدة بذلك خطرا كمرحلة للانتقال إلى الفيدرالية الكونية، لأن التعايش السلمي بين النظامين أمر مستبعد و مرفوض.

[1] François-Xavier Bréchot, Le Philosophe et Les Idéologues, op. cit., p.75.

[2] نداء لاروش عن المحافظين الجدد larouchepub.com.arabic

[3] نفس المرجع السابق.

[4] François-Xavier Bréchot, Le Philosophe et Les Idéologues, op. cit., p.76.

• الدولة الكونية يمكن أن تتحول إلى طغيان كوني، وهذا أمر مرفوض ومجازفة غير ملائمة وبطبيعة الحال لا يختلف المحافظون الجدد مع هذه الرؤية الشتراوسية، حيث يعارضون التعددية القطبية، ويفضلون انتهاج سياسة خارجية أحادية من أجل تحقيق المصالح الأمريكية، ويفضل الجدد سياسة التحالفات التي يرون فيها مهمة لمساعدة أمريكا في تحقيق مساعيها الكاملة وأهداف سياستها الدولية.

المطلب الثاني : تحالف المحافظون الجدد والإنجيليون الجدد

التقت أفكار المحافظين الجدد منذ ظهورهم مع اليمين الأمريكي والتيار المسيحي المتطرف، إذ تحالفوا مع الجناح اليميني في الحزب الجمهوري، وجماعات الأصولية المسيحية القريبة جدا من اللوبي اليهودي، وهو تحالف اعتمد عليه المحافظون كثيرا في الوصول إلى السلطة. ونظرا لأن المحافظين الجدد هم في الأساس مدرسة فكرية سياسية، لا تملك قواعد جماهيرية انتخابية حقيقية، فقد اعتمدوا على الجمهوريين، والجماعات اليمينية، والناخبين الإنجيليين، وأثرياء الجنوب الأمريكي، و قوى المحافظين التقليديين بولايات الجنوب والغرب الأمريكي[12].

مما سبق يمكن أن أجري مسحا لأهم مكونات هذه العصبة من المثقفين والسياسيين والفلاسفة والذين تمكنوا من تشكيل مختلف تحالفات المحافظين الجدد، بالعودة إلى أهم المطالب والانشغالات التي تربطهم بالتيارات الأخرى؛ ويصف جون ميكلثوايت John Micklethwait و أدريان وولدريدج Adrian Wooldridge: في كتابهما [*]أمة اليمين قوة المحافظين في أمريكا[2] The Right Nation تطور المحافظين وتحويلهم لمركز الثقل السياسي الأمريكي إلى أمة يمين، وبلد متيقن بتوجهه اليميني الفريد. و يروي الكاتبان طبيعة هذه الحركة التي تتميز بالحيوية والتطلع إلى المستقبل، وكيف أن المحافظين لا يمثلون حركة إيديولوجية بقدر ما يعتمدون على لقاء وتناسق تيارات مختلفة ذات حساسيات متفاوتة ومتناغمة من أجل هدف واحد، تطورت من خلال ثلاث مراحل، بدأت بتجديد الفكر المحافظ ابتداء من الخمسينات من القرن العشرين حول شخصيات بارزة و نواة صلبة لمراكز التفكير والمجلات المتخصصة التي

---

[1]. ǱӦون ميكلثوايت و أدريان وولدريدǯ، أمة اليم قوة ‡اﻓ̹ أمريكا، ترǷة عبد الوهاā علوā، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ̂ 103.

[*]. ǳتوي كتاā "أمة اليم :قوة ‡اﻓ̹ أمريكا" ـراسلي ƒلة ذا أكونوميست اﻟ يطانية الولايات اﳌتحدة إدريان وولدريدǯ وǱӦون مايكلثوايت على عدد يصعب ǵصره من الأفكار اﳌثƘة عن مدɁ وأسباā قوة التيار ‡اﻓ̽ الولايات اﳌتحدة ǹلال الفترة اﳊالية، فالكتاā أشبه ـوسوعة شاملة تتضمن ـتلف القضايا اﳌثارة ǵول اليم الأمريكي.

[2] ǱӦون ميكلثوايت، و أدريان وولدرﻳǰ، ، أمة اليم : قوة ‡اﻓ̹ أمريكا، ترǷة: عبد الستار علوā، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأو ، القاهرة،2007، 490 ̂ .

تركز على إصدار دراسات التي تتضمن أفكار وأطروحات لإدارة السياسة العامة في الولايات المتحدة، والسعي لإقناع الإدارة والكونجرس بتبني هذه السياسات، مثل معهد أمريكان إنتربرايز ومؤسسة هيريتدج و معهد كاتو للأبحاث العامة. إلى جانب تحول في الحزب الجمهوري في السبعينات وهذا باستعادة الوعاء الانتخابي للجنوب*ولولايات الغرب الأمريكي، وتطوير أساليب جديدة للتنظيم النضالي والإعلامي المستند على شبكة من وسائل الإعلام المستقلة المتبنية للقضية اليمينية، ومهمتها حشد أصوات الناخبين اليمينيين و ربطها بالقضايا والسياسات والترويج لساسة معبرين عن مصالح اليمين الأمريكي، ويمثل هذا التيار منظمات مثل التحالف الأمريكي المحافظ و التحالف المسيحي[1].

1. **التصنيف الإيديولوجي لليمين الأمريكي:** قسم ميكلثوايت و وولدريج اليمين الأمريكي من الناحية الإيديولوجية إلى[2]:

أ. **المحافظون الجبائيون** conservateurs fiscaux : و هم من مؤيدي الاقتصاد الحر ومناهضي تدخل الدولة و يعرفون بضد الضرائب anti-impôts، و حماية الحريات الفردية ضد أي نوع من أنواع تدخل الحكومة الفيدرالية؛ وتنسب إلى هذه الفئة الانخفاض الكبير للضرائب الذي عرفته إدارة الرئيس ريغان، والعصيان داخل الحزب الجمهوري في فترة رئاسة بوش الأب الذي قام برفع الضرائب مخالفا بذلك وعوده الإنتخابية. وينشط المحافظون الجبائيون داخل مراكز تفكير تدخل ضمن مناهضة رفع الضرائب والحكومة مثل Grover Norquist, Americans for Tax Reform ويعتبر السيناتور ديك آرمي Dick Armey من أهم المؤيدين لهذا الخط الذي ساعد نيوت جانغريش Newt Gingrich في كتابة العقد من أجل أمريكا** Contract for America تمهيدا لعودة السيطرة على الجهاز السياسي الأمريكي لصالح المحافظين في فترة رئاسة كلينتون سنة 1994، حين تمكن الحزب الجمهوري من استعادة سيطرته على مجلس النواب الأمريكي وهي المؤسسة الأكثر تعبيرا عن إرادة الجماهير المباشرة من بين المؤسسات الفيدرالية الأمريكية ويعتبر آرمي رئيسا لشبكة الأعمال الحرة الناشطة ضد الإصلاحات الخاصة بالائتمان الصحي.

---

* و لعل وجود الجنوب لا يستهان به خاصة أتباع ا ـاـ الإنجيلي Bible Belt حيث أصبح دور هذا الجنوب العميق مهم جدا سياسة الولايات ا تحدة، عن طريق رجال مثل جون أشكروفت John Ashcroft وزير العدل و العديد من القادة الدينيـ ا تعصب وا تشددين و القريب من السلطة، آم أصول جنوبية.

[1] . جون ميكلثوايت و أدريان وولدريدج، مرجع سبق ذكره، ـ 26.

[2] John Micklethwait and Woodridge, The Right Nation : why America is Different, Penguin, 2004, in, Anne-Lorraine Bujon de l'Estang, Au cœur de l'Amérique le mouvement des Tea Parties : texte publié sur le site de l'Institut français des relations internationales, 2010.

** عرفت سنة 1994 تحقيق ا ـاـ الجمهوري الأغلبية الكونجرس، ـا ـح ل نيوت جانغريش الذي تو رئاسة بتمرير ما ـي بالعقد من أجل أمريكا..

ب. **المحافظون الإجتماعيون** conservateurs sociaux: وهم فئة ناشطة ومنظمة حول مسائل الدين والمجتمع : الإجهاض وعقوبة الإعدام والصلاة في المدارس والشواذ جنسيا *

ج. **المحافظون الوطنيون العسكريون** patriotes militariste: الفئة الثالثة تتمثل في الوطنية العسكرية الذين يتميزون بافتخارهم من كونهم أمريكيون، ويعتبر باري جولدوتر Barry Goldwater من رواد المحافظون الوطنيون العسكريون، وعرف برفضه لقانون الحقوق المدنية للسود، ومعاداة الشيوعية، ورغم إخفاقه في الانتخابات الرئاسية لسنة 1964 أمام ليندون جونسون، إلا أن برنامجه الانتخابي ترك بصمات واضحة في اليمين واليسار، وكان ريغان من أشد المتأثرين بخطاباته مما جعله يعتمد على نفس الخط السياسي لجولدوتر عندما تولى الرئاسة سنة 1980 وبمساندة الولايات الجنوبية والغربية للولايات المتحدة فالجنوب الأمريكي لديه دور في منطق الحرب وتقوية المركب العسكري صناعي وهذا ما توضحه مجلة Counter Punch : الجنوب لا يمثل سوى ثلث 1/3 من مجموع السكان و لكن يمثل 42% من مجموع الجنود الأمريكيين و56% من الجنود المتواجدون على التراب الأمريكي رابضون في الجنوب .وينتج الجنوب أكبر كمية من الأسلحة حيث تحصلت مصانعه سنة 2001 على 43% من كل عقود الأسلحة المتفق عليها في الولايات المتحدة، وأكثر من ثلثي2/3 الأسلحة الأمريكية المستعملة في إسرائيل منتجة في المصانع التي تمتلكها كبريات شركات الأسلحة في الجنوب، والساسة الجنوبيون داخل الكونجرس لا يعترفون بأفكار السلم والدبلوماسية في السياسة الخارجية[1]. وعرفت فترة ريغان استثمارات كبيرة في المركب الصناعي العسكري، مجسدة في برنامجه حرب النجوم وسياسته في شد الخناق على الخصم الشيوعي، ليصبح ريغان التجسيد الفعلي للتقاليد الجاكسونية للسياسة الدولية الأمريكية ذات السمات الوطنية والتنافسية والقناعة بأن الولايات المتحدة قوة من أجل الخير، وأن لديها الحق في نشر تأثيرها باستعمال القدرات العسكرية[2].

2. المحافظون الجدد واليمين المسيحي الصهيوني:

أ. التعبئة الدينية:

يقول ارفينغ كرستول مؤسس حركة المحافظين الجدد: « فكرة أن مجتمع علماني بحت يمكن أن يتعامل مع كل هذه الأمراض الرهيبة التي تؤثر على مجتمعنا الآن، اعتقد أنه تبين أنها كاذبة. وهذا ما جعلني محافظا ثقافيا. أنا اعتقد حقا أن الدين له دور يؤديه الآن في إنقاذ البلاد. والليبرالية ليست مستعدة لإعطاء الدين دورا. المحافظة مستعدة لمنحه هذا الدور، و لكن لا نعرف كيف نفعل ذلك»[3]. كان الحصول على دعم البروتستانت الأصوليين مهما بالنسبة للحزب الجمهوري، ثم أضيف إلى ذلك قناعة مفادها أن الحزب بحاجة إلى دعم الطبقات المتوسطة أيضا وليس فقط شريحة متدينة بعينها. وكان هناك إدراك بأن

---

[1] Éric Laurent, Le Monde Secret De Bush, Paris, Pocket, 2004, p105.
[2] ibid., p. 106.
[3] صفوان محمد سلامة البنا، مفارقات الصليبيين الجدد قصة صعود تحالف اليمين المسيحي والمحافظين الجدد الولايات المتحدة، http://www.hewarye.com/3040.html

السياسات الاقتصادية للجمهوريين تضر نفس الطبقات التي يسعى الحزب إلى كسب تأييدها، حيث إن الحزب متمسك بمبادئ الاقتصاد الحر ما يقلص من البرامج الحكومية التي تدعم الطبقات المتوسطة والمنخفضة الدخل. فما المبرر الذي سيقنعهم بتأييد الحزب الجمهوري رغم سياساته الضارة؟ وجد الجمهوريون الإجابة فيما يسمى المبادئ المسيحية أو المبادئ الأسرية Family Values. وهكذا بدأ التيار اليميني يدعي أنه المحافظ الرئيسي على الأخلاقيات المسيحية الأصيلة التي فقدت في المجتمع نتيجة صعود التيارات الليبرالية، وهكذا تحول الحزب الجمهوري من حزب الأثرياء إلى حزب الأخلاق المسيحية[1].

بحلول أواخر السبعينات، كان هناك الملايين من الأصوليين المسيحيين في أمريكا، ولكن دعاتهم كانوا دائما ينصحونهم بعدم التصويت لأن الناخب يعرض نفسه للإثم بالتصالح مع مجتمع غير أخلاقي محكوم عليه بالهلاك. هذا ما جعل المحافظين الجدد وحلفائهم الجمهوريين بالاقتراب والتحالف مع عدد من الدعاة الأقوياء، الذين شجعوا أتباعهم على الانخراط في السياسة للمرة الأولى. يقول الواعظ الأصولي جيمس روبنسون: « سئمت من سماع الراديكاليين، والمنحرفين، والليبراليين واليساريين والشيوعيين الذين يخرجون من جحورهم وقد حان الوقت لرجال الرب للخروج من حجراتهم، ومن كنائسهم ، ليغيروا وجه أمريكا، يجب أن نفعل ذلك».

كانت حركة المحافظين الجدد، حتى تلك اللحظة، أساسا حركة فكرية، لديها بعض المفكرين المرموقين، لكنهم لا يملكون الكثير من الجنود. لم يكن لديهم أي فيالق*؛ لكنهم تمكنوا من تحريك الملايين من الناس عبر تحالفهم مع الإيفانجيليين الجدد. ومن الطرق التي أصبح فيها الدين** منخرطا في الحياة السياسية الأمريكية: عمل الجماعات الدينية كجماعات مصالح ومحاولتها التأثير على المسار السياسي بأساليب متنوعة، وتظهر الكتب ذات الموضوعات الدينية في قائمة الكتب الأكثر مبيعا***، كما أن هناك مئات المواقع الأمريكية على شبكة الانترنت مخصصة للدين، وأصبحت المنظمات الدينية المحافظة - الأصولية بوجه خاص- أكثر فعالية في السياسة في العقود الماضية. وشهد عقدا الثمانينيات

---

[1] . هشاﻡ سلاﻡ، ﲢالف الصهيونية ﺍﳌسيحية و الصهيونيةاليهودية ، اﳉﺰيرة نت، ﺍلملفات اﳋاصة،2006ﻡ.

* تساﺀل ستالين عن فيالق البابا بقوله« أين هي فيالقه»؟ أنظر صفوان، محمد سلاﻡ البنا، مرجع سبق ذكره.

** اﺍلمجتمع الأمريكي مجتمع علماني، والمجتمع العلماني بوجه عاﻡ يرفض ﺍلمؤسسة الدينية أو يفصل بينها وبين الدولة، و لكنه لا يرفض القيم الدينية الضابطة للمجتمع و إن اهتماﻡ المجتمع الأمريكي بالدين هو اهتماﻡ على ﺍلمستوى الفردي، فالدين قضية فردية تماما، وهذا ضد التدين ﺍلمجتمعات الشرقية أو الإسلامية والتي يغلب فيها التدين الجماعي.

*** يمكن الإشارة إلى كتاب كوكب الأرض العظيم الراحل The Late Great Planet Earth الذي باع عشرات الملايين من النسخ والذي تحول إلى فيلم سينمائي، و أورد الكتاب عودة اليهود إلى أرض إسرائيل بعد آلاف السنين كإشارة لنهاية التاريخ و المجيء الثاني للمسيح عليه السلاﻡ. أنظر عادل المعلم، هل أمريكا علمانية أم متدينة، الإمبراطورية الأمريكية، الجزء الثالث، مكتبة الشروق، القاهرة، 2002، ص 261.

والتسعينيات بروز الدور السياسي لحركة اليمين المسيحي كقوة تصويتية مؤثرة بعد دعم المرشح الرئاسي الديمقراطي جيمي كارتر عام 1976 باعتباره مسيحي ولد ثانية* بتغلبه على جيرالد فورد الذي أثار غضب الناخبين اليمينيين بعد عفوه عن نيكسن إثر فضيحة ووترجيت؛ وتمكنت من إرساء شبكة قوية في التنظيم والاتصالات واستطاعت في حشد أكثر من مليوني ناخب في انتخابات 1980[1] ، وبذلك أصبح لديها قوة تصويتية مؤثرة في فوز المرشح الجمهوري ريغان. بلغت بالفعل المسيحية الصهيونية أوج تنظيمها في عهد الرئيس ريغان ودفعت بالقس والواعظ التليفزيوني بات روبرتسون بترشيح الحزب الجمهوري له في انتخابات الرئاسة لسنة 1988** ، ولما فشل تحولت الأصولية الإيفانجيلية إلى دعم المرشح الجمهوري بوش الأب إذ صوت له 80% منهم. ثم توالت نشأة المنظمات المسيحية المتطرفة، مما جعل منها لوبيا مسيحيا صهيونيا أكثر تطرفا من اللوبي اليهودي نفسه[2].

من خلال تعاون اليمين المسيحي الأمريكي مع الجدد في بناء شبكة واسعة من الجماعات الفكرية الناشطة، نمت دعوتهم داخل الجامعات والمؤسسات الفكرية والبحثية الأمريكية. إذ لم يكن الجدد ليسيطروا على مقاليد صنع السياسة بأمريكا دون موافقة ضمنية من قوى اليمين المسيحي، خاصة وأن تلك القوى كانت تملك أفكارا بعضها أكثر تشددا من بعض أفكار المحافظين الجدد أنفسهم. حيث ينطلق المسيحيون المتدينون في رؤيتهم للسياسة الخارجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط والعالم، من منطلقات دينية خطيرة، حيث يقسم أنصار هذا الاتجاه العالم إلى معسكرين، معسكر الخير يضم المسيحيين ومعسكر الشر ويضم أنصار الديانات الأخرى بما فيهم المسيحيون الذين لا يؤمنون بقيم اليمين الديني الأمريكي، المسيحية الشرقية مثلا[1]. ويشير دونالد واغنر* في دراسته عن المسيحية الصهيونية

---

* أعلن من ڤرف ƒلة نيوڤويك أن عاڕ 1976 عاڕ الإڤيلي ، و ڤوال ا ملة الانتخابية كان كارتر يسأل عن إ انه فكان يب ثلاϘ نقاȓ: Ơوله أو ولادته الثانية و أƵية الإ ان الديڼ لقوة الڤعيم السياسي و إلتڤامه بالفصل ب الدين و الدولة. أنڟر Ţمد عارف ڤكاڤ ا!، الدين و السياسة أمريكا، صعود ا سيحي الإڤيلي و أثرهم،ترƤة أمل عيتاƆ، مركڤ الڤيتونة للدراسات و الإستشارات، بƘوت،2007، ȋ 95.

1 . عي، إكراڕ ، التنوع الديڼ أمريكا، الإم اڤورية الأمريكية، اҖڤ الأول ، 2001 ڕ، ȋ 206.

** تشير دراسة عن الدين والسياسة الولايات ا تحدة ايكل كوربت و Ǳوليا كوربت، عن اڽتيارات التصويت الرئاسي عامي 1988ڕ و1992ڕ ǵيث استطاعت ǵركة اليم أن تڤسس ڶT وǱودا مع ب اليم ا‡افڽ سياسيا و اليم الديڼ، ǵيث توǵدت الرڤ؟ و التوǱهات وا مارسات إيديولوǱيا، ǵيث امتڤǯ فيها السياسي بالديڼ عن ƘƧ مرقس، اليم الديڼ الأمريكي، ا سƘة من التأثƘ القاعدي إ ا شاركة السلطة، برنامǰ ǵوار ا ضارات، كلية الإقتصاد والعلوڕ السياسية، Ǳامعة القاهرة، Ǳوان 2002.

[2] . هلال، رضا ، الدين و السياسة أمريكا: ا سيح الأمريكي و صهيون ، عن الإم اڤورية الأمريكية، اҖڤ الثاƆ، مكتبة الشروق، الطبعة الأو ، القاهرة،2001ڕ، ȋ 209.

[1] مرقس، ƘƧ ، اليم الديڼ الأمريكي، ا سƘة من التأثƘ القاعدي إ ا شاركة السلطة، مرǱع سبق ذكره.

إلى أن المسيحيين الصهيونيين يرون الدولة الحديثة في إسرائيل باعتبارها تحقيقا لنبوءة توراتية، وأنها بهذا تستحق دعما سياسيا وماليا ودينيا. ويعتقد واغنر أن دعم المسيحية الصهيونية للمحافظين الجدد ولإسرائيل هو دعم تحركه المشاعر المعادية للإسلام والتعصب الديني أكثر من المشاعر الدينية المسيحية؛ ويستشهد بتصريحات المحافظ الأميركي بات بيوكانان حينما قال في تعليق له أثناء الحرب الإسرائيلية الأخيرة على لبنان وفلسطين: « إن المرء ليتساءل إن كان هؤلاء المسيحيون يهتمون فعلا بما يحدث لإخواننا المسيحيين في لبنان وغزة، و الذين يعيشون دون كهرباء بسبب الضربات الجوية الإسرائيلية، وهو شكل محرّم من أشكال العقاب الجماعي الذي تركهم دون صرف صحي، يأكلون طعاما متعفنا، ويشربون مياها ملوثة، ويعيشون أياما في الظلام ودون كهرباء في هذا الحر الرهيب في شهر جويلية 2006 »[2]. ويؤمن بأن العالم وأمريكا يسيران بسرعة إلى نقطة صداميه تمثل نهاية العالم، من خلال حرب تأتي على الأخضر واليابس، يكون مركزها الشرق الأوسط، ويقودها العالم كله ضد أمريكا وحلفائها وعلى رأسهم إسرائيل[3].

ب. **أسباب التحالف** : يؤكد دونالد واغنر في دراسته أن دعم هذا التحالف لإسرائيل نابع من إيمانهم بالوظيفة التي تؤديها إسرائيل أو اليهود كما جاء في التوراة تمهيدا لعودة المسيح. وأصول الدعم ترجع إلى أنه من الناحية الدينية يركز الكثير من القساوسة المتشددين في الولايات المتحدة خاصة فيما يعرف بولايات حزام الإنجيل Bible Belt** في الجنوب الأميركي مثل تكساس وجورجيا، على الدراسات الخاصة بنهاية العالم وعودة المسيح وتأسيسه مملكة الألف عام. وأخذت الصهيونية المسيحية تنظر إلى إسرائيل بعد قيامها كحدث وإشارة تؤكد معتقداتها ودور اليهود في معركة نهاية العالم أو هرمجدون ثم تحولهم إلى المسيحية أو فنائهم بالكامل[4]. وكثير من العامة، خاصة من أوساط المجموعة الكبرى من المتدينين العاديين الذين اكتشفوا دينهم مؤخرا ويطلق عليهم ولدوا للمسيحية من جديد، يعتقدون أنه يتعين عليهم الدخول في خندق واحد مع مناصرين آخرين لإسرائيل وعلى رأسهم بالطبع تيار المحافظين

---

* هو أستاذ ﺎﻤﻌﺔ نورﺜ بارك بولاية شيكاغو.

[2] مكي، عماد، ﲢالف الصهيونية المسيحية مع اǂاﻓﻈ اƨدد، الصهيونية المسيحية الولايات المتحدة الأمريكية، اƨﺰيرة نت، الملفات اﳋاصة، 2006.

[3] المرجع السابق.

** ا ﳊزام الإﳒيلي الذي ﻳﻀﻢ الولايات اƨنوبية، و يعود هذا إ الظروف الإقتصادية ال أعقبت الحرب الأهلية ال ﺍﻧﻬﺰم فيها اƨنوبيون، إ ﺟانب إﻟغاء الرئيس أبراهام لينكولن للعبودية 22سبتم 1862م باصداره إعلان ﲢرير الرق. ﺃيد من الإﻃﻼع أنظر: عارف، محمد،صعود ال وستانتية الإيفاﳒيليكية أمريكا و تأثيرها على العاﱂ الإسلامي، ترجمة رانية ﺧلاف، مكتبة الشروق العربية، 2006، ص 120-121.

[4] مرقس، ﲰير ، الأصولية ال وتستانتية والسياسة اﳋارجية الأمريكية (قانون الحرية الدينية نموذجا)، مرجع سابق،2002، ص 272.

الجدد، لأن هذا التيار هو الذي يساعد إسرائيل على الإسراع في عودة المسيح والاقتراب من نهاية العالم[1]. لماذا حزام الإنجيل

تنطلق الصهيونية المسيحية من مجموعة من الثوابت العقائدية أهمها[2]:

- إن الإيمان بأن اليهود هم شعب الله المختار، يعني وجوب الالتزام بدعم إسرائيل ومساعدتها ليس كعمل سياسي فقط بل كواجب ديني، لأن الله هو الذي اختار، وعلى الناس أن يحترموا ويقدروا هذا الاختيار، وذلك باحترام إسرائيل وتقديسها.
- إن الإيمان بأن الله منح الشعب اليهودي الأرض المقدسة (فلسطين)، يعني ليس فقط تأييد قيام إسرائيل، بل مساعدتها على إقامة المستوطنات، وعلى تهويد الضفة الغربية.
- إن الإيمان بأن القدس هي جزء من الأرض الموعودة للشعب اليهودي، يعني مساعدة إسرائيل على الحصول على اعترافات عالمية بضم القدس وتهويدها وجعلها عاصمة أبدية لها.
- إن الإيمان بأن من شروط العودة الثانية للمسيح بناء الهيكل، يعني تمويل مشروع بناء الهيكل، ويعني قبل ذلك، إزالة العقبات التي تحول دون بنائه وفي مقدمتها وجود المسجد الأقصى في الموقع الذي يجب أن يقوم عليه الهيكل.
- إن الإيمان بحتمية معركة هرمجدون، التي تسبق بالضرورة العودة الثانية للمسيح، يعني تعطيل مساعي التسوية والسلام ودفع الأمور في الشرق الأوسط بصورة دائمة نحو الاضطراب ونحو العداء المتبادل بين العرب واليهود. فالسلام يعطل هرمجدون، وبالتالي يؤخر العودة المنتظرة، أما الصراعات فإنها تمهد لهرمجدون وتعجل بالعودة.

فاحتلال القدس لم يزل الخطوة قبل الأخيرة لنهاية التاريخ، فالخطوة الأخيرة هي إعادة بناء المعبد القديم (هيكل سليمان) فوق موقعه التاريخي القديم، وهو المكان نفسه الذي تقام عليه الآن قبة الصخرة. إن اليمين المسيحي يؤمن بضرورة تحول اليهود إلى المسيحية قبل مجيء المسيح كي يشملهم الخلاص، بعد بناء الهيكل. وذلك ما يفجر التناقض - أحيانا - بين اللوبي اليهودي واليمين المسيحي[3]. وترى هذه الحركة أن القوانين الدولية لا تطبق على إسرائيل، لأن

---

[1] تركÂ العقيدة ا سيحية على ا كم الإآي النهائي على البشر ضمن ثلاϘ رÛ؟ مهدوية ألفية تتعلق بالÂمن ا توقع لعودة ا سيح و قيآ ٰالكة ا! الأرô. و تعتمد على الاعتقاد بأن ا! سيحول اليهود إ ا سيحية كمقدمة ٍرǵلة توسع ǵكم ٰالكة ا! انطلاقا من بيت ا قدس. و بعد ألف سنة من ذلك ستقوٓ القيامة. العصرالذي يسبق عودة ا سيح عصر ا‡نة الك ؟ سيكون اليهود فيه عرضة للاضطهاد. و ǵ يعود ا سيح سيبعث ا سيحي من ب الأموات ويعرǯ ŏم إ السماŏ ǵادثة البهǅة. أنآر: صفوان ؟مد سلآ البنا ، مفارقøات الصøليبيي اﻬدد، مرǅع سبق ذكره.

[2] هلال، رضا، الدين والسياسة أمريكا ا سيح الأمريكي وصهيون، مرǅع سابق، î 201.

[3] ا ٍرǅع السابق، î 210.

إسرائيل تختلف عن كل الكيانات السياسية الأخرى في العالم من حيث أن وجودها هو تجسيد لإرادة إلهية وليس استجابة لحاجة إنسانية، لذا فإن ما يجب أن يطبق على إسرائيل هو الإرادة الإلهية التي وردت في الكتب المقدسة وأبرزها الوعد الإلهي لشعب الله المختار[1]. وملايين البروتستانت الأمريكيين يدعمون إسرائيل عن إيمان كامل بأن دعم أمريكا لإسرائيل هو السبيل الأساسي لبقاء أمريكا السياسي والروحي. فالتزام هؤلاء بالدولة اليهودية ينبني على النبوءات التوراتية والإيمان بأن اليهود هم شعب الله المختار[2].

تعتقد الصهيونية المسيحية بأن النهاية المأساوية للتاريخ سوف تتم في العام الأول من الألفية الثالثة، ولذلك كان لأحداث 11 سبتمبر 2001 صدى هز المشاعر الدينية للمؤمنين بالنهاية الكارثية للتاريخ[3]. وترى الباحثة الأمريكية جريس هالسل: أن اليمين المسيحي مستعد - بل راغب بكل قواه - في إشعال حرب نووية بشأن إسرائيل تحقيقا للنبوءات المقدسة[4]. فمن هذه الأدبيات أصبح الإيمان بمساعدة اليهود في إقامة دولتهم في فلسطين نوعا من العبادة التي تعبر عن المشاركة الإنسانية في تحقيق الإرادة الإلهية.

ج. **تأثير الصهيونية المسيحية على القرار السياسي الأمريكي**: استخدمت الإدارات الأمريكية المتلاحقة الحس الديني ومصطلحاته لتحقيق أهدافها. مما يؤكد على العلاقة بين الدين والسياسة الخارجية في الولايات المتحدة الأمريكية. وتزايد دور الدين في الحياة السياسية الأمريكية ترتب عليه تحول الكنائس ورجال الدين إلى جماعات ضغط قادرة على التأثير بفاعلية ومقدرة في عملية صنع القرار السياسي، وخاصة ما يتعلق بمصالح رعاياها أو بتصوراتها للمثل والمبادئ والأخلاقيات المسيحية[5].

ومشروع اليمين المسيحي يحمل مبدأ الهيمنة الأمريكية، وفيه أيضا مبدأ الاستعلاء - ليس على غير المسيحيين فقط - بل على مسيحيي الشرق، الذين يعدون من البربر أيضا. مما يعني أن النظرة الاستعلائية لا تفرق كثيرا بين المسلمين والمسيحيين. ومن ثم فلا يوجد اختلاف بين اليمين المسيحي واليمين العلماني فيما يخص الهيمنة، وفيما يخص استخدام القوة العسكرية أيضا. فاليمين المسيحي يتصور أن يكون العالم كله تحت قيادة المسيحية الأمريكية، وكذلك يتصور اليمين العلماني العالم تحت قيادة القوى الأمريكية.

---

[1] صفوان ‍‍ـمد سلاﻣﺔ البنا، مفارقات الصليبيين الجدد، مرجع سبق ذكره.

[2] . رضا هلال، الدين والسياسة في أمريكا، مرجع سابق.

[3] . عادل ا علم، مقدمة الأصولية ا سيحية في أمريكا و الرئيس الذي استدعاه ا! و انتخبه الشعب الأمريكي مرتين، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2005، ص ص 32،31.

[4] . جريس هالسل، النبوءة والسياسة، ترجمة محمد السماك، ط5، 2003، : النبوءي محمود، هرندون، مكتبة النافذة، 2003، ط1، ص 105.

[5] . عبدا! بن سعان الغامدي، اليمين ا سيحي وتأثيره على السياسة الأمريكية، دراسة، جامعة ا لك سعود، ا ملكة العربية السعودية على : repository.ksu.edu. doc

إذن هناك نزعة للهيمنة يتفق عليها التياران. إلا أن اليمين المسيحي له بعض المشاكل الحاسمة مع العلمانية الأمريكية. فهو يقف ضد الشذوذ والإجهاض وقد ارتكبوا جرائم قتل ضد أطباء يجرون عمليات إجهاض و أحرقوا عياداتهم[1]. وهو ضد العلمنة في المدارس، وضد العلمانية السائدة في الحضارة الغربية. مما يعني أن هناك نوعا من عدم التوازن والاضطراب داخل بنية المجتمع الأمريكي. وتعد الكنائس البروتستانتية كنائس الطبقة العليا الحاكمة على مدى أكثر من مائتي عام من عمر أمريكا؛ ويعد تأثيرها كبيرا في صياغة السياسة الأمريكية[2].

لقد نجحت المنظمات المسيحية الصهيونية في ترويج الاعتقاد بأن دعم أمريكا لإسرائيل ليس فقط التزاما سياسيا، وإنما رسالة إلهية بسببها يبارك الرب أمريكا[3]. وهكذا فإن دعم اليهود وتأييدهم ومساعدتهم لا يتم من أجل اليهود كيهود، إنما من أجل توفير الشروط اللازمة للعودة الثانية للمسيح. ومن أجل ذلك فقد تحول أول قنصل أمريكي في القدس وارد كريسون من المسيحية إلى اليهودية. ومنذ عام 1970 تقريبا، استطاعت الحركة الأصولية البروتستانتية أن تكون حركة مؤثرة في الحياة السياسية الأمريكية، واستعادت المفاهيم والتصورات النظرية النقية التي قدمتها الأصولية في بدايات القرن، وصبغها بأبعاد سياسية، واستخدامها في الواقع السياسي الأمريكي، بل وامتدادها لتشمل السياسة الخارجية الأمريكية. وأخطر ما شهدته سنوات الثمانينيات من القرن الماضي في الولايات المتحدة، هو التحالف بين اليمين المسيحي من ناحية، واليمين الجديد في الحزب الجمهوري من ناحية أخرى. إذ وجد اليمين المسيحي طريقه إلى داخل الحزب الجمهوري متحالفا مع اليمين السياسي. ومع انتخاب رونالد ريغان عام 1980 قام بتعيين عدد من الأصوليين في حكومته. في حين كان المحافظون الجدد يقومون بدور مثقفي البلاط. وانخرط اليمين المسيحي في عمليات خارجية على نحو ما ظهر في فضيحة إيران جايت وإسقاط حكومة ساندينستا في نيكاراجوا، وتأييد الحكم العسكري في السلفادور، ودعم حكم كورازون أكينو في الفلبين، وتأييد النظام العنصري في جنوب إفريقيا[4].

في عهد الرئيس بوش الأب تراجعت هذه الجماعات ظاهريا فقط، ومع أن المحافظين الجدد واليمين المسيحي باتوا أقل ظهورا إلا أنهم كانوا مستمرين في التأثير على الوضعين السياسي والإيديولوجي. وفي عهد كلينتون، وبسبب فضائح الرئيس وخصوصا في المعركة

---

[1] . عادل المعلم، مقدمة الأصولية المسيحية أمريكا و الرئيس الذي استدعاه الله! و انتخبه الشعب الأمريكي مرتين، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2005، ص 17.

[2] . كمال مرقس، مرجع سبق ذكره، ص 274.

[3] . رضا هلال، الدين و السياسة أمريكا المسيح الأمريكي وصهيون، مرجع سبق ذكره، ص 207.

[4] . رضا هلال، الدين والسياسة أمريكا علمانية أم متدينة؟، مرجع سبق ذكره، ص 258.

القانونية لإقصائه، اجتمع من جديد المحافظون الجدد واليمين الأصولي في رابطة للدفاع عن الفضيلة في أحسن تمويل وأفضل تنظيم.ومن الأسماء البارزة في هذا التيار:
القس روبرتسون الذي يملك عدة مؤسسات إعلامية، تلفزيونية وإذاعية، ويسخرها من أجل الدعاية الصهيونية. وهو من أبرز جماعات الضغط لصالح إسرائيل. وكذلك القس جيري فوريل، و فرانكلين غراهام و والده بيلي غراهام. وكان بيلي قسيسا للرؤساء الأمريكيين، منذ نيكسون في الستينيات من القرن الماضي وحتى كلينتون، أما فرانكلين الابن فهو قسيس الرئيس بوش الابن.

في 24 تشرين الأول 1995، اتخذ الكونجرس الأمريكي قرارا باعتبار القدس عاصمة لإسرائيل، وبنقل مقر السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس. وقد أعد السيناتور بوب دول هذا المشروع بهدف كسب تأييد هذه الحركة في معركة انتخابات الرئاسة الأمريكية التي كان يخوضها ضد بيل كلينتون. إن قرار الكونجرس بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس تم بضغط من حركة الصهيونية المسيحية، وكذلك قرار الكونجرس بالموافقة على جعل القدس عاصمة لإسرائيل. وهذا يدل على مدى قدرة الحركة الصهيونية المسيحية في التأثير على صناعة القرار السياسي الأمريكي.

وقبل الحرب الأمريكية على العراق، صب قساوسة الصهيونية المسيحية جام غضبهم على الانتفاضة الفلسطينية، ووقفوا ضد أي تسوية سياسية انطلاقا من إيمانهم بأن السلام والأمن والاستقرار في الشرق الأوسط يتعارض مع مستلزمات العودة الثانية للمسيح وفي مقدمتها حتمية معركة هرمجدون[1]. وقد أشار القس ريغانز إلى موقف هذه الحركة من عملية السلام بقوله: إن اتفاقات السلام هي خيانة لله ولنواياه نحو الشعب اليهودي..فالسلام كاذب لأن جذوره تنطلق من الشيطان[2].

د. **الجديد في فكر المحافظين في فترة رئاسة بوش الابن**: إدخال الدين في السياسة الخارجية (وهذا لم يكن موجودا عند بوش الأب(1990-1994) وكلينتون(1994-2001). حتى إنه أصبح هناك شك في وجود العلمانية التي نص عليها الدستور الأمريكي.
كما اعتمدت إدارة بوش الابن في رسم سياستها الخارجية على مراكز أبحاث قريبة جدا من إيباك. ووصل عدد من الشخصيات الداعمة لإسرائيل إلى مراكز صنع القرار في الإدارة الأمريكية مثل: دوغلاس فيث، وبول وولفيتز اللذان وصلا إلى البنتاجون. ويتحلى أفراد البيت الأبيض بالجرأة في اللجوء إلى القوة في تنفيذ توجهات السياسة الخارجية الأمريكية.

---

[1] الشاهر، شاهر إسماعيل، مرجع سبق ذكره، ص .

[2] Walter عن، شاهر إسماعيل الشاهر، أولويات السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2009.

ومن هنا انبثقت الأطروحات الكبرى التي غدت مألوفة في الخطاب السياسي الأمريكي الحالي: (رفض تراجع القوة الأمريكية، تثمين الأدوات الحربية، القطيعة مع الأنظمة المستبدة، والوضوح الأخلاقي والرهان على الهيمنة الأمريكية بوصفه مسلكا لضمان أمن العالم ورفاهيته)؛ لقد تمكن اليمين الإنجيلي، المتمثل بالحركة الصهيونية المسيحية والمهيمن على القرار السياسي الأمريكي من إقناع الرئيس بوش الابن بأن للولايات المتحدة مهمة تجعل من قواتها جند الله على أرضه، وإن أول خطوة في هذا السبيل، هي إزالة الدول المارقة المتهمة بإيواء الإرهابيين الإسلاميين أو مساعدتهم، وعلى رأس هذه الدول العراق، كما يدعي بول وولفيتز نائب وزير الدفاع الأمريكي السابق وريتشارد بيرل مستشاره السياسي. ومع ذلك فقد وصف مرجعان دينيان الحرب الأمريكية على العراق بأنها (حملة صليبية). المرجع الأول كان الفاتيكان، أما المرجع الثاني فكان الأزهر الشريف[1].

هـ. دور اللوبي الصهيوني في التأثير على القرار الأمريكي:

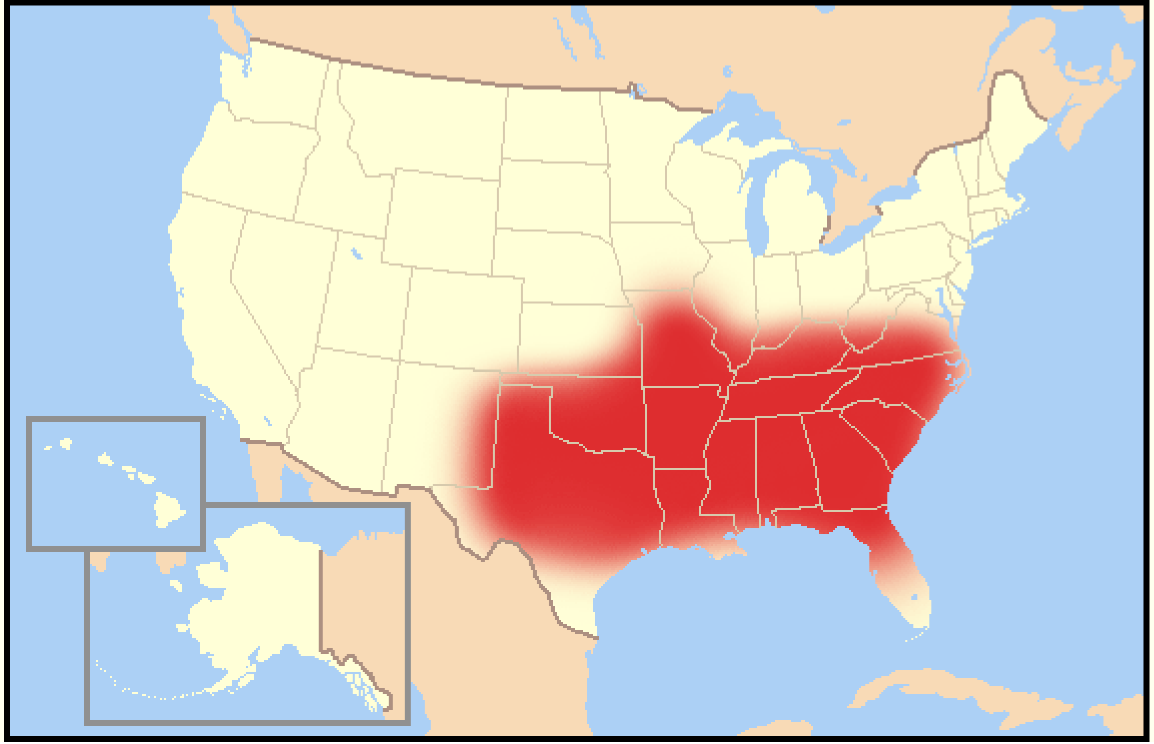
اللوبي كمصطلح سياسي يعني: مجموعة من العملاء والنشطاء، الذين لهم مصالح خاصة، ويمارسون الضغوط على الموظفين الرسميين خصوصا المشرعين، وذلك للتأثير عليهم في أثناء ممارسة عملهم.

إن صنع القرار في السياسة الخارجية الأمريكية يخضع بالدرجة الأولى للمصلحة الأمريكية، الأكثر انسجاما مع المصلحة الصهيونية. أحد أجنحة صنع القرار، تحتاج إليه الإدارة الأمريكية في لحظات معينة لتبرزه كصاحب قوة طاغية، وفي لحظة معينة، عندما لا تحتاج إليه يمكن أن تسكته.

أما الإنجيليون فهم لا يثقون في المنظمات الدولية، ولا يؤمنون بقضايا مثل الحد من التسلح أو تخفيض النفقات العسكرية الأمريكية، لأن أمريكا بالنسبة لهم تستعد لحرب طاحنة لا راد لها. أما النخب الأمريكية المحافظة التقليدية فهي انعزالية بطبيعتها لا تثق في المنظمات الدولية أو في العالم الخارجي، ولا تؤمن إلا بالقوة الأمريكية وزيادتها المستمرة وبناء المزيد منها. وبشكل عام يمثل بقاء تلك المعتقدات والنزعات ضمانة لا يستهان بها لاستمرار سياسات وأفكار المحافظين الجدد.

---

[1] المرجع السابق، ٦.



التوسع التقريبي للحزام الإنجيلي la Bible Belt موضح بالأحمر

المصدر: http://fr.wikipedia.org/wiki/Image:BibleBelt.png

المبحث الثالث : مراكز التفكير و تأثير الخبراء في السياسة

عرفت الولايات المتحدة الأمريكية تحديات كثيرة عبر الزمن، ابتداء من اكتشافها كعالم جديد حسب مفهوم الحضارة الغربية، لتصبح بذلك مقصدا لكل من لديه نية في التغيير حسب المفهوم الآخر الذي ولدته حركة الهجرة بما سمي الحلم الأمريكي. واستمرت المفاهيم تهاطل على المعاجم والقواميس المعتمدة علميا، والدراسات والأبحاث التي تهتم بالشأن الغربي معلنة عن تميز ثقافي وسياسي واقتصادي، طبع العلاقات الدولية في القرن العشرين؛ ليكون قرنا أمريكيا بكل مواصفات القوة (ناعمة كانت أم خشنة).

وأحد المفاهيم التي تهمني في هذا البحث تأتي من المصطلح الأنجلوساكسوني Think Tank الذي وإن كانت بدايته كعبارة هزلية في الصحف والروايات الأمريكية ابتداء من1890 [1]، أصبحت اليوم تعبر عن أكبر مصادر المعلومات والخبرات التي يستعين بها أصحاب القرار السياسي، وكذا إدارة الشركات الكبرى عبر العالم. بل أصبحت ملتقى الخبراء والأكاديميين والعسكريين، الذين يتداولون على مناصب حكومية تارة و إدارية داخل Think Tank تارة أخرى حسب قاعدة الباب الدوار[2] La Porte à Tambour بين القطاع الخاص والعمومي.

ولكي أتمكن من توضيح أهمية هذا المنتج الأمريكي يجب أن أتعمق في أهم تفاصيله، وتوصلت إلى وجوب توخي الحذر عند الحديث عن Think Tank، لأنه في آخر المطاف يمثل إحدى ركائز النظام العالمي الجديد الذي بني على أنقاض ما سمي في الحضارات الإنسانية الآفلة بالفضيلة، وتعبير كذلك عن العلاقة المثيرة للجدل بين الخبراء والسلطة Pouvoirs et Expertise، على أساس توفير المعلومة المناسبة لاتخاذ القرار المناسب لحماية المصالح القومية، خاصة وأن من يمتلك المعلومة قد يمتلك سبل السيطرة.

المطلب الأول : ماهية مراكز التفكير

1. تعريف مراكز التفكير

الثينك تانكس Tanks Think التقاء لمجموعة من المثقفين والباحثين والمنظرين، الخبراء في قضايا تخص المجتمع، و يعملون على رسم السياسة العامة التي يرونها مناسبة للمصلحة القومية. فعبارة Tanks Think كما وصفها الباحثان الفرنسيان Stephen Boucher ستيفان بوشر و مارتين رويو Martine Royo -حسب ما يوضحه عنوان كتابهما Les Tanks Think

[1] . بالنسبة آذه العبارة ƋŐƾƴ مقالة لنيويورƩ تا Ȃ ليوŽ 18 ديسمƎ 1898، واƅ تتحدƭ عن ƽƴر ة اقتحاƵ أǉد ا تشردين لإقامة ƽوƫ ثريƎ إƳدƗ الضواǉي الأمريكية، وعندما القي عليه القبƯ صرƹ قائلا لأǉد أعوان الشرƯة، سيدي الشرƯي إن علبة أفكاري ƫارǆƵ اƪدمة. أنƮر ا لملحق رقم .

[2] . الباƥ الدوار واƅ تعƑ تداول اƪ اƌ ƥ الوƻائف ا كومية والعمل مراكȂ التفكƘ وهكذا ǉركية تتكرر كثƘا، مع كل تغƘƫ لƚدارة الأمريكية. ǉيث يتم تغƘƫ ا وƻف من أعلى سلم الإدارة ǉƓ الطابق السفلي اƪامس ا تواƽƴد Ơت الديوان الرئاسي وما ƥƮل ƥ 4000 و 5000 منصب، ويتم توƻيفهم من ا راكȂ البحثية واƨامعات وا ƙƮمات غƘ ا كومية والشركاتƜ وإذا ما تغƘƫت الأغلبية سيعودون من ǉيث أوتوا ǉسب (Revolving Door).

Cerveaux de la guerre des idées - تعني أدمغة حرب الأفكار[1]، وهناك من يترجمها إلى مراكز التفكير وبنوك الفكر، ولكن في الغالب يستخدم تعبير مراكز الأبحاث والدراسات، للإشارة إلى Tanks Think ، وذلك لأن معظم المؤسسات أو المراكز التي تقع تحت القطاع المذكور لا تعرف نفسها في وثائق تعريف هويتها الذاتية كثينكس تانكس وإنما تعلن عن نفسها كنظمات غير حكومية (NGO) أو منظمات غير ربحية non profit organization ، وهذا بالذات يعد أحد التعريفات التنظيمية المعترف بها في القانون الأمريكي[2].

ويتفق أكثر الدارسين لهذه الظاهرة، على أنها نتاج أنجلوساكسوني، وهذا لعدة اعتبارات أهمها الطبيعة الليبرالية الديمقراطية لهذه المجتمعات، ونظرتها الخاصة لحرية المبادرة، لما يميز هذه المجتمعات من الحوار الدائر بين القطاع الخاص والقطاع العام، والإضافة القيمة التي يقدمها الخاص للعمومي في حل المشاكل العالقة وطرح أفكار جديدة تتناسب مع تطلعات الرأي العام والتنظيم المحكم والرشيد للسياسات العامة.[3]

ويعرفها جيمس ماك كغان James McGann الباحث الرئيسي في معهد أبحاث السياسة الخارجية، ورئيس شركة ماكغان وشركاه بأنها : « تنظيمات مستقلة للبحث والتي تكرس للمسائل ذات طابع المصلحة العمومية وتعمل على تحليلها »[4]. واستنادا إلى فكرة الاستقلالية التي تدعيها هذه العلب الفكرية، يضيف Philippe Sherrington فيليب شيرانغتون وهو متخصص آخر في شؤون مراكز الفكر الأروبية، بأنها « تنظيمات مستقلة نسبيا، تساهم في البحوث المرتبطة بجملة من المصالح، وفي أولوياتها نشر هذه البحوث إلى أوسع حد ممكن، بغرض التأثير على مسار صناعة السياسات العامة » .[5]

ما يلفت الإنتباه في التعريفين، هو الربط بين الإنتاج الفكري لهذه المراكز مع السياسات العامة والمصالح العمومية. لكن يجب التدقيق في مسألة من يستحق علامة مركز التفكير ومن لا يستحقها، لأن المكلفين بالمهام والدراسات من طرف الهيئات الحكومية، ليسوا بالضرورة خبراء مراكز التفكير ولهذا يمكن تمييز هذه الأخيرة بتسع مواصفات:[6]

- مراكز التفكير عبارة عن هيئات دائمة
- وهي تتخصص في إنتاج حلول للسياسة العامة..

[1]. Stephen Boucher et Martine Royo, Les Tanks Think Cerveaux de la guerre des idées, Éditions le Félin, 2006, 118 p.

[2]. هﮩﺂ، صابر أم ، مراكﺂ التفكﮀ و دورها التأﮀ على صنع السياسة، أﳕوذﮋ لدراسة الولايات ا تحدة الأمريكية ﻐول عبارة Think Tank ، مركﺂ الفرات للتنمية و الدراسات الإستراتيﮯية،http://www.fcdrs.com.

[3]. تفسﮀ قدمته مارﺗ رويو ﻐصة Intelligence Economique لقناة فرانس 24 الناﻃﻘة بالفرنسية 2010/11/01، و الـ كان موضوعها .?Think Tank, Influence ou Ingérence (تأﮀ أﻡ تدﺧﻞ)، و ﲢدثت عن الدراسة ا ذكورة أعلاه، بالاشتراﻙ مع ستيفان بوشر.

[4].Stephen Boucher et Martine Royo, op. cit, p. 30.

[5].ibid, p. 30.

[6].ibid, p. 31.

- عن طريق خبراء يسهرون أساسا على البحث..
- يوفرون أفكارا وتحاليل و استشارات جديدة..
- موجهة إلى الحكومة والرأي العام...
- ليس من مهام هذه المراكز القيام بمهام حكومية..
- تحافظ قدر الإمكان على استقلاليتها الفكرية وعدم الترابط مع مصالح ذات الطابع الخصوصي.
- ليس من مهام هذه المراكز التكوين أو منح الشهادات.
- طموحها تقديم أفكار جدية وجديدة لفائدة الصالح العام، ولا تسعى إلى المتاجرة أو الربح.

إذن مراكز البحوث هي مسألة باحثين Chercheurs وهم أشخاص لديهم الوقت والإمكانيات للعمل الأكاديمي، وبإمكانهم الوصول إلى أفكار جديدة، أو الجمع بين أفكار لم يسبق لأحد أن طرحها في إطار واحد، و هي جماعة ابستيمية[*1] Communauté Epistémique أي الجرأة في إنتاج الأفكار العلمية ونشرها بشكل جدي وإصرار على التأثير. و لأن أهم مكون لهذه المراكز هو الباحث وهذا الأخير يتواجد من غير شك في الجامعات العش الطبيعي للأعمال الأكاديمية، فإن بدايات تكوين علب الأفكار يبدأ في كنف الجامعة، و يقول كيسنجر مخاطبا هؤلاء الخبراء: « ما تفعلونه في الحكومة هو إنفاق رأس المال الفكري الذي قمتم بجمعه خارج الحكومة»[2]. خاصة وأن التعقيدات التي يعرفها العالم، تستوجب إيجاد خبراء متمرسين لتفسير هذه التعقيدات، ولعل ما يشجع على الاستعانة بالخبراء هو العجز الذي يعرفه رجال السياسة في التفكير، سواء داخل السلطة أو في المعارضة، و يرجع هذا إلى تسارع الأحداث، و تزايد طموحات الأحزاب السياسية في تحقيق المكاسب، مما يصعب عليها إنتاج أفكار تتميز بالموضوعية: « ليس من السهل التفكير داخل الحزب السياسي »[3]، وهكذا يتم الاستعانة بالثينك تانك؛ ويمكن متابعة ذلك أثناء الحملات الانتخابية للدول الديمقراطية أين تلاحظ حرب أفكار حقيقية في مجال السياسات العامة وتعبئة الرأي العام، وظهور عبارات ومصطلحات جديدة تعبر عن انشغالات المجتمع المدني؛ لذلك يقول ماكغان بأن: « مراكز الفكر جزء لا يتجزأ من المجتمع المدني وهي محفز للأفكار والأفعال المهمة في دعم الديمقراطيات الناشئة والمتقدمة عبر العالم »[4] . فمراكز الفكر جسر بين أصحاب القرار والخبراء ووسائل الإعلام والجمهور الواسع.

---

[1]. عبارة أطلقها Catherine Fieschi و John Gaffney على مراكز التفكير، أنظر: Lepetit, Pierre, Le Role des Think Tanks, revue notre Europe, études et recherche, http://www.notre-europe.asso.fr/.

[*]. L'épistémê، تعبر عن مجمل النشاط العلمي الذي يعرفه أدموند هرسل Edmund Husserl على أنه عكس (la doxa: مجموع المعتقدات والأفكار غير الموضوعية).

[2] .Stephen Boucher et Martine Royo, op. cit, p. 37.

[3] .«Les partis politiques sont des sociétés modérément sympathiques dans lesquelles il n'est pas facile de faire réfléchir».
عبارة للسياسي الفرنسي **ميشال روكار** Michel Rokar في حصة تليفزيونية لـ: 01 ماي 1985 RTL/ Le Grand Jury

[4] .Stephen Boucher et Martine Royo, op. cit, p. 29.

فمن بين 6480 مركز تفكير في العالم -التصنيف العالمي لمراكز التفكير2009، الصادر العام 2010 عن Research Institute Foreign Policy، تستأثر أميركا الشمالية وأميركا اللاتينية بنسبة 37 % من مجموع مراكز الأفكار في العالم، مقابل 34 % لأوروبا(الشرقية والغربية) و 4% للشرق الأوسط وشمال أفريقيا. فيما تستأثر إسرائيل وحدها بنسبة 25 % من مجموع مراكز الأفكار التي تهتم بقضايا الشرق الأوسط الجيوسياسية و التي يبلغ عددها نحو 200 مركز. الأمر الذي يمكن من خلاله استشفاف الصلة بين سيادة القوة الأميركية كقوة أولى في العالم اليوم وبين استئثارها بمراكز الفكر. فيما تظهر الأرقام دور إسرائيل، ولاسيما اللوبي الصهيوني، في الاستئثار بالعدد الأكبر من المؤسسات الفكرية المتخصصة في شؤون الشرق الأوسط[1].

2. ظهور وتطور المراكز البحثية:

كان أول ظهور لهذه المراكز في نهاية القرن التاسع عشر في بريطانيا حيث تأسست الجمعية الفابية[*] Fabian Society و مع بداية القرن العشرين أصبحت اختصاص وعلامة أمريكية، ويرجع ذلك حسب دونالد أبلسون إلى مجموعة من الاستثناءات التي تميز المجتمع الأمريكي وأهمها: الطبيعة اللامركزية جدا للنظام السياسي الأمريكي وغياب الانضباط الحزبي الصارم وحصولها على التبرعات المالية الواسعة للمؤسسات الخيرية[2]،فأصبحت تلك المراكز واحدا من المرتكزات الأساسية لإنتاج المعرفة والتفكير العام في الدولة من خلال النشاطات العلمية التي تقوم بها من الأبحاث والمؤتمرات والإصدارات الدورية والكتب والمنشورات التي توزعها؛ إلى درجة أصبحت مهمة مراكز التفكير ليست فقط تقديم دراسات أكاديمية تحليلية نقدية لكنه يتناول مشكلة معينة بصورة مباشرة ويقدم للمختصين وصانعي القرار في الدولة أو في القطاع الخاص بدائل يمكن أن يختار أفضلها أو قد يقدم بديلا واحدا لابد من الاعتماد عليه من قبل الجهـــــــة المعنية وهنا يبرز دور و أهمية هذه الحيوانات السياسية الهجينة[**] حسب تعبير رويو و بوشير اللذان

---

[1] . نقلا عن الموقع الإلكتروني، http://www.arabthought.org، نشرة-إعلامية/من-الحرب-الباردة-إلى-حروب-مراكز-الفكر-أين-العرب؟

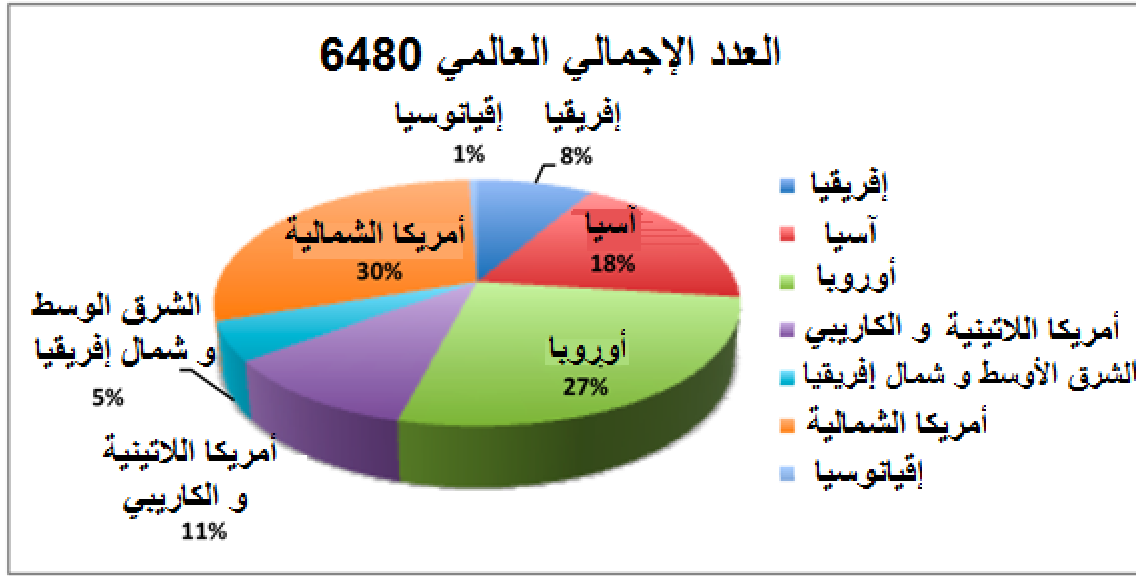
[*] . نسبة Quintus Fabius Maximus Verrucosus لو (275 - 203 قبل ا يلاد)، وهي Pعية إنكليÂية أنشئت عاȳ 1884 وسعى أعضاؤها إ نشر مبادƏ الاشتراكية بالوسائل السلمية، و غاصت أعماá الأƽمة الفيكتورية للعمال أواňر القرن التاسع عشر، ومن كبار الفابية: ǆورǯ برنارد شو، سيدƆ ويب، غراهاȳ والاس. و سنة 1900 انضمت للنقابات لتأسيس āÂǵ العمال، ǵيث هي منخرƎة ليومنا هذا، أنآر: Stephen Boucher et Martine Royo, op. cit, pp.47-46

[2] أبلسون، دونالد، مؤسسات الفكر والرأي وسياسة الولايات ا تحدة اƒارǆية: نآرة تارƸية، مقالة اŎلة الإلكترونية أصدرũا وǔارة اƒارǆية الأمريكية، نوفم 2002.

[**] . ǵسب أرسطو الإنسان ǵيوان سياسي، و ما يƺه عن ا يوانات الأňرƽ هو قدرته على الكلاȳ والتمييÂ ب اƒ Ʀ والشر. أما مراكÂ البحوƮ اا تتخصƠ إنتاǯ السياسات التطبيقية، ƸترعونƠاليل وتوصيات و تهدون لتسويقها داňل دواليب السلطة، ǵسب رؤية معينة للمصلحة العامةƏ وهذا ما يÂه دراساũم عن ا تخصص الأňري.

لاحظا بأن: « المراكز البحثية تعرف من خلال نمط نشاطها المتميز عن باقي الفاعلين السياسيين»[1].

التوزيع العالمي لمراكز التفكير 2010 Think Tanks



James G. McGann, The Tink Tanks And Civil Societies Program
المصدر: www.gotothinktank.com

المنطقة	عدد Think Tanks	النسبة المئوية %
إفريقيا	548	08
آسيـــا	1200	18
أوروبـا	1757	27
أمريكا اللاتينية و الكاريبي	690	11
الشرق الأوسط و شمال إفريقيا	333	30
أمريكا الشمالية	1913	15
الإقيانوسيا	39	1
المجمــــوع	6480	100

عدد مراكز التفكير Tink Tanks في العالم 2010

يبلغ عدد مراكز البحوث في الولايات المتحدة لوحدها 1816.

[1] .Stephen Boucher et Martine Royo, op. cit, p. 45.

ويقول جيمس ماكغان: « إن صانعي السياسة يعتمدون أكثر فأكثر على المنظمات المستقلة لأبحاث السياسة العامة، والتي تعرف بـ" مؤسسات الفكر والرأي" من أجل توفير معلومات وتحليلات آنية قابلة للفهم، موثوقة، سهلة المنال، ومفيدة». ويضيف أن التحدي الذي يواجهه الألفية الجديدة « هو تسخير المخزون الكبير للمعارف، والمعلومات، والطاقات المترافقة معها والمتواجدة لدى منظمات أبحاث السياسة الخارجية لتعم كل منطقة من مناطق العالم»[1]. ومجمل هذه التعريفات تبين السهولة التي يتعامل بها الخبراء مع السلطة في الولايات المتحدة، بشكل يجعل كل من يحاول فهم ما يحدث داخل العلبة السوداء، التوجه إلى الدراسات المنشورة أو اللقاءات والمؤتمرات التي تشرف عليها هذه المراكز، ويتبين كذلك النقاشات الدائرة بين أفراد المجتمع المدني وبالتالي أهمية إيجاد أفكار جديدة وإجابات سريعة لقضايا المصلحة العامة؛ ووجود المراكز البحثية كذلك يبين المستوى العلمي والثقافي الذي ميز الولايات المتحدة التي استطاعت أن تستقطب نخبة من المختصين والخبراء يتمتعون بمهنية عالية.

إن بروز الولايات المتحدة كقوة عظمى بالتزاماتها العالمية، والتحديات الخطيرة التي أصبحت تواجهها من خلال محاولتها تجسيد سيطرتها وهيمنتها الكونية ساهم في تطوير وتنمية دور المؤسسات البحثية ذات علامة الثينك تانكس، وتكاثرها بشكل ملفت للانتباه داخل أمريكا وخارجها، حيث أصبحت بحاجة أكثر من أي وقت مضى لمراكز استشارية واستخدام معارف الخبراء لوضع الحلول الملائمة وطرح البدائل لمختلف القضايا التي تعترض سياساتها، وهذا ما يبرز دور مراكز الأفكار وأهميتها في عصر التدفق الكبير للمعلومات؛ وهي من الوسائل المنطقية في حركية المجتمع المدني وتعبئة الرأي العام خاصة في حالة الأزمات التي تعتبر من أسباب تشكل مراكز بحثية جديدة[2].

3. الأزمات الوازع الأساسي لنشأة مراكز الأفكار: يتفق معظم الدارسين لمراكز الفكر بأن هذه الأخيرة تنشأ كاستجابة لأزمات خطيرة ومستعصية على الحكومات، والقارئ لتاريخ العلاقات الدولية لا تخفى عليه أهم المحطات التي عرفها القرن العشرين منذ الحرب العالمية الأولى مرورا بالأزمة الاقتصادية العالمية 1929، والحرب العالمية الثانية وما أفرزتها من نتائج كان أهمها الحرب الباردة، والأزمة النفطية لسنوات السبعينات 1970 وبعد ذلك انهيار حائط برلين معلنا انتهاء حقبة تاريخية من الصراع الإيديولوجي الليبرالي- شيوعي، ليعيش العالم اللحظة الأحادية للإمبراطورية الأمريكية بكل تفاصيلها، إمبراطورية لم يشهد لها مثيلا في التاريخ البشري، سيطرة في كل المجالات: السياسية

[1] . جيمس ج. ماكغان، مؤسسات الفكر والرأي وصانعو السياسة الخارجية، دورية الأوشان، المجلة الإلكترونية لوزارة الخارجية الأمريكية، نوفمبر 2002، ص 14.

[2] ف.ي كرلوف، إن الثورية كل الأرض أو قضايا النظام العالمي الجديد، ترجمة منتخب يونس، منشورات دار علاء الدين، الطبعة الثانية، ص 128.

والاقتصادية والثقافية والعسكرية*. وهكذا ظهرت أزمة أخرى وهي التعامل مع فترة ما بعد الحرب الباردة، والتي اصطدمت مع أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، لتضع القيادة الأمريكية للعالم على المحك.

هذه جملة من الأزمات التي اعترضت تاريخ الدول الكبرى وتناولتها على سبيل الذكر لا الحصر لما فيها من مؤشرات عن الحوار الذي ميز الساحتين السياسية والأكاديمية، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية والدور الذي لعبه الخبراء في احتواء هذه الأزمات؛ وهذا من خلال رد فعل على أربع صدمات Chocs هزت الديمقراطيات الغربية[1]، واتفق المختصون في شأن مراكز البحوث، حول ظهورها في موجات متعاقبة إثر هذه الأزمات :

- **الحرب العالمية الأولى**: هي أول صدمة للعالم الغربي في القرن العشرين وتعتبر وقفية كارينغي Carnegie Edowment للسلام العالمي أول خزان فكر أنشئ في الولايات المتحدة الأمريكية و هذا في سنة 1910. كان ذلك لهدف إجراء أبحاث في أسباب نشوب الحروب والدعوة لحل النزاعات بالطرق السلمية، ولعل أهم قضية صادفت هذا المركز هو اندلاع الحرب العالمية الأولى والتي أفرزت نقاشا واسعا داخل أمريكا حول الدور الذي يجب أن تلعبه على المسرح الدولي[2]. وخلال هذه الفترة وللتحكم في المسائل الدولية تأسست مراكز أخرى كمعهد الأبحاث الحكومية Institute For Governement Researche في عام 1916 و بعده مؤسسة بروكينغز Brookings Institution الذي أنشئ عام 1927. وأنشئت مجموعة الإستعلام والتحقيق The Inquiry في شتاء 1917- 1918 بإيعاز من الرئيس الأمريكي ويلسون لأحد مساعديه العقيد إدوارد هاوس Edward Housse ولعبت هذه المجموعة دورا استشاريا للوفد الأمريكي إلى محادثات مؤتمر باريس للسلام، وفي سنة 1929 انضم إلى هذه المجموعة بعض كبار الأكاديميين والمحامين وأصحاب البنوك من مدينة نيويورك لتشكل مؤسسة جديدة أطلق عليها مجلس العلاقات الخارجية Council on Foreign Relation الذي يبقى إلى يومنا هذا من أهم المراكز البحثية الأمريكية[3]. وساهم هذا المجلس في الدعوة إلى الانخراط الأمريكي في الشؤون الدولية، خاصة مع سيطرة دعاة

---

* اتفق المختصون وعلى راسهم هوبكنز فدرين باعتبارها المحددات الأربعة للقوة التي جعلت من الولايات المتحدة تتخطى مرحلة القوة العظمى إلى القوة الشاملة.

[1] Stephen Boucher et Martine Royo, op. cit, p.46

[2] ibid, pp. 46-47 أنظر كذلك، سليمان، منذر، دولة الأمن القومي و صناعة القرار الأمريكي: تفسيرات و مفاهيم، المستقبل العربي، مارس 2006، العدد 325، السنة الثامنة و العشرون، بيروت، ص 36.

[3] Stephen Boucher et Martine Royo, op. cit, p. 48.

سياسة العزلة في السنوات التي شهدت التخلي عن عصبة الأمم وبداية التهديد النازي وإشعال فتيل الحرب العالمية الثانية[1].

مؤسسات الفكر والرأي هذه وغيرها، التي أنشئت خلال العقود الأولى من القرن العشرين، كانت ملتزمة بتطبيق خبراتها العلمية وعلى حشد من القضايا السياسية. وكما يقول كنت ويفر، الباحث في مؤسسة بروكنز، فإن هذه المؤسسات أمثال مؤسسة كارنيجي الخيرية وبروكينغز، تعمل « كما لو كانت جامعات بلا طلبة » وتعطي الأولوية لإنتاج أبحاث أكاديمية من نوعية عالية. فهي تصدر الكتب، والمجلات، والمواد التي تستهدف توعية وتثقيف أنواعا مختلفة من القراء. وعلى الرغم من أن الباحثين في هذه المؤسسات قد قدموا في بداية عهدها، وفي بعض الأحيان، المشورة لصانعي السياسة، غير أن الهدف الأول لم يكن التأثير المباشر على القرارات السياسية، بل مساعدة وإعلام صانعي السياسة والجمهور بخصوص العواقب المحتملة لإتباع مجموعة من الخيارات في السياسة الخارجية.

لقد نشأت جزئيا رغبة مؤسسات الفكر والرأي المتوجهة نحو الأبحاث السياسية في البقاء بعيدا عن العملية السياسية انطلاقا من التزامها الاحتفاظ باستقلاليتها الفكرية والمؤسساتية، وهو أمر كانت العديد من المؤسسات المعاصرة على استعداد للتضحية به.

- **بعد الحرب العالمية الثانية**: عندما أشرفت الحرب العالمية الثانية على الحسم أنشأ معهد المشروع الأمريكي The American Entreprise institute سنة 1943 و مع انتهاء الحرب بدأت مرحلة الثنائية القطبية، والإعلان الرسمي للصراع الإيديولوجي، الذي ميز العلاقات الدولية طيلة أكثر من أربعة عقود. وهكذا ظهرت موجة جديدة من مراكز الفكر، كتعبير عن تبوأ الولايات المتحدة موقع الدولة العظمى، الساعية للدفاع عما أسمته العالم الحر[2]. ففي سنة 1946 ظهرت مؤسسة راند Rand Corporation كأكبر مركز فكر في العالم، والذي ارتبط ماليا بالقوات الجوية الأمريكية، وساهمت هذه المؤسسة في وضع مقاربات جديدة حول مسائل الدفاع والردع معتمدة على تحليل النظم ونظرية الألعاب؛ وظهر كذلك معهد هدسون Hudson Institute سنة 1961 والمعهد الحضري Urban istitute 1967؛ وهي المؤسسات الفكرية المتعاقدة مع الحكومة، والممولة على نطاق واسع، من قبل الدوائر والوكالات الحكومية، والتي استهدفت أبحاثها معالجة مشاغل محددة لصانعي السياسة.

---

[1] . سليمان، منذر، دولة الأمن القومي و صناعة القرار الأمريكي: تفسيرات و مفاهيم، المستقبل العربي، مارس 2006، العدد 325، السنة الثامنة و العشرون، بيروت، ص 37.

[2] . المرجع السابق، ص 37.

- **الصدمات النفطية من** 1974 **إلى** 1979: ظهرت الموجة الثالثة من مراكز التفكير إثر هذه الأزمة التي هزت العالم الغربي في سنوات السبعينات، في الولايات المتحدة كما في أوروبا، وتميزت هذه المؤسسات بالتخصص في قضايا معينة و بالدفاع عن أراء القطاع الخاص، وركزت في نشاطها إلى جانب تقديم الأبحاث، إعطاء الرؤى والمشورة السياسية الهادفة للإقناع وللتأثير الموجه في القرارات السياسية الأمريكية، ودخلت في منافسة حرب الأفكار بين التيارات المحافظة والقوى اللبرالية التقدمية. وتعتبر مؤسسة التراث Heritage Fondation التي أنشئت في 1973 عشية الصدمة النفطية الأولى أبرز نموذج للجيل الجديد من الثينك تانكس، وعرفت بالتوجه المحافظ الأمريكي المتشدد[1]، وظهرت كذلك مؤسسة الكونجرس الحر Free Congress Foundation سنة 1974 و معهد كاتو The Cato Institute سنة 1977 و معهد منهاتن Manhatan Institute سنة 1978؛ وأدت هذه المراكز البحثية في هذه المرحلة دورا رئيسيا في رسم الإطار العقائدي للسياسة الخارجية الأمريكية، وخصوصا في عهد الرئيس رونالد ريغان[2]. وتعرف بمؤسسات الفكر والرأي الداعية لقضايا عامة التي تعتمد على أسلوب الجمع بين الأبحاث السياسية وتقنيات التسويق الجريئة، وهي وظيفة يشاركها فيها العديد من مجموعات المصالح، حيث غيرت بشكل أساسي طبيعة ودور مجتمع مؤسسات الفكر والرأي عامة. وخلافا لمؤسسات الفكر التي قامت في الجزء الأول من القرن العشرين، التي كانت تمانع الانخراط في المناقشات السياسية، فقد رحبت مؤسسات الفكر والرأي الداعية لقضايا عامة بالفرص السانحة للتأثير على كل من اتجاه ومضمون السياسة الخارجية. ومع ازدياد قدرات قطاع مؤسسات الفكر والرأي الأمريكية على المنافسة، توصلت معظم مؤسسات الفكر والرأي إلى إدراك أهمية جذب انتباه الرأي العام وأذهان صانعي السياسة.
- **سقوط حائط برلين:** في الليلة بين التاسع و العاشر من نوفمبر 1989 تم إسقاط الحاجز الذي فرق ألمانيا لمد 28 سنة، ومثل هذا الحدث تحولا مهما في تاريخ العلاقات الدولية، لأنه من الناحية الرمزية أعلن على نهاية الحرب الباردة، ونهاية عصر الإيديولوجيات كما ادعى فوكوياما، لتصبح سيطرة الولايات المتحدة واقعا دون منازع، وشهدت الساحة الدولية صعودا سريعا ومتزايدا للصين وتوسيعا للإتحاد الأوروبي نحو دول أوروبا الشرقية، إلى جانب المشاكل الجديدة التي تمثلها كل من العولمة والأسواق المالية والتي ولدت حاجة متزايدة للفهم والتفسير[3]. هذه الحالة منحت لمراكز التفكير الأمريكية فرصة توسيع فجوة التأثير، على الأوساط الفكرية في العالم خاصة تلك التي

---

[1] Stephen Boucher et Martine Royo, op. cit, p 51.

[2] صاٍ بن عبدا! ا ساā الـ8امدي، تقرير مؤسسة راند: إسلاǖ ǵضاري د قراٍائي ، رسالة علمية مقدمة إ قسم الدعوة و الثقافة الإسلامية لنيل شهادة ا لـDZستKـ الثقافة الإسلامية، ǈامعة أǖ القر؟، ا ملكة العربية السعودية، آ 20.

[3] Stephen Boucher et Martine Royo, op. cit, p. 52.

تنادي بالليبرالية السياسية، وهذا ما جعل مصطلحات تطفوا على السطح مثل السوق الحرة والليبرالية والإصلاح في التسميات الاجتماعية للمراكز الفكرية الجديدة، خاصة تلك التي ظهرت في أوروبا الشرقية[1]، وتكاثرت بشكل ملفت في الإتحاد الأوروبي، من 10 مراكز سنة 1980 إلى حوالي 40 مركزا سنة 2004 .

4. الطابع القانوني لمراكز الفكر وعلاقتها مع التنظيمات الأخرى:

من المهم توضيح الفرق بين مؤسسات اللوبي ومراكز الثينك تانكس، فاللوبي :

عبارة عن هيئة أو جماعة قانونية منظمة تدافع عن قضايا أو مواقف أو مصالح معينة، محددة لدى السلطات العامة في الدولة، وتلعب دورا محوريا وهاما في الحياة السياسية، حتى بات معروفا بأن القرارت يعدها أو يصنعها اللوبي وينحصر دور سلطات الدولة في إضفاء الصفة الرسمية على تلك القرارت[2]. واللوبي لا يعمل على استلام الحكم كما تحاول وتعمل الأحزاب، ولا يبرر قرارات الحكومة والبرلمان كما يفعل الحزب عادة ولاسيما إذا استلم الحكم أو كان جزءا منه. إنه يسعى للتأثير في الحكم وقياداته بصورة غير مباشرة عبر وسائل مختلفة على رأسها إنشاء شبكة من العلاقات مع الحكوميين والبرلمانيين ورجال الدين والقانون والقضاء والباحثين والمحققين الإستراتيجيين والأكاديميين والسياسيين والإعلاميين والفنانين وما نحوهم، من النفوذ والتأثير في الدولة من جهة وعلى الدولة من جهة ثانية وفي الرأي العام من جهة ثالثة، فرصيد أي لوبي من العلاقات ولاسيما في الاتجاهات المذكورة يعتبر أساسا للتحرك والعمل والنجاح[3]. أما الثينك تانك فالمادة رقم 501(c)(3) من قانون الضرائب يجعل منها منظمات غير ربحية Not For Profit ، ولا تحظى بحقوق قانونية للعمل من أجل تغيير مسار السياسة الأمريكية بواسطة الضغوط والحملات السياسية مثلما يتاح لمنظمات اللوبي . وتوجه في نفس الوقت اتهامات حادة لمنظمات الثينك تانكس بأنها تمارس مثل هذه النشاطات بطرق خفية وأنها تستخدم هويتها غير الربحية كستار للجهود التي تبذلها لتغيير مسار السياسة الأمريكية لطريق معين. رغم أن هذه المؤسسات سعت إلى زيادة الوعي بين الجمهور وصناع القرار بمزايا تنفيذ مجموعة معينة من الخيارات السياسية[4]. وتساعد هذه المؤسسات في إثراء الثقافة المدنية الأمريكية عن طريق تعريف مواطني الولايات المتحدة بطبيعة العالم الذي يعيشون فيه. و قد زاد تسارع وتيرة العولمة من أهمية وظيفة التواصل مع

---

[1]ibid, p. 52.

بالنسبة ـراكز البحث الشرقية ـكن ذكر: اـعهد الليتواﬦ للسوق اـرة lithuanian free market institute، و معهد غدانسك لإقتصاد السوق بولونيا Gdansk Institute For Market Economics... و اﻟ ساƵت عملية اﻟصخصة و الإنتقال إ اقتصاد السوق أوروبا الشرقية.

[2] ـاسم، صباﺡ، ﻣموعات الضﻐط: ما هيﺎ أƵيتهاﺎ وكيف تتأثرﺎ http://www.annabaa.org/nbanews/65/427.htm

[3] . نفس اـرجع السابق.

[4]Charles Philippe David, et Luis Balthazar, et Justin Vaisse, La Politique Étrangère Des Etats Unis, Fond--ements, Acteurs, Formulation, Paris, Presses de Science Po, 2e Ed, 2008, P. 453.

الجمهور. فمع ازدياد اندماج العالم أكثر فأكثر باتت الأحداث العالمية تطال حياة المواطن الأمريكي العادي وتؤثر فيها.

إن مشاركة مراكز البحث الأمريكية في صنع القرار- بشكل مباشر أو غير مباشر- ومدى استعداد صانع القرار إلى الاستئناس بآرائها هو ما يعطي هذه المراكز القوة لممارسة أشد أنواع التأثير في مجال صنع القرار. ويعد الديمقراطيون أكثر ميلا إلى استقطاب الأكاديميين من خصومهم الجمهوريين، ففي حين يأتي معظم صناع القرار في الإدارات الجمهورية من المجمع الصناعي الحربي وقطاع النفط - كما هو الحال في إدارة الرئيس بوش الإبن- يتم شغل المناصب الكبيرة والمتوسطة في الإدارات الديمقراطية بالدبلوماسيين المحترفين والمحامين والأكاديميين. وتهمة الانحياز عادة ما توجه إلى هذه المراكز، على خلفية الميول والاتجاهات الإيديولوجية الغالبة على الباحثين العاملين في هذا المركز أو ذاك. وعلى سبيل المثال، نجد أن مركزا مثل مشروع القرن الأمريكي الجديد يحظى بسمعة الانحياز للتفكير اليميني وبشكل خاص تفكير المحافظين الجدد، حيث تعمل فيه مجموعة من صقور الفكر اليميني المحافظ مثل ريتشارد بيرل، ونيوت جينجريتش، والسفيرة السابقة كيركباتريك، هذا بالإضافة إلى نائب الرئيس ديك تشيني، لذا طغت على المعهد صفة كونه قبلة أنصار اليمين المحافظ في واشنطن. ومن ناحية أخرى، تتهم بعض مراكز الثينك تانكس بالانحياز للسياسات المفضلة للدول العربية مثل معهد الشرق الأوسط، وهناك أيضا منظمات معروفة بالانحياز لإسرائيل مثل معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، ومعهد هوفر وغيرها كثير[1].

المطلب الثاني: دور وتأثير مراكز التفكير في السياسة الأمريكية

وبالعودة إلى الولايات المتحدة يتضح استمرار مراكز البحث في التكاثر بشكل كبير ومؤثر ومثير للجدل لدرجة أصبح التساؤل الذي يفرض نفسه هو ما حقيقة الديمقراطية داخل ما يعرف بأكبر دولة ديمقراطية؟ لذلك يجب التدقيق في دور ومستوى تأثير هذه المراكز الفكرية التي تعج بالخبراء في شتى المجالات العلمية في تجانس و تناسق لضمان استمرار الهيمنة والسيطرة على العالم.

يشير ريتشارد هاس[2] إلى مجموعة من الطرق التي تقوم مؤسسات الفكر والرأي بالتأثير على صانع القرار وهي:

---

[1] هشام سلام، مراكز الا... وصنع السياسة الامريكية   القرن ا ادي والعشرين، تقرير واشنطن، العدد التاسع، 2011، .http://necr.org/news.php?action=view&id=1521

[2] . ريتشارد هاس، مؤسسات الفكر والرأي وسياسة الولايات ا تحدة الأمريكية: و...هة نـ...ر ا...د صانعي السياسة، مقالة،   ا...لة الإلكترونية دور مؤسسات الفكر والرأي   السياسة ا...ار...ية للولايات ا تحدة، أصدر...ا و...ارة ا...ار...ية الأمريكية، نوفم   2002.

5. توليد أفكار وخيارات جديدة: إذ تقوم هذه المراكز بتقديم الأفكار الجديدة إلى مؤسسة السياسة الخارجية وهو ما يؤثر في طريقة تفكير صانع القرار، وتحدد ردود أفعاله تجاه مختلف القضايا الدولية. وتساعد هذه الأفكار على ترتيب أولويات السياسة الخارجية الأمريكية. ومن الأمثلة على ما قدمته هذه المراكز من مقترحات في مجال السياسة الخارجية يشير ريتشارد هاس إلى : اقتراح إنشاء هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية عام 1945. وكذلك مبادىء سياسة الاحتواء التي انتهجتها الولايات المتحدة تجاه الاتحاد السوفييتي السابق وأدت إلى سقوطه*. وكذلك أطروحة صراع الحضارات لـ صموئيل هينتغتون الأستاذ في جامعة هارفارد التي نشرها في مجلة فورين أفيرز عام 1993[1].

6. إيجاد مجموعة جاهزة من الاختصاصيين للعمل في الحكومة: إذ تقوم هذه المراكز بإيجاد خبرات مهمة للعمل في الإدارات الأمريكية القادمة إلى السلطة والكونجرس المنتخب. فمع وصول الرئيس بوش الابن إلى الحكم اعتمد على عدد كبير من الخبراء القادمين من المؤسسات الأكاديمية لملء الفراغ في عدد كبير من المناصب. فمثلا تم تعيين جون بولتون مساعدا لوزير الخارجية لشؤون التسلح والأمن الدولي، بعد أن كان نائب رئيس مؤسسة أمريكان إنتربرايز. ثم أصبح سفير الولايات المتحدة في مجلس الأمن.

7. تتخذ مكانا للنقاش: بتنظيم لقاءات دورية مع صناع القرار للإطلاع على ماهية السياسات المتبعة ضمن الحكومة، وتكون منبرا لأصحاب القرار لشرح سياساتهم للنخب الفكرية والثقافية وقادة الرأي داخل المجتمع وبهدف تكوين حالة من الإجماع والتأييد لهذه السياسات. ويدرك صانع القرار الأمريكي أن أي توجه في مجال السياسة الخارجية لن يكتب له النجاح دون مباركة أكبر عدد ممكن من قادة الرأي العام وخبراء الشؤون الخارجية ودعمهم. ويعد مجلس العلاقات الخارجية المنبر الأهم لصناع القرار الأمريكي لشرح سياساتهم وأهدافهم، حيث يستضيف المجلس مئات اللقاءات مع المسؤولين على مدار العام، في واشنطن ونيويورك ومدن أمريكية أخرى[2].

- تثقيف مواطني الولايات المتحدة عن العالم: لأن تثقيف الجمهور بالقضايا الخارجية وحشد تأييده لسياسة معينة من أبرز المهام التي تقوم بها مراكز الأبحاث في إطار عملها بالشأن العام. وقد ازدادت أهمية هذا الدور بعد انتهاء الحرب الباردة وانتهاج الإدارة الأمريكية سياسة أكثر تدخلية

---

* وضع مبادئ سياسة الاحتواء السفير الأمريكي في موسكو **جورج كينان**، ونشرها في مجلة فورين أفيرز بعنوان: (أسس السياسة السوفييتية) وقد حملت هذه المقالة توقيع x عام 1947.

[1] . هاس، ريتشارد، مرجع سبق ذكره، ص. 4.

[2] . . المرجع السابق، ص 05.

بعد أحداث 11 سبتمبر 2001. وقد أدت العولمة، وازدياد الحاجة إلى الأسواق الخارجية لتصريف المنتجات الزراعية الأمريكية خاصة، وتنامي الخوف من انتقال الأمراض المعدية، وهاجس وقوع هجمات على المصالح الأمريكية داخل الولايات المتحدة وخارجها إلى زيادة اهتمام الجمهور الأمريكي بالشؤون الخارجية. ويوجد حاليا ثمانون مجلسا للشؤون العالمية، منتشرة في أنحاء الولايات المتحدة. تتخذ منتديات قيمة يمكن فيها لملايين المواطنين أن يتناقشوا في الأحداث الدولية. وعليه فقد أصبح للمواطن الأمريكي حصة متنامية في السياسة الخارجية[1].

- المساعدة في حل النزاعات الدولية: وتقوم هذه المراكز بدور الوسيط في حل النزاعات الدولية. ويسعى معهد السلام الأمريكي إلى ترتيب حوارات ومفاوضات غير رسمية بين أطراف متنازعة، ويقوم بتدريب المسؤولين الأمريكيين للتوسط في حل النزاعات المستعصية. وهنالك مراكز أخرى تنهض بأدوار أكثر فعالية في مجال الدبلوماسية الوقائية، وإدارة النزاعات وحلها. وتنهض هذه المؤسسات بدور إضافي كمنظمات غير حكومية ناشطة في قضية معينة. فمثلا: مجموعة الأزمات الدولية تقوم بنشر شبكة من المحللين في بؤر التوتر في العالم لرصد الأوضاع السياسية المتفجرة، وتقوم بوضع توصيات مبتكرة ومستقلة من أجل إيجاد ضغط عالمي لإيجاد حل سلمي لها[2].

تصنيف مراكز التفكير في الولايات المتحدة الأمريكية يعتمد على عدة معايير، فمثلا من حيث استقلاليتها أو تبعيتها إلى الأجهزة الحكومية أو إلى احد المؤسسات التعليمية مثل الجامعات فضلا عن (مراكز الأبحاث المستقلة ومراكز الأبحاث الرسمية التابعة للحكومة)، وأيضا من حيث تخصصها أو مجالات اهتمامها فهناك مراكز متخصصة في مجال معين بينما توجد مراكز أخرى ذات اهتمامات و اختصاصات متنوعة ومتعددة، فعلى سبيل المثال تعتبر مؤسسة راند Rand Corporation متخصصة بالتعامل مع القضايا ذات الطبيعة العسكرية و المخابراتية و الإستراتيجية غالبا ما تستعين بها المؤسسة العسكرية الأمريكية لمساعدة الجيش في كيفية مواجهة التحدي الذي تمثله قضايا الإرهاب والأمن القومي، وهي في الوقت ذاته مؤسسة مستقلة غير حكومية تأسست سنة 1948 بتمويل خاص كمؤسسة لا تهدف إلى الربح، إلى جانب أمريكان أنتربرايز (Enterprise Institute For Public Policy research America) المؤسسة المعروفة بميولها اليمينية ذات الاهتمامات بالسياسة الاقتصادية للحكومة وتقدم لها مقترحات في المجال الاقتصادي، إذن فهناك مراكز تهتم بالسياسة

---

[1] ريتشارد هاس، مرجع سبق ذكره ، ص. 06.

[2] المرجع السابق، ص. 07.

الخارجية والشؤون الدولية ومراكز أخرى تهتم بالشؤون الداخلية و السياسات والموضوعات المحلية في المجتمع.

ويمكن استعراض أهم الأسباب التي استدعت إلى الاعتماد على هذه المخابر البحثية ونصائح خبرائها و ذكر أهم وأبرز المراكز المعروفة على الصعيد العالمي في الولايات المتحدة المستقلة منها والحكومية.

- **مراكز التفكير المستقلة**

تجاوزت مراكز التفكير المستقلة في أمريكا عام 1988 ألف مركز نصفها تقريبا ارتبط بالجامعات والنصف الآخر كان يعمل كمؤسسات خاصة ومستقلة، حوالي 25% من هذه المراكز المستقلة أي حوالي100 مركز كان في ولاية واشنطن العاصمة.

وتعد المراكز التالية أهم وابرز مراكز التفكير في أمريكا وفي العالم، خاصة في مجالات السياسة العامة للدولة وقضايا السياسة الخارجية والعلاقات الدولية والمسائل الإستراتيجية.

1- **بروكينجز انستيوشن** Brokings Institutio think- tanks تأسست في عام 1927 ومتخصصة في الأبحاث و الدراسات الأكاديمية في مجال السياسة الدولية، وتنشر نتائج أبحاثها في كتب وتقارير ومجلات دورية. وهو مركز أبحاث ليبرالي ومصدراً لتزويد الحزب الديمقراطي الأمريكي بكثير من الآراء والأفكار والكفاءات البشرية من الكوادر، على سبيل المثال قام ذلك المعهد بتزويد إدارة كارتر(1977-1980) بعدد من المسؤولين والمتخصصين من بينهم تشارلز شولتز رئيس هيئة مستشاري الرئيس الاقتصاديين.

تصدر من هذا المعهد مجلة فصلية وحوالي 35 كتاب سنوي كما يشرف هذا المعهد على العديد من برامج الإذاعة ويقيم العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية .

2- أمريكان انتربرايز (American Enterprise Institute) تأسست في عام 1943 ، كمؤسسة أبحاث خاصة استهدفت الدفاع عن النظام الرأسمالي وعن سلوكية الشركات الكبيرة ومصالحها، ولكنها بعد ذلك تعددت وتنوعت وتوسعت مجالات اهتماماتها. يقوم هذا المعهد بإصدار 04 مجلات فصلية وحوالي130 دراسة وكتاب كل سنة كما يقوم هذا المعهد بكتابة مقالات صحفية بمعدل (3) مقالة لكل أسبوع حيث يتم نشرها في 101 جريدة يومية تحت أسماء شخصيات سياسية واقتصادية معروفة، والباحثون الذين يشتغلون في هذه المؤسسة نصفهم على الأقل هم سياسيون عملوا كموظفين في الإدارات الحكومية الأمريكية.

وبسبب نشأته عد انتربرايز كمعهد للنظام الرأسمالي ومصالح الشركات الكبيرة، فقد عد أحد القواعد الفكرية الرئيسة للحزب الجمهوري واهم المصادر التي تزوده بالعقول والأفكار،

وعلى سبيل المثال انضم إلى إدارة الرئيس ريغان من أبناء وأعضاء هذا المعهد32شخصا وذلك بعد نجاح الجمهوريين باستلام السلطة عام 1981، وكما حصل في عام 1977 بعد خروج الجمهوريين من الحكم نتيجة لفشل الرئيس فورد في الانتخابات أمام الرئيس كارتر انظم 20 شخصا بمن فيهم الرئيس فورد نفسه إلى صفوف رواد المعهد.

3-**مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية**: أسس عام 1962 كمؤسسة أبحاث خاصة تابعة لجامعة جورج تاون الأمريكية، ويقول مؤسسي المركز بأنه يهدف إلى تشجيع صانعي القرار السياسي والجمهور على التفكير بشكل استراتيجي فيما يتعلق بالقضايا الدولية ، وخلال مدة زمنية قصيرة استطاع هذا المعهد احتلال مكانة مرموقة في واشنطن كواحد من أهم مراكز التفكير اليمينية المعادية للسوفيت والمتعاطفة مع إسرائيل، وفي سنة 1981 (قدم هذا المعهد استشارات أمنية وسياسية للرئيس ريغان، وانضم من أبناء هذا المركز 18 شخصا لإدارة الرئيس ريغان ومن بينهم رئيس المركز في وقته ديفيد ابشاير أصبح سفير أمريكا لدى حلف الناتو.

4- **مؤسسة التراث**(Heritage Foundction): تأسست في عام 1972 كمؤسسة أبحاث يمينية محافظة استهدفت أساسا التأثير في توجهات الرأي العام الأمريكي وخلق ظروف موضوعية تسمح للفكر اليميني المحافظ بالسيطرة على السياسة العامة للدولة والعودة لاستلام الحكم، وساهم في نجاح ريغان للوصول إلى الحكم، كما قال احد أعضاء المؤسسة بأن الأفكار تسبق في العادة السياسيين، وبعد انتخاب ريغان انضم إلى إدارته من أعضاء المؤسسة36 شخصا عينوا جميعا في مراكز حساسة وذات علاقة مباشرة بصنع السياسة العامة للدولة. وديفيد فولس الذي كان رئيس المؤسسة فقد تم تعيينه من قبل ريغان عام 1982 رئيسا للجنة الاستشارية التي أوكلت إليها مهام تقييم الدبلوماسية الأمريكية. تعمل هذه المؤسسة على توجيه الرأي العام الأمريكي باتجاه يميني محافظ، ونشر هذا التوجه على المستوى الخارجي في أوربا. كما يقول جيفري جنز مستشار المؤسسة للشؤون الدولية (بأن مؤسسة التراث تقود جهود عالمية لتطوير برنامج عمل دولي مشترك لليمين من خلال علاقات تعاون بين 200 منظمة ومجموعه أجنبية بما في ذلك أحزاب سياسية ومراكز تفكير وأساتذة الجامعات ومؤسسات إعلامية).

وفي عام 1983 تم إنشاء (الاتحاد الديمقراطي العالمي) تحت قيادة المؤسسة 21 ويظم ذلك الاتحاد رؤساء أحزاب سياسية محافظة من 30 دولة يهدف إلى رسم استراتيجيات عمل خاصة في مجال السياسة الخارجية، هذه المؤسسة أيضا كالمؤسسات الأخرى لها منشورات وإصدارات من الكتب والتقارير والمجلات.

5- **راند كوربوريشن** (Rand corporation): هي اكبر مؤسسات البحث الخاصة في أمريكا وفي العالم أيضا تنحصر اهتماماتها في قضايا الأمن والدفاع وعلاقة تلك القضايا بشكل عام بإستراتيجية أمريكا الأمنية والعسكرية. وتعد هذه المؤسسة العقل المفكر لوزارة الدفاع الأمريكية، في مجال إعداد الدراسات والأبحاث الخاصة بالأسلحة الأمريكية وأنظمة الدفاع المختلفة، والدراسات تجري بموجب عقود بين وزارة الدفاع وهذه المؤسسة وتبقى بعض من أبحاثها ودراساتها لا تنشر، لذلك ينحصر تأثيرها ضمن دائرة صغيرة من صانعي القرار السياسي خاصة العسكري والأمني في الولايات المتحدة الأمريكية .

مراكز التفكير الرسمية (الحكومية):

حصلت الحكومة على فائدة كبيرة عند تعاملها مع الخبرات الموجودة خارج الأطر الرسمية وبذلك شجعت هذه المراكز ووسعت نشاطاتها في كافة المجالات التي تقع ضمن اهتمامات الدولة، وعلاقة الحكومة مع هذه المراكز ذات طابع تعاقدي، أي يتعاقد احد الأجهزة الحكومية مع احد هذه المراكز لقيام ببحث في مجال معين مقابل تمويل هذا البحث مادياً وتقديم كافة التسهيلات اللازمة للباحثين، وهذا ما أدى إلى زيادة الإنفاق حكومي على الأبحاث فعلى سبيل المثال ازداد الإنفاق الحكومي ففي عام 1965 من 225 مليون دولار إلى 02 مليار دولار في عام 1975 إن إدراك صناع السياسة الأمريكية قدر المنفعة والاستفادة من هذه المراكز ونتائجه الايجابية في التعامل معها، دفع الحكومة إلى تأسيس مراكز تابعة وخاصة للحكومة. وهنا نحاول أن نعرض بعض أهم وأبرز المراكز التابعة للحكومة الأمريكية :

1. **مكتب المحاسبة العامة** (General Accounting Office): جهاز تحقيق تابع للكونجرس الأمريكي، وتبلغ ميزانيته إلى ما يقارب 300 مليون دولار، كما يبلغ عدد موظفيه 500 موظف، ومهمته القيام بالدراسات فيما يتعلق بالتجارة الخارجية والطاقة والتمويل ومعونات التنمية للدول الأجنبية.
2. **مركز الكونجرس للخدمات البحثية**(Service Congressional Research): هذا ذو اهتمامات متعددة وخاصة السياسة الخارجية والعلاقات الدولية وتقدم هذه الدراسات إلى الكونجرس الأمريكي.
3. **مكتب الكونجرس للميزانية** (Congressional Budget Office): متخصص بشؤون الميزانية وتقييم أبعاد أوجه الإنفاق المختلفة وتحديد الآثار التي تترتب على خفض أو زيادة ميزانية بعض البرامج.
4. **مكتب تقييم التكنولوجيا**(The Office of Technology Assessment): يساعد الكونجرس على فهم تعقيدات التكنولوجيا الحديثة وإصدار التشريعات بشأنها.

والى جانب تلك المراكز قامت الحكومة الأمريكية في الستينيات والسبعينيات بإنشاء معاهد أبحاث وأقسام للدراسات المتخصصة في كل الوزارات الرئيسة، ومن ضمنها معهد الخدمة الدولية التابع لوزارة الخارجية واستحداث دوائر خاصة في وزارة الخارجية لتمويل نشاطات بعض المؤسسات التي تقوم بترويج ونشر الثقافة الديمقراطية ومفاهيم المجتمع المدني وحقوق الإنسان في العالم وفق معايير ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية.

استنتاج الفصل الثاني:

من خلال محاولتي استكشاف طبيعة حركة المحافظين الجدد والعمل الفكري الذي دأب أتباعها في إنتاجه ونشره في الأوساط الأكاديمية والسياسية الأمريكية، يتضح المسار التصاعدي الذي اتخذته السياسة الدولية للولايات المتحدة الأمريكية، في تعاملها مع الأوضاع الأمنية والحضارية في العالم. فالتطور الذي ميز التحرك الخارجي الأمريكي والذي تميز بالانتقال من إستراتيجية الانعزالية إلى التدخل المباشر لحسم النزاعات في القارة الأوربية في الحربين العالميتين إلى إستراتيجية الاحتواء التي اتسمت بها مرحلة الحرب الباردة، كلها نتاج عمل فكري غذى الأوساط السياسية للإدارات المتعاقبة على البيت الأبيض. ويتضح الانسجام الذي وصلت إليه السياسة الداخلية والسياسة الدولية للولايات المتحدة واستجابة كلاهما للأخرى بظهور تحالفات بين الديني (الإنجيلي-البروتستانتي) والسياسي (الشتراوسي) وبين العسكري والاقتصادي (المركب الصناعي العسكري واللوبي النفطي)، كنوع من إعطاء ميزة للشخصية الأمريكية باعتبارها صاحبة التميز والاستثناء في العالم مما يخول لها تحديد طبيعة التهديدات والأخطار التي تتربص بالسلم والأمن الدوليين والمرتبط أساسا بالأمن القومي الأمريكي.

والمحافظون الجدد الذين يتميزون بدورهم في إنتاج الأفكار وتمرسهم في الميدانين الأكاديمي والسياسي استطاعوا من إيصال أفكارهم ومعتقداتهم عبر المراكز الفكرية والمجلات المتخصصة إلى تعبئة الرأي العام وتجنيد الساسة لتسهيل مرور برامجهم ووضع مخططاتهم لتحقيق السيطرة والهيمنة على المستوى العالمي. وهكذا أصبحت الإرادة الأمريكية في تحقيق الحلم الإمبراطوري أمرا مقبولا حتى وإن كان قسرا. لأن الأوضاع الدولية التي ميزت فترة ما بعد الحرب الباردة (الأمريكوسوفياتية)، وفترة ما بعد 11 سبتمبر 2001 فرضت بشكل مطلق ضرورة إتباع النظرة الأمريكية الجديدة للعدو والتي ترجمتها إعلان الرئيس بوش الابن الحرب على الإرهاب، وانتهاج الإستراتيجية الإستباقية والحرب الوقائية، بتجنيد أكبر عدد ممكن من الحلفاء إن أمكن أو التحرك فرادى لأن الولايات المتحدة الأمريكية حسب بوش الابن لا تنتظر الإذن للدفاع عن نفسها ضد كل من يستهدف أمن وسلامة مواطنيها ومصالحها القومية.

البحث عن العدو، ربما بات الانشغال الأساسي للاستراتجيين الأمريكيين الذين ألفوا وضع الخطط والبرامج لإبقاء حالة التأهب لأي طارئ يأتي من الخارج، حتى من كائنات فضائية كما كان يعتقد ريغان، أو كوارث طبيعية أو هجمات الأعداء الذين يترصدون بالاستثنائية الأمريكية، ويجعلون منها هدفا- حسب الإدارة الأمريكية- لشق طريق تبرير فشلهم، ومحاولة تحقيق مآربهم، سواء كان خصما اقتصاديا أو حضاريا أو الاثنين معا. هذا الإدراك للعدو هو الأساس المحرك للقرار السياسي الأمريكي داخليا وخارجيا في سياسة دولية استطاعت أن تصنع معالمها في القرن الماضي وبداية القرن الحالي. وتتحدد هذه الرؤية والأفكار من خلال مجموعة من القيم والمعتقدات التي ينشأ فيها الفرد، أو يصطدم بها، مكونا إدراكات وتصورات ومن ثمة معارف عن ما يحدث حوله لينطلق وفق ما تحدده نزعة البقاء، ويشكل انسجام أو تعارض مع أفراد وجماعات، ليتحقق التناغم أو يحدث الصراع، وفي هذا الزمن يتحدد الأنا والآخر وهنا وهناك، وفق معايير يضعها الذي يسيطر ويتحملها الذي يخضع ويقبل بالرضا أو القسر. وربما جاءت أحداث سبتمبر 2001 ليخرج إلى العلن ما كان ينقص إدارة بوش الابن لتبدأ في تنفيذ ما برمجه أعمدة البنتاغون من المحافظين الجدد الذين يتمتعون بعلاقات متنامية مع اليمين الديني.

المبحث الأول: وضعية الولايات المتحدة الأمريكية في العالم وإرث الإدارات السابقة

من خلال هذا المبحث أريد أن أوضح المسار الذي آلت إلية السياسة الدولية للولايات المتحدة، وفق مجموعة من المتغيرات الداخلية والخارجية التي فرضتها التشكيلة السياسية للإدارات المتعاقبة في البيت الأبيض والأحداث الدولية التي أظهرت سيطرة أمريكية متنامية، لما بعد الحرب الباردة؛ وظهرت الولايات المتحدة في ثوب المنتصر وعبرت عن ذلك علنا في كل فرصة أتيحت لها.

المطلب الأول: مرحلة عقدة الإنتصار

أوكلت الولايات المتحدة الأمريكية للقوات المسلحة مهمة مواجهة ووقف مد المعسكر الشيوعي، ومن خلال عمليات الانتشار على المستوى العالمي مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية، في ما يسمى مناطق الديون القومية، يتضح وأن الإستراتيجية الأمريكية وظفت صراعها الإيديولوجي لتحقيق مصالح حيوية، مرفقة بالتدابير الاقتصادية الموجهة من طرف مؤسسات: البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية، والتي وسمت العولمة التي يعتبرها المنتقدون* بأنها أمركة لكل مقدرات البشرية، خاصة وأن تلازم إنشائها ومقراتها المتقاربة في الوولستريت بنيويورك جنبا إلى جنب

* وعلى سبيل الذكر لا الحصر: روبرت كروف الذي أشار إلى ضرورة التحرر من أمريكا، وجوزيف ستيغليتز الذي عبر في الكثير من كتاباته عن تحول العولمة إلى خيبة حقيقية لشعوب العالم، خاصة عن طريق الدور الذي تقوم به مؤسسات البورتن وودتز،

مع المركزي الأمريكي رمز السيادة المالية الأمريكية. هذا التلازم صبغ النظام الدولي طيلة النصف الثاني من القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرون، في عملية مؤدلجة، حملت راية الرفع من امتيازات الشركات العملاقة ومن إمكانية تنقل رأس المال، ضمن الحدود التي رسمتها التكنولوجيا الفائقة والتي جعلت من التعاملات الاقتصادية - إلى جانب كونها تبادل للسلع والخدمات – عبارة عن أرقام تتداولها البورصات المالية العالمية، وتتبناها البنوك المركزية والخاصة. إلى جانب البحث العلمي الذي أصبح من أهم وساءل بسط النفوذ وتصدير الأنموذج الأمريكي لباقي الشعوب، من خلال تصدير منتوج المادة الرمادية، الذي أصبح لديه أكبر قيمة مضافة، وهذا ما يسمى بالتفاعل بين أمة الرأس أو العقل وبالتالي التفكير les head nations ، وبين أمة الجسم والتي تقوم بالإنتاج المادي (les body nations، وأحسن مثال على ذلك (دمية باربي، والأقراص المدمجة...) المصنوعة من البلاستيك بقيمة مضافة زهيدة[1]. وهكذا ظهرت آليات جديدة في مسيرة التراكم الرأسمالي عبر حقوق الملكية الفكرية بحيث تحولت الأشكال الثقافية والإبداع الفكري إلى سلع.

مع نهاية حقبة الحرب الباردة، أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تعيش اللحظة الأحادية، التي عبر عنها أكثر مفكريها بتعبيرات مختلفة: نهاية التاريخ وانتصار الديمقراطية الليبرالية حسب فوكوياما واللحظة الأحادية أو اللحظة الديمقراطية حسب شارل كروثامر. وهكذا وصلت أمريكا إلى التفوق الإمبراطوري الذي لم تعرف له البشرية مثيلا، مدججا بالعناصر الأربعة للقوة: السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية، أضف إلى ذلك السيطرة التقنية والإعلامية، «ليجد الشعب الأمريكي نفسه يعيش – كما يقول كيسنجر -في «وضعية لم يسبق للتجارب التاريخية وأن حضرته لها.. »[2] تخلصت الولايات المتحدة إذن من ساحرات مكارثي الشيوعية، وسارعت للإعلان عن النظام العالمي الجديد من طرف الرئيس جورج بوش الأب: «سنشيد نظام عالمي جديد ... حيث تحظى الحرية وحقوق لإنسان باحترام الأمم ».

1. اللحظة الأحادية:

بين 1990-2000 حققت الولايات المتحدة ما يقدر بـ: 50% من مجمل الثروة المنتجة لباقي أكبر الفواعل في الاقتصاد العالمي[3] ليس ببعيد عن هيمنة شاملة، وهكذا بدأت الفرصة الفعلية التي يتحدث عنها بريجنسكي، للسيطرة على العالم وتحقيق ما يمكن أن يبقي المصالح الأمريكية في معزل عن الخوف، خاصة وأنها «لا تواجه أي نظير أو منافس أو تهديد، لا على الجبهة الشرقية ولا الغربية ولا حتى الجنوبية للحرب الباردة التي خيضت عدة عقود على لوحة الشطرنج الأوراسية

---

[1] Steven Ekovich, la puissance américaine: déclin ouajustement ? assisterait-on à un déclin des états-unis d'amérique ? Université américaine de Paris, 2010.

[2]Henry Kissinger, La Nouvelle Puissance Américaine, Traduit حar : Odile Demange, Fayard, 2003, p. 25.

[3] Steven Ekovich, la puissance américaine, op., cit.

الكبيرة»[1]، وبدأ ما أصطلح عليه، ما بعد الحرب الباردة، ما بعد النظام العالمي القديم وبالتالي أصبح العالم يعيش في ظل النظام العالمي الجديد، كلها مسميات لم تخلو من الأساليب الأمريكية في محاولة تنميط وتطبيع الأوضاع حسب ما يخدم نموذجها المعرفي، واستخدام لمصطلح "الجديد" يعود في مختلف محطات التاريخ الأمريكي كنوع من محاولة إحداث القطيعة بين محطاته المختلفة، لا تعني هذه القطيعة بأن الفكر الأمريكي ينعزل عن ماضيه، بل بالعكس هي إظهار للديناميكية التي تميز المجتمع الأمريكي ومقدرته على صنع المزيد من التقدم واستمرارية المبادرة والابتكار عبر تعاقب الأجيال المفكرة حتى وإن كان مصدرها المهاجرين، ففي كل سنة تستقبل الولايات المتحدة 600 000 طالب أجنبي، الوافدين إلى الجامعات الأمريكية، والذين استقطبتهم ثقافتها ومنهم من منحتهم الانتماء الوطني الأمريكي*، وآخرون يعودون إلى بلدانهم متأثرين بالحياة الأنجلوساكسونية، وقد يتقلدون فيها مناصب سياسية وهذا في الغالب ما يخدم أمريكا بطبيعة الحال حسب رأي هيبر فدرين [2].

أصبح التفوق الأمريكي تصوغه عملية نفسية وإجرائية في نفس الوقت تتمثل في السيطرة على العقول وتسويق فكرة الهيمنة داخليا وخارجيا، وأعطى دافيد هارفي - من خلال كتابه الإمبريالية الأمريكية الذي اطلعت على مقتطفات منه من خلال القراءة التي يقدمها محمد أيوب[3] لهذا الكتاب- مفهوما للهيمنة في نوعين:

أ. **الهيمنة بالقبول**: وهي تعني الهيمنة السياسية من خلال موافقة المحكوم في الدولة الواحدة، أو سيطرة دولة من خلال تفوقها الثقافي والمعنوي على مجموعة من الدول التي ترى في الدولة المهيمنة نموذجا يمكن الاقتداء به، بهدف تحقيق نوع من التوازن مع الدولة المهيمنة والتقليل من قوتها وسلطتها وإفراغها من محتواها، من خلال المنافسة للتقليل من خصوصية المهيمن.

ب. **الهيمنة بالإكراه والقسر**:

وذلك من خلال اللجوء إلى استخدام القوة العسكرية، وقد تكون هذه الهيمنة مزيجا من القبول والقسر. ويفرق الكاتب بين نوعين من القوة هما: القوة التجميعية والتوزيعية

---

[1] زبيغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية، ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية، ترجمة، الأيوبي عمر، دار الكتاب العربي، بيروت، 2007، ص ص 28-29.

* تبقى أمريكا وفية لتاريخها، وهويتها التي صنعها مهاجرون وبقيت تصنع هويات المهاجرين بعدد مختلف الانتماءات، عرقية أو دينية: الطبيب الجزائري زرهوني، الإعلامي والمفكر الهندي فريد زكريا وآخرون، دخلوا في خدمة المصلحة القومية للولايات المتحدة الأمريكية.

[2]. Védrine, Hubert, Face à L'hyper-Puissance, Textes et Discours, 1995 – 2003, Editions Fayard, 2003, p. 198.

[3] محمد أيوب، قراءة في كتاب الإمبريالية الأمريكية لدافيد هارفي، ترجمة، شحادة، وليد، ص 22. مأخوذ من الانترنيت. وهذا التقسيم شرحه من قبل غرامشي الذي حلل ظاهرة الهيمنة بشكل دقيق، وقد أشرت إليه في مبحث سابق من هذه الدراسة.

التي تكون فيها المنافسة عاملا يحسن موقع المهيمن الذي ينتزع القوة من الآخرين أو يقود تحالفا إقليميا يحقق منافع أكبر للإقليم، ويمثل لذلك بنموذج الإوزة الطائرة الذي تقود فيه اليابان مجموعة من الدول الآسيوية، وقيادة التحالف الفرنسي الألماني لدول أوروبا وهو يشير إلى أن عملية توزيع القوة يلعب دورا في إعادة تنظيم الرأسمالية العالمية بصورة أقوى من العولمة (وهذا يعني تهيئة الأجواء إلى مرحلة ما بعد العولمة). ولما كانت محصلة القوة التوزيعية صفرا فإن على الدولة المهيمنة أن توفر المكاسب المتبادلة والمنفعة للجميع لتكون المحصلة اكبر من الصفر، أو أن تعزز قوتها المشتركة في مواجهة الطبيعة من خلال إبداع وتطوير تقنيات جديدة وتنظيم البنية التحتية مثل شبكات الاتصال وهياكل القانون الدولي، ومن هنا فإن تزايد القوة الجماعية المشتركة يشكل القاعدة المتينة للهيمنة في النظام العالمي[1]. لقد أسهم تقليد أساليب الحياة الأمريكية إلى نمو النزعة الاستهلاكية مما زاد في عملية تراكم رأس المال ماليا، ولكن هذا التقليد قد يؤدي إلى منافسة حادة، ومن هنا يصبح المال والقدرة الإنتاجية والقوة العسكرية الأرجل الثلاثة التي تقف عليها الهيمنة في ظل الرأسمالية[2].

يحاول فيدرين من خلال تحليله لطبيعة القوة الشاملة Hyper Puissance* التي آلت إليها الولايات المتحدة الأمريكية مستندا في ذلك على رأي كيسنجر الذي يعتبر أن بلاده هي المسيطرة الحالية والمستقبلية Prédominante[3]، ويضيف فدرين بأن لغرض الهيمنة تتوفر أمريكا على القوة الاقتصادية والسيطرة على تكنولوجيا المعلومات والسيطرة العسكرية، واللغة المستعملة على المستوى الكوكبي، والتبشير المسيحي، وعدم وجود قوة موازية لها**. إلى جانب إعطاء القانون الدولي صيغة تتوافق مع التصور الأمريكي، خاصة في إنشاء المحاكم الدولية، في تهميش للدور الأوربي والفرنسي بالخصوص. ومن هنا يأتي التفسير من محاولات أمريكا لاصطناع فزاعات الإرهاب الإسلامي والخطر الصيني وخلق الذرائع لتمهيد الأجواء أمام حرب باردة جديدة تعيد لأمريكا مكانتها القيادية التي بدأت تضعف وتتضاءل، بسبب غياب العدو الكفيل بتعبئة مناسبة للشعب الأمريكي لمساندة وتبرير أي تحرك للإدارة الأمريكية.

أمام هذه المعطيات التي صنعت التفوق الكوني للولايات المتحدة، لم يمنع من ظهور ما يعرقل ترجمة الانتصار في الحرب الباردة والتواجد الريادي، على أرض الواقع؟

---

[1] Ţمد أيوā، مرǲع سبق ذكره، î î 3-4.

[2] ا رǲع السابق، î 16.

* كما يمكن ترجمتها إلى القوة الخارقة.

[3] Hubert Védrine, Face à L'hyper-Puissance, op., cit, p90.

** رغم أن روسيا الوريث الشرعي ǿRاد السوفيا ، ƒ ال القوة العسكرية بقدر ما، إ ǲانب تكنولوǲيا الفضاǿ، وفرنسا وأ انيا و الص واآند وبريطانيا واليابان ا ثل كل واǵدة منها قوة ک ? غƘ مكتملة، وكل ǵسب امكانياǿا اƞاصة ǿ وا لا ترتقي نافسة الولايات ا تحدة، الوقت ا اضر.

2. الاستجابة لتحديات المرحلة الجديدة:

عرفت هذه المرحلة تعاقب ثلاث رؤساء من سنة 1991 إلى 2001 وهم على التوالي الرقم 41 و 42 و 43، هذه المتتالية الرقمية تشير إلى ظاهرة مهمة تتمثل في التفاعل السياسي التقليدي في الولايات المتحدة من خلال تداول الحزبين الجمهوري والديمقراطي وتداول الأب والابن* على البيت الأبيض، ابتداءا من بوش الأب، الرئيس الواحد والأربعون من الحزب الجمهوري 1989-1993، وكلينتون، الرئيس الثاني والأربعون من الحزب الديمقراطي 1993-2001، وبوش الابن الرئيس الثالث والأربعون من الحزب الجمهوري 2001-2009 . ويتحدث المتتبعون للسياسة الأمريكية عن عائلة آل بوش المثيرة للجدل في عالم السياسة والأعمال، على الأقل ابتداء من السيناتور بريسكوت بوش، الذي كان له حضور متميز في السياسة الأمريكية مع نهاية النصف الأول وبداية النصف الثاني للقرن العشرين، والمسيرة الكبيرة لبوش الأب في مختلف مؤسسات أمريكا العسكرية والسياسية، وصولا إلى الابن المدلل جورج والكر بوش، الذي استطاع أن يخلف أباه في الحكم ليكون قدره ورسالته التي يدعي أن الله كلفه بها وهي مواجهة العدو الجديد للأمة الاستثنائية الأمريكية، والسير بها نحو العظمة والحرية والعدالة، ليس في أمريكا وحدها، لكن في العالم أجمع.

1. بوش الأب: تعامل بوش الأب مع مرحلة ما بعد الحرب الباردة بكل حذر، لمنع أي انزلاق يمكن أن يصاحب عملية تفككك الخصم الشيوعي السابق، وبدا متفتحا للتعددية الدولية Multilateralism ، فيما يخص مراقبة الأحداث الدولية لمرحلة الانتصار والتي أديرت بطريقة جماعية مع الحلفاء الغربيين، محاولا منح الفرصة لغورباشوف، إتمام عملية التحول** دون التعرض لأي مضايقة قد تؤدي إلى انفجار الأوضاع في ما بقي من إمبراطورية الشر، التي سقطت دون طلقة رصاص واحدة. وليس بالغريب حسب بريجنسكي أن تكون أولى الأولويات لدى إدارة بوش الأب التثبت من عدم وقوع الترسانة النووية السوفيتية في أيد لا يمكن الركون إليها...والحؤول دون اختفاء معدات نووية معدة للبيع في الخارج[1]. وهكذا نشطت الدبلوماسية الأمريكية لإقناع أوكرانيا وروسيا البيضاء وكازاخستان -وهي الدول المستقلة حديثا وممتلكة للسلاح النووي- للتفاوض من أجل إعادة نشر سلاحها المدمر في روسيا، وتعاملت معها أمريكا مستغلة المكانة المرموقة التي أصبحت تتمتع بها في مجال إدارة الأزمات والنزاعات على المستوى الدولي[2].

---

* هذه [illegible] الثانية [illegible] فيها إبن رئيس أمريكي سابق الرئاسة بعد [illegible] أدمس.

** عرفت هذه [illegible] انقلابا فاشل ضد غورباتشوف، [illegible] توالت [illegible] بإعلان أكرانيا الإستقلال، [illegible] تلتها دول البلطيق، ومع [illegible] العام 1991 أصبح الإتحاد السوفييتي من التاريخ، لترث روسيا بوريس يلتسن [illegible] 70% من أرضه و55% من سكانه.

[1] بر[illegible]نسكي، [illegible]، الفرصة الثانية، مرجع سبق ذكره، ص 70.

[2] المرجع السابق، ص 70.

منح قرار صدام حسين غزو الكويت، الفرصة المثالية لبوش الأب أن يظهر للعالم التفوق الأمريكي، في الميدانين العسكري والدبلوماسي، وهذا من خلال قدرة الولايات المتحدة من تعبئة الحلفاء في قضية تخص الأمن والسلم الدوليين، وقدرة القوات الأمريكية من التدخل لحسم النزاعات المسلحة لصالحها، والتحرك ولأول مرة تحت مضلة الأمم المتحدة تطبيقا لإجراءات الأمن الجماعي المنوط بهذه الهيئة الأممية منذ تأسيسها، وكان لبوش شرف قيادة التحالف الدولي لتحرير الكويت، واضعا أولى لبنات النظام الدولي الجديد[1]، وبدأت ترتسم ملامح المرحلة الجديدة والتي لم يكن للحزب الجمهوري الوقت الكافي لإقناع الشعب الأمريكي من منح ولاية ثانية للرئيس المنتشي بالانتصار غير المكتمل على صدام حسين والمتردد أمام مسألة الأزمة اليوغسلافية التي صادفت نهاية ولايته الأولى وبداية الحملة الانتخابية للبيت الأبيض والتي انتهت لصالح المرشح الديمقراطي بيل كلينتون[2].

2. كلينتون: فاز كلينتون في الانتخابات لأنه استطاع أن يظهر اهتمامه المباشر بالوضع الداخلي لأمريكا، والتدهور الاقتصادي الذي بات الانشغال الوطني الأول. يمثل بيل كلينتون جيل البايبي بومرس Baby Boomers واستطاع أن يبرز نظرته التعددية ورغبته في الحفاظ على مبدأ الشراكة في السياسة الدولية، بالرغم من اتهام الأمم المتحدة بعدم الفاعلية على خلفية مقتل 18 جندي أمريكي عندما كانوا في مهمة إنسانية في الصومال سنة 1993، وأدى ذلك إلى سحب القوات الأمريكية من أول امتحان خارجي للرئيس الذي يريد أن تكون فترة رئاسته إعلانا عن بداية مرحلة جديدة في التعامل مع القضايا الداخلية والخارجية، فعلى المستوى الداخلي اهتم كلينتون بالاقتصاد بإنشائه لمجلس الأمن الاقتصادي، على شاكلة مجلس الأمن القومي، وخارجيا بدأ سياسته بالتدخل المباشر في حرب البوسنة والتي أنهاها باتفاق دايتون سنة 1995 بين الكرواتي توجمان والصربي ميلزوفيتش والبوسني عزت بغوفيتش.

من قناعات كلينتون أن الديمقراطيات لا تتحارب، لذلك جعل من أهم مهامه العمل على نشر الديمقراطية في العالم، ومحاربته لمصادر التهديد التي حددها في الدول المارقة التي ترفض التحول الديمقراطي والتي تسعى للحصول على السلاح النووي، ووضعت هذه الدول في قائمة لتشمل إلى جانب كوبا، سوريا وليبيا والعراق وإيران. ولم تضم القائمة دولا أخرى مثل الباكستان والعربية السعودية نظرا للعلاقات الخاصة التي تربطهم بواشنطن. عرفت السياسة الدولية لكلينتون تصاعدا لمعارضة الجمهوريين الذين تحصلوا على الأغلبية في الكونجرس سنة 1994.

[1] بر نسكي، الفرصة الثانية، مرجع سبق ذكره، ص 73.

[2] المرجع السابق، ص 74 .

في سنة 1996 تعرضت السفارتان الأمريكيتان في كينيا وتنزانيا لتفجيرات إرهابية، وكان الرد الأمريكي بقصف السودان وأفغانستان اللتان أعتبرتا القواعد الخلفية للجماعات المتشددة المسؤولة على الهجمات. وبداية من ديسمبر 1998 بدأت عمليات القصف على مواقع عراقية مع استمرار الحذر المفروض على الشعب العراقي منذ 1991. وفي سنة 1999 رفض الكونجرس المصادقة على المعاهدة التي تقضي بمنع التجارب النووية، وتم في نفس العام تجميد الاشتراكات لمنظمة الأمم المتحدة[1].

من خلال هذا العرض الموجز لفترة رئاسة بوش الأب والفترتين الرئاسيتين لكلينتون أردت أن أوضح المستوى الذي آلت إليه الأوضاع الدولية وكيف مهدت ردود أفعال الإدارتين السابقتين لظهور معالم السياسة الدولية المثيرة للجدل مع بداية القرن الواحد والعشرين، حيث أضحى عقد التسعينات عقد التدخل الإنساني، بفضل التدخلات المتوالية للولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في مهمة إعادة الأمل للصومال والبوسنة وكوسوفو وتيمور الشرقية، وأعتبرت هذه المهام الإنسانية الذريعة التي أرست معيار اللجوء إلى القوة من دون تفويض من مجلس الأمن، لأن التي يحق لها التدخل وفق إدراكها وتصوراتها هي الدول القوية والتي تعبر حسب كلينتون عن الأخلاق والحرية والعدالة، رغم أن الشريك الاستراتيجي لأمريكا، توني بلير قد صرح بأن الأسباب الحقيقية من قصف صربيا عام 1999 هو الحفاظ على صدقية الحلف الأطلسي الذي أصبحت مهمته تحقيق الأمن الدولي[2]. وكانت السنة الأخيرة لحكم كلينتون عبارة عن محاولة لترتيب أوضاعه الشخصية إثر الفضيحة الأخلاقية التي أتهم فيها، مع المتدربة في البيت البيض مونيكا لوينسكي، وبسبب هذه القضية ظهرت بعض الارتباكات على الديمقراطيين الذين دخلوا الانتخابات الرئاسية بترشيح نائب الرئيس آل غور، والذي عبر عن انشغاله وتعاطفه مع الرئيس المنتهية ولايته دون أن يكون لديه موقفا واضحا تجاه التأثير المعنوي على الشعب الأمريكي لمونيكا غايت.

قاد غور الحزب الديمقراطي في الحملة الانتخابية لسنة 2000، وكانت ولاية فلوريدا التي يحكمها جب بوش هي الولاية التي حسمت نتائج تلك الانتخابات الرئاسية الأمريكية والتي كانت محل نقاش وجدل كبيرين، وهي عادة ولاية صعبة لكلا الحزبين، حيث يتقاسمان النفوذ فيها. وتدخلت المحكمة العليا* التي يسيطر عليها الجمهوريون لإقرار فوز المرشح الجمهوري جورج والكر

---

[1] Pascal Boniface, Les Relations Internationale de 1945 à Nos Jours, Editions Dalloz, Paris, 2005, p. 166.

[2] نعوم شومسكي، الهيمنة أم البقاء، ص 35.

* للمرة الأولى في تاريخها تتعرض أمريكا إلى تهديد جدي بحصول شلل وفراغ في السلطة، وسببت الإجراءات القضائية للمحكمة العليا - عن أحقية بوش أم آل غور في منصب الرئاسة ودخول البيت الأبيض عام 2000- جرحا عميقا في السياسة الأمريكية استمر يخيم طيلة العهدة الأولى لبوش الابن. أما قرار المحكمة العليا يعتبره الذين يتتبعون لسير تلك الانتخابات من أمثال ليندون لاروش، بأنه قرارا حزبيا، لأن المحكمة العليا تتكون من تسعة قضاة عين سبعة منهم الرؤساء الجمهوريون السابقون: نيكسون وفورد وريغان وبوش الأب، فيما عين =

بوش في فلوريدا بفارق 537 صوتا عن منافسه الديمقراطي آل غور وهذا من مجموع 06 ملايين** ناخب، وعلى مستوى كبار الناخبين، فاز بوش الابن بـ 271 مقابل 266 لغور، ليصبح بذلك الرئيس الثالث والأربعين للولايات المتحدة الأمريكية. والذين شككوا في نزاهة النتائج معتبرين غور هو الفائز الفعلي يذكرون بحكمة لستالين التي تقول: «إن الذين يدلون بأصواتهم لا يقررون شيئا، بل الذين يحصون الأصوات هم الذين يقررون كل شيء»[1]. على الرغم من أن ملايين الأمريكيين يصوتون في الانتخابات الرئاسية ضانين أنهم هم من يقرر من سيكون رئيسا، فإن أعضاء الهيئة الانتخابية البالغ عددهم 538 عضوا وفق المادة الثانية من الدستور الأمريكي والتعديل رقم 33، هم المخولون فقط التصويت بشكل مباشر لانتخاب الرئيس ونائبه[2].

المطلب الثاني: بدايات السياسة الدولية لجورج والكر بوش

النقاشات التي تلت فوز بوش الابن فرضتها كذلك اعتبارات موضوعية مستوحاة من العلاقة بين أداء الاقتصاد الأمريكي والتصويت لمرشحي الحزب الذي يمسك بزمام الإدارة الأمريكية، فإدارة الديمقراطيين بقيادة كلينتون حققت نتائج اقتصادية إيجابية إلى جانب تركيز المرشح الديمقراطي في حملته على الجانب الاقتصادي، أما بوش الابن فقد حول النقاش إلى مسائل أخلاقيات الحكم[3] وكيفية المحافظة على القيم الأسرية واعتبار الولايات المتحدة في مستوى يسمح لها من الاعتماد على نفسها في مسائل الأمن والمصالح القومية في نوع من الاكتفاء بمراقبة ما يجري على الساحة الدولية، مع السهر على تحقيق مصالحها.

1. بوش الابن في البيت الأبيض

تولي الجمهوري جورج والكر بوش لمقاليد الرئاسة الأمريكية (2000 - 2008) وهو ابن لرئيس سابق – جورج هاربرت بوش (1988 – 1992)- جاء مع تعاقب أحداث مهمة رسمت السياسة الدولية لنهاية القرن العشرين[4]، وطبعت فترات رئاسة آل بوش: بداية تفكك الإتحاد السوفييتي الذي انهار معه المعسكر الشيوعي ثم حرب الخليج الأولى، أحداث 11 سبتمبر 2001، الحرب على الإرهاب

=كلينتون قاضيا ، أنظر: ف.ي كرلوف، إمبراطور كل الأرض أو خفايا النظام العالمي الجديد، ترجمة . منتخب يونس، منشورات دار علاء الدين، الطبعة الثانية، دمشق، 2009، ص ص 37-62.

** هذه الأرقام مأخوذة من De Chantal, François Vergniolle, Bush et la fin de l'ordre électoral du New Deal La domination républicaine est-elle pérenne ? Les Études du CERI N° 127 - septembre 2006

[1] سول لاندو، الإمبراطورية الإستباقية، الدليل إلى مملكة بوش، ترجمة، النابلسي، ليلى، شركة الحوار الثقافي، الطبعة الأولى، 2005، ص 25.

[2] حكاك، عارف، الدين والسياسة في أمريكا، مرجع سبق ذكره، ص 20.

[3] حكاك، عارف، الدين والسياسة في أمريكا، مرجع سبق ذكره، ص ص 21-22.

[4].Laurent, Eric, La Guerre des Bush, Les Secrets Inavouable, Pocket, Paris, 2003, p.02.

ابتداء من أفغانستان (متابعة القاعدة) والحرب على العراق (شنق صدام حسين)، رغم الانتقادات اللاذعة التي يتعرض إليها بوش من كونه محدود الإمكانات ومتغطرس، إلا أنه استطاع أن يفرض طريقته داخل دواليب الإدارة الأمريكية ضمن فريق كانت له رؤية نابعة من التميز الأمريكي. وبشكل عام كان بوش يبدو مترددا ومرتبكا عندما يرد موضوع السياسة الخارجية، وكأنه دخل بطريق الخطأ في فصل دراسي وطلب منه أداء امتحان في مادة لم يسبق وأن درسها[1].. وتحركت الدعاية الأمريكية في الداخل للتأكيد على أن بوش الابن سيركز على الهم الوطني ولن يهتم بالشؤون الدولية. ونتج عن ذلك اعتماد الرئيس بوش الابن سياسة تجمع بين الواقعية والأحادية، والتي لا تعكس كثيرا أفكار المحافظين الجدد، الذين همشوا في البداية داخل إدارته.

أ. **تبني النهج الواقعي:**

عرف بوش الابن في حملته الانتخابية كيف يستعين بكافة الأسماء المرموقة من أيام والده من أمثال: كولن باول وجيمس بيكر ودك تشيني الذي أسند له موقع نائب الرئيس[2]. ومنذ بداية الانتخابات التمهيدية كان معبرا أمثل عن أصحاب المال، ويعتبر من الشباب الجمهوريين المقبولين، ويحمل اسما شهيرا، ونجح كثيرا في حكم ولاية تكساس منذ 1994 وأعيد انتخابه بكل سهولة سنة 1998[3]. واستطاع بوش أن يعوض النقص في ميدان السياسة الخارجية باستعانته بخبراء لهم وزنهم في مختلف المؤسسات الأكاديمية والسياسية[4]. وهو مرشح للانتخابات الرئاسية لسنة 2000 استنجد بكونداليزا رايس Condoleezza Rice العميدة السابقة لجامعة ستانفورد وعضوة المجلس الوطني للأمن NSC تحت ولاية بوش الأب، وبول ولفوفيتز Paul Wolfowitz عميد مدرسة بول نيتز Paul H. Nitze للدراسات الدولية المتقدمة لجامعة جون هوبكينز John Hopkins ونائب كاتب الدولة للدفاع في إدارة بوش الأب. وطلب دبليو بوش منهما بتشكيل مجموعة من الخبراء في العلاقات الدولية وهذا لتدريبه على تعقيدات العالم المعاصر. وهكذا تشكلت المجموعة إلى جانب رايس وولفوفيتز كل من ريتشارد أرميتاج Richard Armitage روبارت بلاكويل Robert Blackwill وستيفان هادلي Stephen Hadley وريشارد بارل Richard Perle ودوف زخاييم Dov Zakheim وروارت زوليك Robert Zoellick، كل هؤلاء مروا بطريقة أو بأخرى من إدارة الرئيس ريغان Reagan والرئيس بوش الأب. وتسمى هذه المجموعة بالفولكان[5] Vulcains نسبة إلى التمثال الذي يزن ساحة مسقط رأسها الذي يمثل إله

[1] هالبرستام، ديفيد، إدارة جديدة ومواقف متشددة، عن، الحرب في زمن السلم،(بوش، كلينتون والجنرالات)، ترجمة: التهامي، فرج عبدالسلام، دار الكتب الوطنية، الطبعة الأولى، بنغازي، 2003، ص 722.

[2] المرجع السابق، ص 723.

[3] James Hatfield, Le Cartel Bush ou L'itinéraire d'un Fils Privilégié,

[4] Justin Vaisse, Histoire du neoconservatisme aux Etats-Unis, op.cit. p. 254.

[5] ibid., p. 254.

النار وصناعة الأدوات المعدنية عند الرومان. ويشترك أفراد هذه المجموعة في الرؤية عندما يتعلق الأمر بالشؤون الدولية، حيث يولون أهمية أساسية للقوة العسكرية في عالم مليء بالأخطار والتهديدات، مع التمسك على مبدأ التبادل الحر في الاقتصاد، وهم من أنصار الأحادية في السياسة الخارجية. وفي مقالة لكونديزا رايس في مجلة الشؤون الخارجية والتي تلخص برنامج بوش كمرشح، غلبت الواقعية السياسية على معظم فقرات المقالة، كما أعلن بوش بأنه يرفض التدخل لوقف مجازر يمكن أن تحدث في منطقة تقع خارج نطاق المصلحة الإستراتيجية لأمريكا[1].

ويرى بوش أنه من الضروري بناء أمريكا متواضعة[2] وعدم المغامرة بالقوات العسكرية الأمريكية في أي من النزاعات الخارجية التي لا تتعلق بالمصالح الحيوية للولايات المتحدة، رافضا سياسة التعددية لكلينتون ويؤكد بأنه يتوخى الحذر قبل أن يستعمل القوات الأمريكية تحت راية الأمم المتحدة[3]. حيث أوضحت كوندوليزا رايس أنه سيسحب القوات الأمريكية من البلقان في حالة انتخابه رئيسا[4]، وجاء التعليق على هذا الموقف «الديمقراطيون يرغبون في الاحتفاظ بجيش صغير لكنهم يريدون إرساله إلى كل مكان، أما الجمهوريون فيريدون جيشا كبيرا ولا يريدون استخدامه على الإطلاق»[5]، وأكد بوش على وجوب الإنفاق بشكل أكثر على القوات المسلحة التي ادعى أنها في حالة سيئة بسبب ما قام به كلينتون من خفض في الميزانيات[6]. وهكذا وضع بوش الإبن نفسه في تعارض مع السياسة الأخلاقية التي تبنتها إدارة كلينتون، وترى مستشارته للشؤون الخارجية كوندليزا رايس أنه ليس من« الضروري التذكير بالقيم الأمريكية في كل مناسبة» و« الإعتراف بأنه لا يمكن تحقيق الديمقراطية بين عشية وضحاها »، كما أنها لا تتقاسم الرؤية مع مادلين ألبرايت كاتبة الدولة للخارجية للإدارة السابقة «بأن الولايات المتحدة الأمريكية أمة لا غنى عنها، وأن لديها رؤية أبعد من الأخرين لأنها أكبر من الأخرين» وهذا ما يوحي بأن المحافظون الجدد لم يعبروا عن مبادئهم في السياسة الدولية خلال الحملة الانتخابية لسنة 2000.

في العشرين يناير 2001 يوم الاحتفال بتسليم السلطة وبعد تلاوة مراسيم القسم، أعلن بوش في خطابه: « إن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تستمر في دفاعها الفعال عن الأمن والسلام في جميع أنحاء العالم ....خلال المائة سنة الماضية بقيت أمريكا مخلصة لقضايا الحرية والديمقراطية والصخرة التي تتحطم عليها الأمواج العاتية. وأصبحت الحرية والديمقراطية كالبذر الذي تنقله الرياح ليتجذر وينبت في يلدان متعددة...على أعداء الحرية وأعداء بلدنا ألا يخطئوا وسوف تبقى أمريكا وفية لقيمها وسوف تشارك في حل المشكلات العالمية – هذا قدرنا وهذا اختيارنا –

[1] Justin Vaisse, Histoire du neoconservatisme aux Etats-Unis, op.cit. p. 255.

[2] Charles-Philippe Davide, La Politique Etrangère de Bush: Formulation et Décision, Document de travail n°6, ifri, 2005, p.04.

[3] هالـ ستاڤ، ديفيد،إدارة ǅديدة ومواقف متشددة، مرǅع سبق ذكره، ˆ 722.

[4] نفس ا رǅع السابق، ˆ 722.

[5] نفس ا رǅع السابق، ˆ 723.

[6] نفس ا رǅع السابق، ˆ 722.

وإعادة تشكيل توازن القوى، الذي يصب في صالح قيم الحرية. سوف نستمر في الدفاع عن حلفائنا وعن مصالحنا. وسوف نعلم جميع الدول عن القيم التي ورثتها بلادنا»[1]. كان خطاب تولي الرئاسة معبرا عن نية الإدارة الجديدة على العمل وفق المبادئ الأمريكية المتوارثة عبر التاريخ الأمريكي الحافل بالتجارب المستوحاة من إصرار على البقاء في الريادة وقيادة العالم.

هذه النظرة للدور الأمريكي لا تقتصر في تصور إدارة دون أخرى – جمهورية أو ديمقراطية - بل مستوحى من تاريخ الأباء المؤسسين للفيدرالية الأمريكية، وينقل باسفيتش في كتابه الإمبراطورية الأمريكية مقولة هيرمان ميلفيل Herman Melville عام 1850: «نحن الأمريكيون الشعب المختار والخاص، إسرائيل الزمن الحالي، نحن نحمل سفينة نوح الخاصة بحريات العالم»[2].

لكن قبل أحداث سبتمبر 2001 لم يكن استعمال القوة دون مبررات من أولويات بوش وإدارته في التحرك الخارجي، وكان تعيين باول على رأس كتابة الدولة للخارجية، تأكيدا على التزام بوش بمبدأ باول أي استخدام القوة العسكرية الأمريكية فقط عندما تكون المصالح الحيوية الأمريكية في خطر[3]. فرؤية الولايات المتحدة للعلاقات الدولية، هي من نوع الرؤية الواقعية التي لا ترى في طبيعة العلاقات بين الدول إلا علاقات صراع ومنافسة، وأن الأصل هو أن الدول في حالة تهديد متبادل مستمر. أما الرؤية الليبرالية فإنها ترى أنه من الممكن أن تكون العلاقات الدولية علاقات تعاونية ضمن شروط أهمها وجود حكومات ديمقراطية، وتعاون اقتصادي، ومنظمات تعاون دولية. وعلى الرغم من أن الخطاب السياسي الأمريكي خطاب ليبرالي، يشيد بالديمقراطية ويبشر بها، ويؤكد على دور المؤسسات الدولية، والمصالح المشتركة بين الدول، ويدعو إلى إشاعة الأمن والسلم الدوليين، وأحيانا بصورة مثالية. ولكن مجمل السياسة الأمريكية الخارجية لا تلتزم بذلك الخطاب، بل تلتزم أكثر بالمنظور الواقعي الصرف وتنطلق منه في تحديد توجهاته على صعيد العلاقات الدولية[4].

كانت هذه إحدى العلامات البادية على الإدارة الجمهورية الجديدة -(القديمة)- والتي ضمت وجوها أصبحت مألوفة عبر الشاشات والصحف والمجلات، بل أنها أسماء لشخصيات اقترنت بأحداث مهمة للقرن العشرين. ومن بين أهم العناصر الأساسية للواقعية في السياسة الدولية لإدارة بوش للأشهر الأولى هو إيمانه بأهمية دور القوى الكبرى في الساحة الدولية، وبالتالي تفضيل الإبقاء على توازن شامل للقوى للمحافظة على السلم. ويظهر هذا الموقف من خلال قرار إدارة بوش بعدم

[1] ف.ي كرلوف، إم الثور كل الأر ȏ أو ǹفايا النȚاȳ الدوƃ اƨديد، مرǲع سبق ذكره، ĭ 44.
[2] أندرو باسيفتش، الإم الثورية الأمريكية، ƒع سبق ذكره، ĭ 65.
[3] نفي ا رǲع السابق، ĭ 270.
[4] Mearsheimer, John J.، عن: شاهر إƧاعيل الشاهر، مرǲع سبق ذكره، ĭ 67.

الاهتمام بالصراعات التي لا تمثل أي مصلحة إستراتيجية بالنسـبة للولايات المتحدة الأمريكيـة (كالنزاعات في إفريقيـا)، والأوضـاع التي لا مخرج منها مثل (الصراع الفلسطيني الإسرائيلي)، وهـذا تأكيـدا لمقولـة جيمس بيكـر « ليسـت لدينا مصلحة في هذا الصراع»[1]. و ما يميز بوش عـن سـابقه كلينتون هـو التوجه الـواقعي من خلال تصـور بـوش ومستشـاروه للعـالم، خـلال الأشـهر الأولى من ولايتـه، حيـث يعتبرون العـالم مـلـيء بالأخطـار والتهديـدات « الدول المارقـة »، انتشـار أسـلحة الدمـار الشـامل ...إلخ ؛ فـلا مجـال للبحـث عـن التكافـؤ مع روسيا التي أصبحت ناشر نشيط (Proliférateur actif) ؛ وأصبح ينظـر إلى الصين كمنافس استراتيجي[1].

ب. اتخاذ القرار وطريقة بوش الابن :

يعتبر الرئيس بوش الابن متميزا بحق، ويرجع ذلك للظرف الذي تسلم فيه الرئاسة، والكم الهائل من الفرص التي أتيحت له لإظهار أحقيته بمنصبه، خاصة بعد تشكيل إدارته التي أقر بتسييرها كشركة من الشركات الكبرى. على هذا الأساس اتفق الكثير من المهتمين بالشأن الأمريكي على كون بوش الابن صاحب شخصية قوية ومسير جيد، فشارل فليب دافيد يستعمل مصطلح المُفَوِضُ الحارس[2] Délégant-sentinelle ويرجع ذلك لاهتمامه البسيط بالسياسة الخارجية، وهذا ما يجعله يفوض صلاحياته؛ وحارس لأنه يراقب الأحداث ويختار القرار النهائي حسب تطور الأوضاع المطروحة، على إدارته. ويوصف بوش بالانضباط الذي يقربه أكثر من شخصية ريغان، ونشيطا في حركته، وبدأ بذلك مهمته بالبيت الأبيض بإبراز قدرته في القيادة الحكيمة ويقول متحدثا للصحافي بوب ودوورد Bob Woodward : «إذا كان لي ذكاء واستعداد فهو التعرف على المواهب، وإمكانية توظيفهم وتشغيلهم في فريق»[3]. ويقر بوش بأن الحدس هو الذي يوجهه وهذا الحدس بالنسبة له الدين الثاني. ولا يكترث كثيرا للعمل المتواصل لأنه يرى بأنه فاعل وليس مفكر Faiseur et non un Penseur ، ومن مميزات طريقة عمله[4]:

- يشجع تعدد الأراء.
- يثق في مستشاريه ويطلب منهم الولاء التام.
- التعبير عن أفكاره وعدم الاكتفاء بالتعقيب.
- العمل بطريقة جماعية Collégialité،في فرق صغيرة ثم أخذ زمام القرار النهائي.

---

[1] هال ستاǐ، ديفيد،إدارة ǅديدة ومواقف متشددة، مرǅع سبق ذكره، ǑǓ 228.

[1]Pierre Melandri et Vaïsse, Justin, in, Bréchot, François-Xavier, Le philosophe et les idéologues (L'influence de la pensée de Leo Strauss sur la politique étrangère de George W. Bush), Mémoire de recherche, Université Jean Moulin Lyon 03, 2005, p. 88.

[2]Charles-Philippe David, La Politique Etrangère de Bush: Formulation et Décision, Document de travail n°6, ifri, 2005, p. 07.

[3], Bob Woodward, in, Charles-Philippe David, La Politique Etrangère de Bush, op.,cit. p.08.

[4]Charles-Philippe David, La Politique Etrangère de Bush, op.,cit. p.08.

«وما يجعل طريقة العمل هذه ممكنة، التنظيم المحكم والفعال نسبيا للبيت الأبيض، بالاعتماد على هيكلة تصاعدية، بخطوط قيادية موضوعة جيدا والتي تختلف مع المقاربة غير الواضحة والهشة لتسيير بيل كلينتون»[1].

ينطلق بوش من تقاليد الحزب الجمهوري الريغانية، والتعلق بالقيم الأمريكية العميقة التي غذت حملته الانتخابية، متأكدا من أهدافه وواثق في إمكاناته التي يستمدها من معتقداته الدينية والإيديولوجية التي تنبع من الأخلاق المسيحية والتصور الرسالي الذي يدخل ضمن رؤيته التي حدث بها مقربوه[2]: « أعتقد أن الله يريد أن أكون رئيسا»، ويعتقد أن« أمريكا في خدمة إرادة الله».

والمجموعة التي مثلت الدائرة المقربة الأولى كانت نائب الرئيس ريتشارد تشيني ورئيس مكتب البيت الأبيض أندرو كارد، والمستشار السياسي كارل روف، والمستشارة الإعلامية كرين هوجوس، ومستشارة الأمن القومي كونداليزا رايس، ومدير الاستعلامات جورج تنيث، كان العمل على طريقة الأسلاف الواقعيين، وتسيير ما أورثه له سابقيه، مستندا على مبدأ باول الذي عينه في منصب كاتب الدولة للشؤون الخارجية في الإدارة الأولى. وأكد باول بأن واشنطن في سياستها الخارجية لن تحابي بغداد ولا بكين وبيونيانغ ولا حتى موسكو، سوف تسعى أمريكا لعلاقة صداقة مع الجميع، لكن بحذر وبشيء اختياري. وتتلخص عقيدته في[3]:

- الصين شريك تجاري ويمكن تجنب استعدائها، ومن الحكمة التعاون معها في المجلات التي تتقاطع مع المصالح الأمريكية. وتدعيم صين واحدة: «لاننوي عرقلة محاولات الصين لضم تايوان بالقوة»[4].
- لا يجب أن تقوم علاقة أمريكا مع روسيا على سياسة الإملاء والتهديد، فمسألة توسيع حلف الناتو مثلا تشكل ضرورة وعلى أمريكا فعل ذلك دون الخوف من معارضة روسيا لأن هذا يصب في مصلحة الولايات المتحدة وحلفائها، خاصة وأن شعوب أوربا الشرقية التي تتوق للحرية ترغب في الانضمام إلى الناتو، وفي نفس الوقت يجب الحوار مع روسيا وتفهم المخاوف الروسية: « إن الناتو يهدف إلى حفظ الأمن في أوربا، وإن روسيا في المحصلة دولة أوربية »[5]. كما يمكن التعاون مع روسيا بعد تنفيذ بعض الشروط : تطبيق الإصلاحات ونشر سلطة القانون وفي كل أرجاء روسيا ومكافحة الفساد ووقف انتشار تكنولوجيا الصواريخ.

---

[1] Ch .Walcott et K. Hult, , in, Charles-Philippe David, La Politique Etrangère de Bush, op.,cit. p. 10.

[2] Charles-Philippe David, La Politique Etrangère de Bush, op.,cit. p..09

[3] كرلوف، ف.ي، إم ااǉور كل الأرǉ أو ǉفايا النǉǉǉ العا ي اǉديد، ترǉة، يونس، منتǉǉب، منشورات دار علاǉ الدين،الطبعة الثانية، دمشق، 2009، ǉ ǉ 84-88.

[4] كرلوف، ف.ي، إم ااǉور كل الأرǉ، مرǉع سبق ذكره، ǉ 84.

[5] اǉرǉع السابق، ǉ 85.

- بالنسبة لكوريا الشمالية يعتبر باول أن زيارة مادلين ألبرايت لبيونيانغ كانت خطأ ليس مستعدا لتكراره،« فالرئيس كيم جون إيل يحتفظ بجيش أكبر من قدرته على إطعامه، لذلك سوف تبنى العلاقات مع كوريا الشمالية على أساس الحفاظ على السلم في شبه الجزيرة الكورية وضمان أمن كوريا الجنوبية».
- أما العراق فيتم التعامل معه بكل جاهزية للرد على أي اعتداء من قبل حكومة صدام حسين، ويجب تدعيم المعارضة داخل العراق. واستمرار الأمم المتحدة في السيطرة على نفط العراق واقناع دول الجوار بأن نظام صدام حسين يشكل خطرا عليهم.
- عن التدخل العسكري يقول باول : «بالرغم من أن الولايات المتحدة لن تعزل نفسها عن العالم إلا أن القوات الأمريكية لا يمكنها التوجه إلى الخارج إلا بوجود مهمات سياسية واضحة ودقيقة»[1].
- وعن نوايا الإدارة الحالية يقول باول: « الرئيس بوش ينوي إجراء تصحيح في السياسة الأمريكية فيما يخص العراق وكوريا الشمالية والشرق الأوسط».
- فيما يخص الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية: «ستطلب إدارة بوش الابن من ياسر عرفات فرض النظام على الأراضي الفلسطينية».

لهذا يعارض بوش اتفاقية الحظر الشامل لتجارب الأسلحة النووية TICE ، مما سيؤدي كما يقول المراقبون إلى تهديد الاستقرار في فترة ما بعد الحرب الباردة، خاصة أن دولا مثل روسيا والصين وفرنسا وبريطانيا والهند وباكستان لديها رصيدا واسعا من الأسلحة النووية. وقد عارض بالفعل مجلس الشيوخ في سنة 1999 التصديق على اتفاقية الحظر الشامل للأسلحة النووية. ويدعو بوش إلى إقامة مخطط دفاعي نووي لمواجهة كل من الصين وروسيا؛ فهو ما زال ينظر إليهما على أنهما عدوان لدودان. ويعلن بوش أيضا أن الردع سيبقى الخط الأول للدفاع ضد الهجوم النووي مؤكدا أنه مستعد كذلك للتخلي عن معاهدة ABM و هذا لإنجاز نظام دفاعي مضاد للصواريخ (الدرع الصاروخي) حيث أعاد إحياء موضوع حرب النجوم الذي كان قد تبناه ريغان في عام 1981، فبوش يسعى بأن تكون لدى بلاده أسلحة تهيمن بها على ساحات القتال في المستقبل؛ أسلحة تسمح لأمريكا بأن تصير وتظل هي الرائدة في إعادة شرح مفهوم السلام وكيفية الحفاظ عليه. ويعتقد بوش بأن أفضل الطرق للحفاظ على السلام تتمثل في إعادة شرح مفهوم الحرب من وجهة نظر الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا معناه أن يصير لدى الولايات المتحدة المكانة العليا في نوع الأسلحة التي من خلالها تحقق الهيمنة.

عرفت السياسة الدولية لإدارة بوش الابن في الأشهر الأولى إتباع سياسة واقعية وأحادية والتي لا تختلف كثيرا عن التقاليد الأمريكية المعروفة عبر التاريخ، ودامت هذه العقيدة

[1] نفس المرجع السابق، ص 86. كان هذا التصريح أمام لجنة العلاقات الخارجية للكونغرس بحضور الرئيس بوش الابن يوم 17 يناير 2001 بمناسبة قبول تنصيبه لوزارة الخارجية.

حوالي عام، لأن باول الذي اتبع سياسة الحمائم كان عرضة لانتقادات الصقور داخل الإدارة الجديدة، التي بدأت تندفع نحو الروح العسكرية. وعلى هذا يتضح التعارض بين التيار الواقعي- الذي بقي متمسكا بالدور الذي يجب أن تلعبه الولايات المتحدة على المسرح الدولي وفق مفهوم المصلحة القومية، ويؤكد باول على مركزية هذا المفهوم كمرشد للسياسة الخارجية[1].

اختار بوش أن يضع جهوده لتنفيذ سياسته الدولية على القوة القاسية le hard power، أي القوة العسكرية والاقتصادية بدلا من القوة المرنة le soft power، الجاذبية والتأثير الناتج عن المؤسسات وطريقة العيش والقيم الأمريكية. وهذا تجسيدا للوعود التي قطعها الرئيس الجديد في حملته الانتخابية، ولعل كونديزا رايس عبرت عن ذلك بمصطلح القوة مهمة[2] Power Matters. وبالتالي قررت إدارة بوش إعادة الاعتبار للأداة العسكرية من خلال الرفع من ميزانية الدفاع والاهتمام بتطوير الشؤون العسكرية عن طريق بناء نظام دفاعي مضاد للصواريخ.

ولعل من بين المشاكل الحقيقة التي واجهتها سياسة واشنطن في ظل إدارة بوش الابن، خلافها مع الاتحاد الأوربي بعد إعلان بوش قراره التخلي عن بروتوكول كيوتو الخاص بمكافحة ارتفاع حرارة الأرض، ورفض الدول الأوروبية القرار الأمريكي، لما له من آثار اقتصادية وبيئية وصناعية سلبية على العالم كله. وثمة نموذج آخر في السياق ذاته، وهو قيام الكونجرس الأمريكي بدراسة مشروع قانون، يسمح لوزارة العدل الأمريكية وهيئة التجارة الفيدرالية باتخاذ إجراءات ضد دول أجنبية، بما فيها الدول الأعضاء في منظمة أوبك بتهمة ممارسات تآمرية لتحديد الأسعار أو مستوى إنتاج المنتجات النفطية، وهو أمر يتعارض مع مبادئ الأمم المتحدة، وبخاصة حق الدول في مواردها الطبيعية، ويجعل منظمة أوبك والدول الأعضاء فيها أسرى الابتزاز والضغط الأمريكي.

2. الأحادية كواقع للتميز الأمريكي:

التعامل بالأحادية في السياسة الدولية دون الاهتمام بالمؤسسات المتعددة الأطراف ورأي الدول الأخرى ليس بالجديد بالنسبة للإدارة الأمريكية؛ فإدارة ريغان قد اعتمدت نفس السياسة، وتجسدت بتعيين جيان كيركباتريك Jeane Kirkpatrick في منصب سفيرة الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة، والانسحاب من اليونسكو، والرفض الأمريكي من دفع المستحقات للهيئة الأممية. وكان للفوز التاريخي الذي حققه الجمهوريون- بقيادة نيوت جانغريش ومشروعه العقد من أجل أمريكا – في انتخابات الكونجرس لسنة 1994 الأثر في الضغط على كلينتون بتبني خط أكثر أحادية في سياسته الخارجية. ويشير برونو ترتريه

[1] كرلوف، إمبراطور كل الأرض، مرجع سبق ذكره، ص 93.

[2] Pierre Melandri et Justin Vaïsse, in, François-Xavier Bréchot, p.88.

Bruno Tertrrais إلى بدايات الثورة المحافظة الثانية – بعد الأولى التي قادها ريغان – سنة 1994 لتزيد بانتخاب جورج دبليو بوش سنة 2000، وتجسد بعد أحداث 11 سبتمبر 2001.

في الواقع زادت مطالبة مجموعة من الجمهوريين بالخط الأحادي للسياسة الدولية الأمريكية خلال التسعينات من القرن العشرين، قد تدعمت بأزمة البلقان التي ترجمت فشل المنظمات الدولية خاصة الأمم المتحدة والإتحاد الأوربي في إدارتها. إلى جانب الخيبة الكبيرة في عملية إعادة الأمل في الصومال بعد سحب القوات الأمريكية من مقديشو*، الأمر الذي لعب دورا في إعادة النظر في توجهات فريق كلينتون فيما يخص التعددية في التحرك الخارجي و ترجمت إدارة بوش الابن هذه الأحادية ابتدءا من سنة 2001 من خلال قرارها التخلص من محاولات الوساطة التي بدأتها الإدارة السابقة لحل النزاعات واجتثاث الولايات المتحدة من مجمل المعايير والمنظمات الدولية التي تكلفها وتقيد سيادتها ومن مجالات تحركها مثل: معاهدة الحظر الشامل للأسلحة النووية TICE اتفاقية أوتاوا لحظر الألغام المضادة للأشخاص واتفاقية روما المؤسسة محكمة الجنايات الدولية و برتوكول كيوتو للاحتباس الحراري و رفض لبرتوكول ملحق اتفاقية عن الأسلحة البيولوجية .

نزعة التميز متواجدة في الولايات المتحدة منذ وصول المعمرين الأوائل إلى الأرض الأمريكية والتي كانوا يعتبرونها الأرض الموعودة ، و قد زادتها تثبيتا البلاغة الخطابية لرؤساء أمريكا، ومختلف المبادئ والعقائد مثل Destinée manifeste للولايات المتحدة الأمريكية. هذه الرؤية للتميز الأمريكي موجودة كذلك في قرارات الآباء المؤسسين للسياسة الدولية للولايات المتحدة الأمريكية: تبنى جورج واشنطن و جون كوينسي أدمس سياسة انعزالية تجاه القارة الأوربية، وضمان هيمنة الولايات المتحدة على مجالها الجغرافي في القارة الأمريكية وهذا لحماية المؤسسات والقيم الأمريكية؛ وعند ولسن وروزفلت بتبنيهما مبدأ التعددية للتدخل في العالم للمحافظة على نفس المؤسسات والقيم.

هاتين الرؤيتان كانتا محل نقاش دائم داخل الولايات المتحدة الأمريكية، وانتقلت المسألة من: هل على أمريكا التدخل في القضايا العالمية؟ إلى كيف يجب أن يكون التدخل الأمريكي في العالم؟ لذلك وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية تلاشى التعارض بين الانعزالية والتدخلية لصالح ثنائية جديدة بين التعددية والأحادية والتي تزايدت بعد نهاية الحرب الباردة وظهور الولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة في الساحة الدولية. فبعد أن أصبحت الولايات المتحدة دون منافس بعد الحرب الباردة وتمتعها بقوة لا جدال فيها، أصبح لديها الحرية في اختيار طريقة تحركها لحماية

* عرفت مقتل ما يزيد عن 7000 إلى 10000 صومالي على يد القوات الأمريكية حسب الاستخبارات المركزية.

مصالحها، ليصبح التميز بمعنى الاستثناء. وقرار بوش الابن وفريقه لتبني الأحادية لا يعني الانسحاب من القضايا العالمية، لكن التدخل بوضع شروط مسبقة وفق ما تمليه المصالح الأمريكية.

وما يلاحظ داخل الإدارة الأمريكية هو الثنائية داخل نفس التوجه الأحادي بين الجمهوريين الوطنيين الذين يرون أن استخدام القوة يجب أن يكون دفاعا عن المصلحة الوطنية الأمريكية والمحافظين الجدد الذين يسعون لفرض استخدام القوة لنشر القيم الديمقراطية والليبرالية التي تؤمن بها أمريكا. ومع بداية ولايته الأولى في البيت الأبيض تبنى الرئيس بوش الابن خط الجمهوريين الوطنيين، متجنبا خط المحافظين الجدد، وهذا ما يثير التساؤل عن تأثير المحافظين الجدد على السياسة الدولية لبوش قبل أحداث 11 سبتمبر 2001؟

المبحث الثاني : تبني سياسة خارجية ذات ملامح يمينية متطرفة

ماذا حدث في الحادي عشر من سبتمبر؟ سؤال طرح على الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا، ولأنه فيلسوف فإن إجابته كانت تعتمد على نوع من محاولة تفكيك المصطلحات وإعطائها أبعادا زمانية ومكانية، فبالنسبة للحدث المراد تعريفه بالنسبة لدريدا يجب التفكير في الأسباب التي تجعل 11 سبتمبر يشبه حدثا عظيما؟، وذلك لأن الجرح سيظل مفتوحا من الرعب من المستقبل وليس فقط من الرعب أمام ما حدث في الماضي[1]، إذن بالنسبة لدريدا الخوف من آثار الحدث هو الذي يجعله عظيما، لأن إدراك الأمريكيين لحجم التهديد، هو الذي جعل من 11 سبتمبر 2001 حدثا عالميا، وذو أبعاد عالمية، وما يلفت في هذا اليوم بالذات هو تكراره في حدثين قديمين، فالإعلان عن قيام النظام العالمي الجديد حسب بوش الأب كان في الكابيتول في 11 سبتمبر1990، ومساعدة السي أي أي بنوشي[*] في انقلابه كان كذلك في 11 سبتمبر 1973. فيا ترى هل هذا من قبيل الصدفة؟ أم أنه مؤشر لرد ما على التعنت والغطرسة الأمريكية، في نفس اليوم الذي يمثل بالنسبة للقوة الأمريكية رمزا للسيطرة وحرية الحركة والفعل على المستوى الدولي؟

المطلب الأول: خطورة هجمات 11 **سبتمبر** 2001

كان الإستراتيجيون الأمريكيون يقسمون التاريخ الأمريكي إلى ما قبل حادثة بيرل هاربر وما بعدها، وكانوا يعدونها مقدمة لإعادة تنظيم العالم وفق الرؤية الأمريكية وعلى أساس المصالح والسيطرة. وبعد تفجيرات 11 سبتمبر 2001 في مركز التجارة العالمي في نيويورك ومبنى وزارة الدفاع الأمريكية في واشنطن، رمزي الهيمنة الأمريكية اقتصاديا وعسكريا، فقد أصبح العالم يعيش مرحلة جديدة تختلف كليا عن الفترات السابقة، باستثناء الولايات المتحدة التي وجدت في هذه الحدث دافعا لإكمال سياستها الكونية الرامية للسيطرة على العالم. وفق ذلك أصبح الإستراتيجيين الأمريكيين يقسمون التاريخ إلى ما قبل أحداث 11 سبتمبر و ما بعدها[2].

أ. **أهمية الحدث:** وتنبع أهمية هذا الحدث من خطورة الهجمات التي تعتبر الأولى من نوعها على التراب الأمريكي بعد تلك التي قام بها البريطانيون سنة 1814 عند دخولهم إلى السواحل الأمريكية وحرقهم للكابيتول والبيت الأبيض[3]. كما أظهرت أحداث 11 سبتمبر أن أفرادا قلائل يمكن أن يلحقوا خسائر فادحة بأمن أكبر دول العالم اقتصادا وأقواها سلاحا،

---

[1] ǒǐǅ دريدا، ماذا ǵدϙ 11 سبتم ، ترǷة فتحي، صفاǒ، مراǅعة، السباعي، بشǨ، دار توبقال للنشر ، الطبعة الأو ، الدار البيضاǒ، 2006، ĩ 52.

[*] قاد انقلابا الشيلي وكان مواليا للولايات ا تحدة، وكانت فترة ǵكمه من أشهر الديكتاتوريات ال عرفتها امريكا الǄتينية.

[2] العساف، سوسن، استراتيǆية الردع، ĩ 194.

[3] Chomsky, Noam, La Nouvelle Guerre Contre La Terreur, in : L'empire en Guerre, Le Monde Apres Le 11 Septembre, p.21.

وأكثرها تنظيما وامتلاكا لمعدات ومنظومات الاتصالات والمعلومات التقنية المتطورة[1]. لتنهار أسطورة الأمن المطلق لأمريكا داخل أراضيها الشاسعة والمحاطة بمحيطين و بلدين صديقين، إلى جانب إمكانيات دفاعية كافية لجعلها في منأى عن أي هجوم. واكتشف الشعب الأمريكي أن أرواح أبنائه ليست في مأمن حتى وهي في مكاتبها داخل نيويورك من اعتداءات معادية للولايات المتحدة. لقد تعرضت الولايات المتحدة إلى هجوم في عقر دارها وعلى مراكزها الحيوية، ما يتطلب إعادة نظر جذرية بنظرية الأمن الأمريكي التي كانت تركز على الأخطار القادمة من الخارج، حيث أنفقت المليارات على مبادرة الدفاع الاستراتيجي SDI والإنفاق على مبادرة الدرع الصاروخي الذي تبناها جورج بوش الابن.

ب. **قوة الصدمة:** أسابيع قليلة قبل أحداث سبتمبر 2001 ألقى ولفوفيتز كلمة على أشبال الأكاديمية العسكرية لواست بونت مفادها : « المفاجأة تقع حتى أنه كثيرا ما نتفا جئ بأنها ما تزال تفاجئنا». وكم هي المفاجأة يوم الثلاثاء الأسود عندما ارتطمت طائرتان بمركز التجارة العالمي وأخرى على مبنى البنتاغون والرابعة في احد الحقول في بلسيلفانيا، مما أدى إلى مقتل أكثر من ثلاثة ألاف شخص، يمثلون أكثر من ثمانون بلدا، هذا العنف لم يفاجئ أمريكا فقط بل العالم بأسره، ليكون هذا اليوم بداية لعهد جديد في الساحة الدولية. وتقول كندوليزا رايس أن «مأساة أحداث سبتمبر قد أفهمتنا بأعنف طريقة ممكنة»[2]. وكأن رايس تريد أن تقول بأن الأمريكيين كانوا في سبات وجاءت الحادثة التي روعتهم لتوقظهم ويجدوا أنفسهم في عالم مليء بالأخطار، رغم الإمكانيات الاستخباراتية ذات التقنية العالية، والكم الهائل من الدراسات التي تنبه من إمكانية تعرض الولايات المتحدة لهجمات بسبب مواقفها من مختلف القضايا الدولية خاصة تلك التي تلعب فيها دور الحكم المتحيز والمتمثلة في الصراع العربي الإسرائيلي، وهذا ما يوضحه جيدا سمير أمين في إحدى تعليقاته عن أحداث سبتمبر، منبها إلى الاهتمام الكبير الذي يوليه العالم لسقوط ضحايا بسبب هجمات نيويورك متناسين تماما ما يحدث في باقي أنحاء المعمورة من تقتيل و تنكيل، للمدنيين في يوغسلافيا والعراق من طرف قوات الناتو، والفلسطينيين الذين يغتالون بأوامر من شارون، بالأمس القريب في صبرا وشتيلا، ويستمر في ذلك حتى بعد سبتمبر المشؤوم، ويذكر سمير أمين بأن إرهاب الدولة ليس أقل وطأة من إرهاب الثلاثاء الأسود[3]. وفي هذا المقال يتحدث أمين عن إمكانية ضلوع الأجهزة المخابراتية (CIA و الموساد)، عن طريق التأثير واستدراج الانتحاريين الإسلاميين وتسهيل العملية، دون الحساب الدقيق للعواقب المترتبة عن ذلك[4]. يعبر أمين عن

[1] سوسن العساف، استراتيجية الردع، ص 194

[2] Condoleezza Rice, Un Equilibre des Pouvoirs qui Favorise la Liberté, op. cit,. p.05

[3] Samir Amin, Les Attentats du 11 Septembre, in, l'empire en guerre, op. cit,. p. 47.

[4] ibid,. p. 47.

مخاوف مثقف يعرف جيدا ما يمكن لمخططات الامبريالية أن تنتج في عالم يسهل استدراجه خاصة بالصورة الحية والمعبرة التي أصبحت تميز الواقع اليومي للبشرية في الجهات الأربعة من المعمورة، خدمة لمصالح القوي الذي استطاع أن يتخفى في ثوب الضحية. وتكمل رايس في وصفها لصدمتها أن« 11 سبتمبر قد كشف إمكانية اختراق الولايات المتحدة vulnérabilité »[1]، «وأظهر في وضح النهار طبيعة التهديد، الذي يجب على أمريكا مواجهته»[2]. وترى رايس أن «التهديدات مستقبلا لا تأتي من الجيوش الكبيرة أكثر من جماعات إرهابية تعمل في الظل ولا تأتي التهديدات أقل من الدول القوية من الدول الضعيفة والتي تعاني من وضعية الفشل». هذا الكلام يؤكد نية إدارة بوش الابن استغلال أحداث سبتمبر في تحديد مستقبل الولايات المتحدة الأمريكية وكيفية الرد على العدو الذي طرح من جديد مسألة تهديد المصلحة القومية وعرض الهوية الأمريكية إلى جرح لا يسهل تضميده.

11 سبتمبر غير من الفكر الإستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية لجيل، هذه كلمة لتود لندنبرغ في ديسمبر 2003، ربما يكون هذا التصريح في محله كون الأحداث كانت سببا في تغيير جذري في السياسة الدولية لجورج دبليو بوش، الذي اعترف بعد الأحداث المروعة بأنه وجد مهمته في هذا اليوم؛ وهي أنه قائد حرب لمكافحة الإرهاب. وتعتبر إدارة الرئيس جورج بوش الابن إدارة حرب بكل معنى الكلمة، وهي إدارة جاءت في زمن صعود لا سابق له في القوة المفرطة للولايات المتحدة الأميركية، على نقيض إدارة الرئيس السابق بيل كلينتون، التي حولت مركز ثقل السلطة من جهاز الأمن القومي إلى وزارة المالية ومجلس الأمن الاقتصادي الجديد في البيت الأبيض، مغلبة بذلك الاقتصادي على الاستراتيجي، ضمن سياق قيادة العولمة الاقتصادية والتحكم بأزماتها. وقد تجسدت هذه الإستراتيجية الأميركية في السياسة الخارجية الجديدة، من خلال اتفاقية النافطا مع المكسيك وكندا عام 1993، والمصادقة على منظمة التجارة العالمية عام 1994، والليبرالية المالية حيث فرضت في التسعينات على دول شرق آسيا عملية رفع قيود شاملة عن أسواقها المالية، مرغمة هذه البلدان عبر صندوق النقد الدولي وبقية مؤسسات بروتون ودس على اعتماد الاقتصاد النيوليبرالي وواحد شروط الرأسمال الأميركي مقابل استثماراته.

وباختصار شديد فان إدارة بوش الابن هي إدارة حر ب باردة غير معلنة، وفي هذا السياق لا يختلف الرئيس بوش الابن، عن جميع الرؤساء الأمريكيين بعد عام 1945 من هاري ترومان إلى جورج بوش الأب، إذ كانوا على حد تعبير المؤرخ رولاند ستيل رؤساء حرب. وإذا كان الرئيس بوش الابن يعتبره أغلب السياسيين من أضعف الرؤساء الأميركيين معرفة بالسياسة الخارجية، إلا

[1]Condoleezza Rice, Un Equilibre des Pouvoirs qui Favorise la Liberté, op. cit,. p.05.
[2]ibid,.p 05.

أنه الآن يقف على رأس هرم سلطة الإمبراطورية الأميركية في فجر الألفية الجديدة، التي تتمتع بتفوق لم تضاهيه أعظم الإمبراطوريات في الماضي.

وما حدث في 11 سبتمبر مثل قطيعة في السياسة الدولية الأمريكية وأدى على تبني وتطوير إستراتيجية جديدة للأمن القومي ذات ملامح محافظة جديدة والتي تحمل صعوبات كثيرة لتطبيقها على أرض الواقع .

المطلب الثاني : صدمة أحداث 11 سبتمبر 2001 داخل أمريكا وخارجها:

برز نظام عالمي جديد مختلف جذريا عن النموذج المألوف بين الدول مما يدعو إلى استذكار التاريخ وإظهار بعض وقائعه كمعاهدة واست فاليا[1] عام 1648، وهي معاهدة وضعت حدا لحرب الثلاثين عاما بين الإمبراطورية الجرمانية من جهة وفرنسا والسويد من جهة أخرى. ومنذ أحداث 11 سبتمبر 2001، تشير مجريات الأحداث إلى الانقطاع إن لم يكن انقلابا على كل الاتجاهات، فيبدو العالم وكأنه ينتظم حول القطب الأميركي، لأن الولايات المتحدة أصبحت القوة الوحيدة العظمى على الصعيدين العسكري والاقتصادي. وتؤكد أكثر من أي وقت مضى سيادتها المطلقة وبالأخص حقها في تطبيق العدالة الدولية على النموذج الأمريكي. وسببت أحداث 11 سبتمبر 2001 جرحا عميقا في الشخصية والهوية الأمريكية وتلاشي أسطورة الأمن المطلق التي يقدمها البعد الجغرافي داخل حدود الولايات المتحدة الأمريكية بين المحيطين والحدود مع دولتين صديقتين (العزلة القارية). وحسب برهان غليون فإن أحداث سبتمبر لم تبتدع وضعا عالميا جديدا ولكنها سارت بنظام الأحادية الذي ولد من حرب الخليج الثانية في سنة 1991[2].

أ. جرح في قلب الهوية الأمريكية :

وأمسى الإرهاب الدولي واحدا من الأشكال الرئيسية للصراع على الساحة الدولية؛ حيث شكلت أحداث 11 سبتمبر منعطفا في التفكير الأميركي وعودة لا مفر منها وملائمة من واشنطن إلى سياسة الضغط وإعلان بوش الابن عن حرب صليبية لا هوادة فيها ضد الإرهاب والدول التي تمثل ما سمي محور الشر (إيران والعراق وكوريا الشمالية)، وأي دولة يمكن أن تعارض السياسة الأمريكية[3]. وكان من آثار الأحداث المروعة دعوة وسائل الإعلام الأمريكية لإعادة الاستعمار من جديد، وعلى سبيل المثال ما نشرته الوول ستريت جورنال بتاريخ 06 أكتوبر

---

[1] أبو ŷĪÂǹ، إبراهيم، أقواس الهيمنة، دراسة لتطور الهيمنة الأمريكية من مطلع القرن العشرين Ǵǵ ǂǿن،دار الكتب الجديدة المتحدة، الطبعة الأولى ، بيروت، 2005، ص 179-180.

[2] فنسان الغريب، مأزق الإمبراطورية الأمريكية، الطبعة الأولى ، بيروت، 2008، ص 86.

[3] إبراهيم أبو ŷĪÂǹ، أقواس الهيمنة، مرجع سبق ذكره، ص 199.

2001 بعنوان، حل مشكلة الإرهاب: الاستعمار: «لا يوجد بديل أمام الغرب إلا أن يشن حربا ضد الدول التي دأبت على دعم الإرهابيين لقد حذر الرئيس بوش من أن هذه الحرب ستكون طويلة، ولكنه لم يدرك أن هذا قد يتطلب التزامات سياسية أمريكية طويلة المدى، وكذلك الحال بالنسبة لحلفائها....وقد يكون الوقت قريب جدا لظهور نوع جديد من الاستعمار وهو وضع دول إرهابية سابقة تحت إدارة الغرب»[1].

ونجم عن أحداث الثلاثاء الأسود مجموعة من التداعيات على صعيد الولايات المتحدة أدت إلى نمو إحساس كبير بالخوف وعدم الأمان داخل الحدود الأمريكية، و هذا ما غير نظرتهم للعالم وللدور المنوط بالولايات المتحدة يمكن إجمالها في ما يأتي[2]:

- انهيار مفهوم الأمن القومي الأمريكي القائم على الردع النووي والصاروخي وأسلحة الدمار الشامل، إذ أظهرت أحداث 11 سبتمبر، أن أفرادا قلائل يمكن أن يلحقوا خسائر فادحة بأمن أكبر دول العالم اقتصادا وأقواها سلاحا، وأكثرها تنظيما وامتلاكا لمعدات ومنظومات الاتصالات و المعلومات التقنية المتطورة .
- إخفاق أجهزة السلطة الفدرالية و الاستخبارات- الذراع القومي الذي تلوح به الإدارة الأمريكية بوجه الدول الأخرى لأغراضها و مصالحها الخاصة- في تحديد منفذي تفجيرات 11 سبتمبر.
- العودة إلى التحالفات الدولية، حيث دعت الولايات المتحدة لإقامة تحالف دولي ضد الإرهاب.
- عدم تقيد الولايات المتحدة بالقواعد وبالمعايير السائدة في المجتمع الدولي، و هو ما جعلها تدعي لنفسها حق وضع القواعد والمعايير التي ترى أنها يجب أن تسود في المجتمع العالمي والعربي والإسلامي بشكل خاص. وبذلك خضعت واشنطن لتأثير عاملين رئيسيين هما الإرهاب الإسلامي الذي أدى إلى التفجيرات، وامتلاك قوة جبارة لمواجهة أي تهديد أو خطر خارجي.

ب. رؤية جديدة للنظام الدولي :

بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 عرف الأمريكيون أنهم يعيشون في عالم مضطرب مليء بالأخطار المحدقة، وأنهم ليسوا أكثر أمانا من باقي شعوب العالم أمام التهديدات المستجدة بعد الحرب الباردة. وبات الشك يحوم حول إمكانية التعرض في أي وقت لهجوم أكثر دموية من عدو يصعب تعريفه: الجماعات الإرهابية العالمية. شكلت هذه الوقائع منعطفا أساسيا وتحولا جذريا لنوعية الخطاب والممارسة في السياسة الخارجية الأمريكية، وفتحت أفاقا رحبة

---

[1] إبراهيم أبو ƴƖÂǹ، أقواس ƖƖيمنة، مرǅع سبق ذكره، Ĩ Ĩ 199-200.

[2] نقلا عن: سوسن العساف، إستراتيǅية الردع، Ĩ 194.

لمعالجة موضوعات عدة حول البنية الهيكلية للنظام الدولي، ومكانة مراكز القوى فيه، ومستقبل القوى الداعمة ضمن آلية التفاعل بين وحداته ومستقبل المكانة التي تنفرد بها بعض الدول الكبرى وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية التي شعرت رغم أنها القوة المهيمنة، بأن هناك من يتحداها على المسرح الدولي بعد أن تفردت به بعد تفكك الإتحاد السوفييتي؛ وأخطر ما في الأمر أن التحدي الجديد قد أتى من كيان غير معترف به في كل من القاموسين السياسي والدبلوماسي على الصعيد العالمي. كما يقال: «بإلحاق ضربة قوية للروح الأمريكية، قام الإرهابيون الإسلاميون بصفة دراماتيكية بتثبيت الرغبات الهوبزية والمانوية* لتصور المحافظون الجدد للعالم». ولتتأكد كذلك رؤية الرئيس بوش الابن ومستشاروه الذين أبدوا منذ البداية تخوفهم الكبير تجاه باقي العالم، والمنظمات الدولية والدول الكبرى الأخرى، والدول المارقة.

وبهذا الحدث أصبح لدى المحافظين الجدد فرصة للتعبير عن التهديد الجديد الذي يحدق بالولايات المتحدة، فبعد الخطر الشيوعي خلال الحرب الباردة، ظهر عدو آخر يتمثل في الإرهاب الإسلامي الدولي الذي يحمل نظرة شمولية استئصاليه. وحسب إليوت كوهين** نحن أمام حرب عالمية رابعة. وحسب المحافظين الجدد، الرئيسين بوش الأب وكلينتون لم تكن لديهما رؤية ووعي للتطورات الأساسية التي طرأت على النظام الدولي، الذي انتقل من الثنائية القطبية إلى الأحادية القطبية، وفشل كلاهما في تنمية إستراتيجية كبرى تجمع بين الأبعاد العسكرية والاقتصادية والسياسية والثقافية، والتي تعكس علاقات القوى للعهد الجديد. بما أنه لم يتسنى لأمريكا لا الانسحاب من العالم، ولا تكييفه، لم يبق إلا السيطرة عليه أو مراقبته.

ج. دور هجمات 11 سبتمبر 2001 في دعم التوجه الإمبراطوري الأمريكي:

الفرق كبير بين الدعم الذي طلبه هاري ترومان في خطابه أمام الكونجرس في جلسة مشتركة في 12 مارس 1947 عندما طلب 400 مليون دولار أمريكي لتقديم مساعدة عسكرية واقتصادية لليونان وتركيا، كدعم لسياسته التي أصبحت إستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية التي استمرت حتى ولاية الرئيس بوش الابن في الردع والاحتواء، وذلك بهدف مقاومة النفوذ الشيوعي، مما أنهى سياسة العزلة السابقة، وبين الدعم الذي حصل عليه الرئيس بوش الابن في سياسته المعلنة لمحاربة الإرهاب ومن ثم لمحاربة العراق، حيث خصص الكونجرس 40 مليار دولار أمريكي لتعويض متضرري الحادي عشر من سبتمبر وبدء الحرب ضد الإرهاب. وفي حين عارض الشعب الأمريكي مواجهة

---

* المانوية من العقائد الثنوية أي تقوم على معتقد أن العالم مركب من أصلين قديمين هما النور والظلمة، وكان النور هو العنصر الأعلى للمخلوقات الأخرى وقد نصب الإله عرشه في مملكة النور.

** يعتبر المفكر الأمريكي اليوت كوهين أن الحرب الباردة ضد الشيوعية كانت الحرب العالمية الثالثة، وأن أمريكا والغرب الرأسمالي انتصرا في هذه الحرب، واختارت أمريكا أن يكون مسرح الحرب العالمية الجديدة أي الحرب العالمية الرابعة هو العالم الإسلامي.

الشيوعية الأوروبية وحدهم عام 1947، لم تسمع أصوات كهذه في أروقة الكونجرس عام 2001 و2002. وللمرة الثانية في عقد واحد، أصبحت الولايات المتحدة قائدة تحالف دولي معقد. فمثلما حصل طوال هذا العقد، استمرت الولايات المتحدة بالتدخل في الشرق الأوسط، لكن ما يقرر درجة التدخل واتجاهه هو التقاطع بين إستراتيجية بوش وإستراتيجية التدخل الانتقائي[1].

أولا: القوة الأمريكية والحاجة إلى الشركاء:

القوة العسكرية الأمريكية هي - بلا شك - كافية لسحق أية معارضة أو تهديد عسكري ضدها أو ضد حلفائها. بمعنى آخر شن هجوم عسكري أمريكي مباشر ضد أي محاولة تهدد أمنها أو أمن أحد حلفائها. وترتبط القوة الأمريكية، وخصوصا العسكرية منها، بأنظمة دولية أخرى في نطاق النظام الدولي. وتعد الولايات المتحدة دولة ديمقراطية على عكس الدول المسيطرة سابقا، هذا يعني أن صنع القرارات التنفيذية في الولايات المتحدة نابع من الرأي العام والشرعية الأمريكية. لأن جزءا من هذه الشرعية يأتي من الدعم المقدم من الدول الأخرى أو على الأقل موافقة تلك الدول على القيام بعمل ما. وهذا ما تم تنفيذه فعلا في العراق من قبل قوات التحالف، على الرغم من استقلالية الشركاء المتحالفين في عملياتهم العسكرية. أما بقية الأنظمة الدولية التي لا تتحالف معها، فلا يمكنها الضغط على الولايات المتحدة من أجل تفادي استخدام القوة العسكرية لكن يمكنها أن تدخل معها في مباحثات ومفاوضات غير مباشرة.

وتدل المؤشرات الحالية على أن الهوة بين قوة أمريكا العسكرية وقوة بقية دول العالم العسكرية ستتوسع أكثر فأكثر على المدى المنظور، لأن الاستثمارات الأمريكية في مجالات البحوث العسكرية والتنمية هي أكبر بأربع مرات من استثمارات مجموع دول الاتحاد الأوروبي، وخصوصا الاستثمارات العسكرية الأمريكية في مجال التكنولوجيا الجزيئية وسبر المعلومات، مما يضمن تفوقا تكنولوجيا أمريكيا على مدى السنوات القادمة. لكن هذه المقاييس لا تعني استمرار التفوق الأمريكي، لأن التاريخ يشهد بعدم وجود قوة عظمى استمرت إلى مالا نهاية، ولا بد لقوة ما في العالم من أن تتحدى يوما ما هذا التفوق، وعلى الأرجح أن القوة المنافسة ستأتي من آسيا وليس من أوروبا. لكن هذا لا يعني بالضرورة أن تبقى أمريكا مؤهلة دائما كقوة خارقة، كما وصفها وزير الخارجية الفرنسي السابق هوبير فيدرين. كما لا يعني أن يستمر النظام الدولي الراهن على أساس القطب الواحد. ولعل جبروت القوة يوحي للقادة الأمريكيين الحاليين بإمكانية السيطرة الفعلية على العالم. وإذا كان هذا الأمر سيصطدم بإيرادات أخرى في العالم، إلا أن ذلك لا يعفي من مجرد المحاولة؟

[1] عماد فوزي شعيبي، عن شاهر إسماعيل الشاهر، مرجع سبق ذكره، ص 84.

ثانيا: مشروع الإمبراطورية الأمريكية والحرب على الإرهاب: شكلت نزعة الولايات المتحدة نحو تزعم العالم وأمركته محور نشاط مختلف الإدارات الأمريكية، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى اليوم. فقول الرئيس الأسبق جورج بوش الأب: إن القرن القادم ينبغي أن يكون أمريكيا هو امتداد لقول الرئيس الراحل فرانكلين روزفلت: «إن قدرنا هو أمركة العالم».

لقد جاءت الإدارة الأمريكية الجديدة وأمامها خيارات إستراتيجية ثلاثة هي:

- التعاون مع القوى الدولية ضمن مفهوم التعددية القطبية.
- اعتماد سياسة كلاسيكية قائمة على توازن القوى.
- اعتماد إستراتيجية القطب الواحد على قاعدة التفوق والهيمنة.

ومن هذه الخيارات تبنى الرئيس بوش الابن الاختيار الثالث كعقيدة ومبدأ لإدارته سياسيا واستراتيجيا، وهو ما يتسق مع رؤيته اليمينية المتشددة سياسيا ودينيا.

لقد شكلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 تحديا كبيرا للولايات المتحدة الأمريكية وتهديدا لمصالحها وسلامة أراضيها، ولذلك لابد من مراجعة سياساتها فيما يتعلق بالأمن القومي، والتي أثبتت فشلها بعد التفجيرات التي حدثت في الحادي عشر من سبتمبر، وقد عبرت الولايات المتحدة عن نيتها لاجتثاث الإرهاب من العالم.. مما استوجب زيادة في ميزانية الدفاع وتدريبا متخصصا في مواجهة الإرهاب وكذلك إعطاء حرية أكبر للقادة العسكريين في الميدان وضرورة إنشاء قوة خاصة لمواجهة العمليات الإرهابية. وقد طالبت إدارة بوش الابن بزيادة ميزانية الدفاع بحوالي 100 مليار دولار سنويا، إضافة إلى ما طلبته وزارة الدفاع لعام 2003 وهو 347 مليار دولار لمواصلة المتطلبات الجديدة للقوات الأمريكية.

وفي الرابع عشر من سبتمبر2001، سلم الكونجرس الأمريكي الرئيس بوش الابن تفويضا واسعا باستخدام كل القوة اللازمة والمناسبة ضد مرتكبي هجوم الحادي عشر من سبتمبر وكل من كان قد أقدم على مساعدتهم وبعد ذلك بستة أيام، ألقى الرئيس الأمريكي أهم خطاباته في فترته الرئاسية كلها أمام لجنة مشتركة من الكونجرس ليشرح ما ينوي القيام به مع ذلك التفويض. حيث أعلن بوضوح أن الخطر الذي تواجهه الولايات المتحدة اليوم هو الإرهاب. وفي هذا السياق يقول الرئيس بوش الابن: «يكمن الخطر الأعظم الذي تواجهه أمتنا عند مفترق طرق الراديكالية والتكنولوجيا، لقد صرح أعداؤنا بصورة علنية أنهم يسعون لامتلاك أسلحة الدمار الشامل، وتشير الدلائل إلى أنهم يسعون لذلك بتصميم».

وبعد تحضير دقيق وتحليل مركز، أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية بعد ستة وعشرين يوما من الهجمات الانتحارية على واشنطن ونيويورك عن بدء عملية (العدالة الدائمة) التي أعلن الرئيس جورج بوش الابن أنها تستهدف القضاء على الإرهاب في العالم. وبدأت معها أول حروب القرن الحادي

والعشرين، ويبدأ معها أيضا العصر الأمريكي للاستعمار المباشر، بعدما كانت الولايات المتحدة تخوض الحروب ضد أعدائها بالوكالة. فمن هو العدو من وجهة النظر الأمريكية؟

كانت الإدارة الأمريكية، وبخاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، قد حددت بعض أعدائها وطلبت من دول العالم أن تتبنى عداء هؤلاء الأعداء بوقوف تلك الدول مع الإدارة الأمريكية وإسهامها، بشكل من الأشكال، في محاربة هؤلاء الأعداء الذين منهم على سبيل المثال وليس الحصر:

1- الإرهاب: حيثما كان وفي أي زمان، ومكافحة تنظيماته وجماعاته والدول أو الأنظمة التي تؤوي تلك التنظيمات والجماعات أو تساعدها بأي شكل من الأشكال.

2- الدول أو الأنظمة التي تمتلك أو تصنع أسلحة تدمير شامل، باستثناء إسرائيل. ومن هذه الدول في منطقة الشرق الأوسط: العراق وإيران وليبيا وسورية.

3- الأصولية الإسلامية: بمختلف مدارسها وفئاتها وتنظيماتها. وهذه الأصولية، حسب التفسير الأمريكي لها وفهمه إياها، مبثوثة في بعض أنحاء المنطقة.

4- أعداء إسرائيل، وهم معششون في المنطقة كلها.

5- الحضارة الإسلامية: لم تذكر في عداد الأعداء، بل إن بعض مظاهر المسؤولين الأمريكيين تتجه نحو تصوير الحضارة الإسلامية بأنها تضم مجموعة من القيم الخيرة، إضافة إلى أن تاريخها خدم الإنسانية كلها. ولكننا ننظر إلى بعض الأدبيات الأمريكية وذلك قبل أحداث أيلول 2001 وبعدها. وحينما وقعت تلك الأحداث أعلنت جميع الدول العربية والإسلامية إدانتها ورفضها وحزنها لوقوعها، ومشاركتها الأمة والدولة الأمريكية في مصابهما، ولكن جرى تصوير العرب والمسلمين على أن منهم تلك الفئة التي قامت بتلك الأحداث، وجرى الحديث عن صفات الحضارة الإسلامية وتاريخها في إطار إحياء مقولة المفكر الأمريكي صموئيل هينتنجتون بشأن صراع الحضارات.

ولعل من أكبر تأثيرات أحداث 11 سبتمبر 2001 أنها جعلت القائمة الأمريكية للدول التي ترعى الإرهاب عديمة الجدوى، بل أصبح استخدامها محرجا سياسيا. فمعظم المتهمين بالتورط في هذه الأحداث أتوا من بلاد صديقة للولايات المتحدة. فلا معنى بعد الآن لاستهداف الدول الموجودة على قائمة الإرهاب إلا لأسباب سياسية ستكون فجة. لذا فإن الولايات المتحدة بدأت تحول اهتمامها ضمنيا من الدول المتهمة برعايتها للإرهاب إلى الشعوب المشتبه في تفريخها للإرهاب، وقائمة الدول التي يطلب من مواطنيها إتباع إجراءات خاصة وطويلة لدخول الولايات المتحدة يشير إلى ذلك[1]. وبعد الأحداث مباشرة أعلنت الإدارة

[1] برهان غليون، عن شاهر إسماعيل الشاهر، مرجع سبق ذكره،ص 90.

الأمريكية بقيادة جورج بوش الابن الحرب على الإرهاب، وأن هذه الحرب ليست حربا أمريكية على الإرهاب بل هي حرب العالم كله ضده، أو معركة الحضارة على حد تعبير الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن. وعلى هذا الأساس ومن الواضح أن الولايات المتحدة، وتحت تأثير إدارة اليمين المحافظ الجديد، أصبحت تنزع إلى اختصار أولوياتها العالمية في ثلاثة أهداف رئيسة هي:

- تأكيد القيادة الأمريكية للعالم.
- الاحتفاظ بالتفوق الدولي الاستراتيجي والاقتصادي.
- بسط النفوذ والتوسع الخارجي.

ومما تقدم يمكن القول أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر أوجدت المسوغ لتلك الأصوات المتشددة في الإدارة الأمريكية من أن تستخدم هذا الحادث لمصلحتها وعلى رأسهم وزير الدفاع الأمريكي السابق دونالد رامسفيلد حيث قال: «إن الحادي عشر من سبتمبر أحدث ذلك النوع من الفرص التي وفرتها الحرب العالمية الثانية من أجل إعادة صياغة العالم». ويرى المناهضون للحرب على الإرهاب أن الأوضاع الأمنية ازدادت سوءا حسب تعبيرهم، وأن هناك تضخيما لخطورة التهديدات التي تشكلها ما تسمى بالمجموعات الإرهابية، وأن هذه الحرب أدت إلى خروق في مجال حقوق الإنسان، حتى في الولايات المتحدة نفسها. ويرى بعضهم أن الخطر الحقيقي لا يكمن في الإرهابيين، ولكن في الأساليب المستخدمة ضدهم، إذ يرى بعضهم أنه من المستحيل القضاء على فكرة معينة بحملة عسكرية، وإن ما تسهم به الحملات العسكرية هو زيادة حدة الإرهاب وخطورته وانتشاره..

ويصف أندرو باسفيتش خطاب الرئيس بوش الابن بأنه رسم الملامح الرئيسة لحربه على الإرهاب بأول بيان عن السياسة الخارجية منذ انتهاء الحرب الباردة، مما سيمنحه فرصة بأخذه مكانا له إلى جانب خطاب الوداع لجورج واشنطن ومبدأ مونرو وملحق روزفلت ونقاط ويلسون الأربع عشرة كنص مقدس في فن الحكم الأمريكي[1]. وفي هذا الخطاب حدد الحرب على الإرهاب بقوله: «إن حربنا ضد الإرهاب تبدأ بالقاعدة ولكن لا تنتهي عندها، ولا تنتهي هذه الحرب إلا عندما يتم القبض على كل مجموعة إرهابية دولية بإيقافها وتحطيمها. ومنذ اليوم فإن كل أمة تستمر في احتضان الإرهاب أو دعمه ستعدها الولايات المتحدة الأمريكية نظاما معاديا لها».

ولم يكن وصف الحرب العالمية ضد الإرهاب بالصليبية زلة لسان من قبل الرئيس الأمريكي بوش الابن. لقد كانت عبارة مقصودة لشحن حربه هذه بمضامين رمزية عميقة مغروسة في عمق الذاكرة الغربية، ومن ثم إلى إدراج هذه الحرب في السلسة التاريخية للحروب التي انفجرت بين الإسلام والمسيحية. لقد كان بوش الابن يهدف من وراء ذلك إلى تفعيل الذاكرة المشتركة لتسوغ سياساته الهجومية أمام الرأي العام الغربي وتوحيده وراء

---

[1] أندرو باسيفيتش، مرDZع سبق ذكره، آ 294.

راية الولايات المتحدة أكثر مما كان يهدف إلى تجييش الناس لمحاربة الإسلام أو العالم الإسلامي.

مما تقدم يتضح أنه مع انتهاء الحرب الباردة مباشرة لم يكن لدى الولايات المتحدة الأمريكية أي مشروع أو تصور لكيفية قيادة عالم أحادي القطبية، وعلى الخصوص بعد انهيار الاتحاد السوفييتي العدو التقليدي للولايات المتحدة الأمريكية. ووجدت في الإرهاب الدولي المتمثل بالأصولية مبتغاها فأرادت إسقاط نظام طالبان في أفغانستان الذي كان يأوي أسامة بن لادن. وجاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر لتعطي الولايات المتحدة الأمريكية فرصة ذهبية للتدخل والهيمنة وبالقوة العسكرية المباشرة. وبالفعل استطاعت بالقصف والتدخل المباشر أن تقضي على نظام طالبان وعلى القواعد الأساسية لتنظيم القاعدة في هذا البلد. ومن ثم أخذت تفكر بغزو العراق على أساس أن النظام فيه نظام ديكتاتوري مستبد ويحاول إنتاج أسلحة الدمار الشامل. فالولايات المتحدة تحاول بفعل القوة العسكرية واستعراضها وغزو الدول الأخرى أن تؤثر تأثيرا نفسيا وسياسيا على سياسات الدول الأخرى.

المطلب الثالث :إستراتيجية الأمن القومي الجديدة وفق رؤية المحافظين الجدد

كل إدارة أمريكية جديدة مجبرة على تقديم إعلان رسمي عن الإستراتيجية الوطنية للأمن، حسب قانون جولد ووتر-نيكولس لسنة 1986 المتعلق بإعادة تنظيم الدفاع، وفي 20 سبتمبر 2002 أخذت إدارة بوش هذا الإلزام كفرصة لتقديم مقاربة مختلفة تماما للسياستين العسكرية والخارجية للولايات المتحدة، غير مكتفية بالدفاع عن الحرية في العالم أجمع في أولوياتها، لتحمل إستراتيجية الأمن القومي لبوش الابن، إمكانية التدخل الوقائي، في عالم مليء بالجماعات الإرهابية التي تسعى للحصول على أسلحة الدمار الشامل ADM بما فيها الأسلحة النووية[1].إن العناصر الأساسية لما أصبح يسمى فيما بعد عقيدة بوش قد تم الإشارة إليها قبل أن تنشر كإستراتيجية جديدة للأمن القومي وهذا في ثلاث خطابات ألقاها الرئيس الأمريكي بوش الإبن[2]:

- الخطاب الذي ألقاه أمام الكونجرس في 20 سبتمبر 2001م والذي تحدث فيه عن القضاء على الشبكات الإرهابية العالمية .
- الخطاب عن حالة الإتحاد في 29 جانفي 2002 موسعا محاربة الدول التي تمتلك أسلحة الدمار الشامل و التي يمكن أن تزود بها جماعات إرهابية و هذا ما سمي بمحور الشر.
- الخطاب الذي ألقاه أمام أشبال أكاديمية واست بونت في 01 جوان 2002. حيث تحدث عن ضرورة القيام بعمليات إستباقية ضد الجماعات الإرهابية .

---

[1] Stephen Walt, M. La Guerre Préventive :Une Stratégie Illogique, p. 01.

[2] Irving Lewis, Guerre Contre le Terrorisme et Sécurité Intérieure : Vers une Consolidation de l'Hégémonie Américaine dans le Monde, Startis Internationale, 08/2005, p. 02.

1. ظهور استراتيجية الأمن القومي:

خلال الأشهر الأولى التي أعقبت 11 سبتمبر 2001 أعد لإستراتيجية كبرى، والتي حددت مجموعة من الأهداف والأدوات للسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية وقد كانت مصدرا مهما للتحليل ومحاولة فهم السلوك الخارجي الأمريكي بعد هجمات الثلاثاء الأسود. أطلق الرئيس بوش عقيدته المتعلقة بالحرب على الإرهاب والتي تقوم على أن : « من ليس معنا فهو ضدنا ... وسوف تضرب أمريكا كل من يؤوي أو يدرب أو يمول الإرهاب كائنا من كان»[1] .

كما تؤكد عقيدة بوش أن هناك ثلاثة أشكال من التهديد على الولايات المتحدة، أولها الإرهاب المنظم بوسائل عالمية، و الدول الضعيفة التي يتخذها الإرهاب قواعد والإرهاب من غير الدول المتخطي للحدود القومية[2]. وتحوي«إستراتيجية الأمن القومي 2002 للولايات المتحدة الأمريكية » تسعة فصول تعرض رؤية أمريكية للعالم، ومصادر التهديد المنتشرة فيه وكيفية مواجهتها. وطبقا للوثيقة يفرض واجب الدفاع عن النفس أن تتعامل الولايات المتحدة مع هذه المخاطر والتهديدات قبل أن تكتمل وتأخذ صورتها النهائية، وبذلك اختارت أمريكا فكرة الحرب الإستباقية والوقائية والإجهاض المبكر للتعامل مع التهديدات[3].

تتضمن هذه الإستراتيجية رؤية فريق المحافظين الجدد للعالم، فتم تقسيمها إلى تسعة أقسام عقب مقدمة بقلم الرئيس بوش الابن كما ياتي[4]:

- نظرة عامة إلى إستراتيجية أمريكا الدولية.
- الدفاع عن التطلعات من أجل الكرامة الإنسانية.
- تقوية التحالفات لدحر الإرهاب العالمي والعمل من أجل منع الهجوم على أمريكا وعلى أصدقائها.
- العمل مع الآخرين لوقف النزاعات الإقليمية .
- منع أعداء أمريكا من تهديدها وتهديد حلفائها وأصدقائها بواسطة أسلحة الدمار الشامل.
- الحث على مرحلة جديدة من النمو الاقتصادي العالمي عن طريق الأسواق والتجارة الحرة.
- توسيع دائرة التنمية، وذلك بفتح المجتمعات وتأسيس البنية التحتية للديمقراطية.
- تطوير جداول أعمال التعاون العملي المشترك مع باقي المراكز الرئيسة للقوة العالمية.
- تحويل مؤسسات الأمن القومي الأمريكية كي تستجيب للتحديات وفرص القرن الواحد والعشرين.

ومن خلال هذه النقاط يمكن تحديد طبيعة السياسة الخارجية لإدارة جورج بوش الابن وتحديد أهدافها وأدواتها:

---

[1] سوسن العساف، استراتيǅية الردع، مرǅع سبق ذكره، آ 197. تكررت هذه العبارة كثƘا بعد 11 سبتم 2001.

[2] اƫرǅع السابق، آ 197.

[3] العساف، سوسن، استراتيǅية الردع، مرǅع سبق ذكره، آ 197.

[4] مرǈǈ، ƘƧ، عن: العساف، سوسن، استراتيǅية الردع، مرǅع سبق ذكره، آ 199.

كانت هذه الإستراتيجية حسب رأي نعوم شومسكي في كتابه الهيمنة أم البقاء بمثابة إعلان أقوى دولة في التاريخ عن نيتها الحفاظ على هيمنتها سواء من خلال التهديد بالقوة المسلحة أو باستعمالها فعلا[1]. وينقل شومسكي تحليلا للخبير في الشؤون الدولية جون إكنبيري الذي يرى بأن «إستراتيجية الأمن القومي لبوش الابن 2002: إستراتيجية كبرى تنطلق من الالتزام الجوهري بالمحافظة على عالم أحادي القطب لا مكان فيه لند مزاحم للولايات المتحدة.....وهذه الحالة من المفروض أن تكون دائمة بحيث يتعذر على أي دولة أو مجموعة دول أن تتحدى في أي وقت الولايات المتحدة كزعيم للكون، يبسط حمايته وينفذ إرادته بالقوة». وحسب إكنبيري دائما: «ومن شأن هذه المقاربة أن تجعل المعايير الدولية الخاصة بالدفاع عن النفس المكرسة في المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة عديمة المعنى».

يتضح من خلال ما يعرضه شومسكي أن إستراتيجية الأمن القومي لسنة 2002 موجهة كخطاب مباشر للعالم أجمع، لتوضيح التصور الأمريكي في مجال الأمن والسلم الدوليين، وترابطهما بالأمن الأمريكي الداخلي، وحربها على الإرهاب لا تغدو أن تكون حربا عالمية على الإرهاب، وبالتالي عولمة الأمن القومي الأمريكي. ولب هذه الإستراتجية يقوم على ثلاث مهام رئيسية: الدفاع عن السلم والمحافظة على السلم ونشر السلم[2]

2. عناصر الإستراتيجية الأمريكية الكبرى[3]:

تشمل هذه الإستراتيجية رؤية أوسع لكيفية استخدام الولايات المتحدة القوة وتنظيم النظام العالمي، و تتكون هذه الإستراتيجية من سبع عناصر أساسية يمكن سردها فيما يأتي:

- الحفاظ على عالم أحادي القطب، ليس للولايات المتحدة أي منافس كبير فيه، وعدم السماح بقيام أي تحالف قوي لا يكون للولايات المتحدة الحصة الكبرى فيه. وحسب تعبير وولفويتز: « إنه مع انهيار الإتحاد السوفييتي، يتعين على الولايات المتحدة أن تعمل لمنع أي محاولة لظهور منافسين في أوربا و آسيا» .
- التفطن للتهديدات العالمية ولكيفية مواجهتها، إذ باستطاعة الجماعات الإرهابية الحصول على أسلحة الدمار الشامل. لذلك « وجب استئصالها من جذورها» بحسب تعبير وزير الدفاع دونالد رامسفيلد.
- اعتبار مفهوم الردع أو الإستراتيجية الواقعية القديمة لم يعد بإمكانها الحفاظ على الأمن القومي الأمريكي. وبالتالي اعتماد الخيار الهجومي الوقائي من خلال استخدام القوة العسكرية الأمريكية ؛ وتبني فكرة

---

[1] نعوȬ شومسكي ، اƫيمنة أȳ البقاŏ: السعي الأمريكي للسيطرة على العاƁ، ترƤة:الكعكي، ساƁ، دار الكتاā العر ، بƘوت، 2004، ȋ 19.

[2] Irving Lewis, Guerre Contre le Terrorisme, op. cit., p. 03.

[3] فنسان اƅريب، مرǛع سبق ذكره، ȋ 196-197.

أن الولايات المتحدة تملك الحق في استخدام القوة الوقائية لضمان عدم تعرضها لهجوم محتمل، حتى مع عدم وجود تهديد واضح.

- إعادة تحديد مفهوم السيادة، حيث تتطلب ملاحقة المجموعات الإرهابية في أي بقعة من الأرض، و في أي بلد وجدت فيه. و هو ما أدى إلى ظهور مبدأ جديد بحسب رأي هاس، تحديد مفهوم السيادة الوطنية بحسب ما يتوافق ومصلحة القوى العظمى الأمريكية.
- التقليل من قيمة المعايير الدولية والمعاهدات والشراكات الأمنية التي تحد من قدرة الولايات المتحدة من استخدام القوة بشكل أحادي، وعدم الانغماس في عالم المنظمات المؤسسات والقواعد المتعددة الأطراف الفاسد والمقيد.
- القوة العسكرية وحجم التسلح الذي وصلت إليه الولايات المتحدة الأمريكية -والذي جعل حلفاءها يتأخرون عنها بشكل كبير – يجعلها تضطلع بدور مباشر وغير مقيد في الرد على التهديدات الخارجية.
- إعطاء وزن أقل للاستقرار الدولي مع سيطرة أتباع النزعة الأحادية على الإدارة الأمريكية، الذين يدعون إلى كسر تقاليد الماضي و تخطي التفكير الذي كان سائدا في أثناء الحرب الباردة . من هنا كانت الدعوة للانسحاب من معاهدة الصواريخ المضادة للصواريخ الباليستية والممانعة في توقيع معاهدات رسمية لنزع السلاح. والدعوة إلى تخطي النموذج القديم للعلاقات بين القوى الكبرى، واعتماد مقاربات أمنية جديدة تتميز بالراديكالية، حيث لا يكون الاستقرار في العالم هدفا في حد ذاته.

ومما تقدم يمكن استنتاج: أن هذه الوثيقة تعكس رؤية الإدارة الأمريكية، التي تفضل العمل المنفرد، وترفض أي تقييد لحرية الولايات المتحدة في استخدام قوتها، وتظهر استهانة بقواعد القانون الدولي عندما تؤدي هذه القواعد إلى فرض قيود على حرية الولايات المتحدة، وهي تعكس تلاقي مصالح اليمين المتطرف (المحافظون الجدد) والشركات النفطية والمجمع الصناعي العسكري وتتجاهل الاعتبارات البيئية كسبيل لفرض قيود على الأنشطة الاقتصادية، وهذا العمل الانفرادي هو الذي يضمن لها العمل بحرية وانتقائية من دون التزام بقيود يفرضها المجتمع الدولي، وليس لهذه الإدارة استجابة كافية للتغيرات التي حدثت في البيئة العالمية وتأثير هذه التغيرات على المصالح الأمريكية، وترى أن الولايات المتحدة تستطيع أن تتمتع بالرفاهية والأمن المطلق في عالم يحرم فيه الآخرون من هذه الميزات. وأن الولايات المتحدة كانت قد ضيعت الاستفادة من فرصتين: انتهاء الحرب الباردة، وحرب الخليج الثانية، لإعادة صياغة المبادئ الناظمة لسياستها الخارجية، وقد وجدت ضالتها في أحداث 11 سبتمبر 2001 لتعويض تلك الفرصة الضائعة، حيث وجدت - بفعل رؤية المحافظين الجدد- أن في العالم مصدرا للتهديد تتعرض له الولايات المتحدة، ويتمركز هذا المصدر في منطقة العالم الإسلامي، ومن ثم

فإن تحقيق الأمن المطلق للولايات المتحدة ارتكانا لفرض هيمنتها يستهدف في المحل الأول هذا العالم الإسلامي، ومن ثم كانت البداية في أفغانستان ثم العراق.

ج. **الأهداف الجديدة للسياسة الدولية الأمريكية :**

تعمل الإستراتيجية الأمريكية على تحقيق مجموعة من الأهداف الرئيسية من خلال الاستفادة من المرحلة الانتقالية التي يمر بها النظام الدولي واختلال التوازن لصالح الولايات المتحدة ويأتي في مقدمة هذه الأهداف هدفان رئيسيان[1]:

أولا: تعديل الميزان التجاري، عبر توسيع التصدير و فتح أسواق جديدة. و**ثانيا** تجاوز مشكلة المديونية عبر تفعيل نشاط القطاعات الاقتصادية وتشغيل اليد العاملة الأمريكية خاصة في مجال الصناعات العسكرية، و لن يتسن ذلك إلا بتحقيق الأهداف الفرعية التالية[2]:

- التدخل السياسي والعسكري في كافة المشكلات العالمية من دون أن يكون هناك حدود لتدخلها هذا.
- إعادة ترتيب الوضع العسكري عالميا تحت إشرافها ووفق ما تقتضيه مصالحها، من خلال تكريس هيمنتها على حلف شمال الأطلسي وتوسيعه بالشكل الذي تراه ضروريا، وتكريس وجود دائم لقواتها في كافة المناطق ذات الأهمية الجيوستراتيجية في العالم، خاصة منطقة الخليج العربي، وبالتالي عقد تحالف عسكري مع البلدان ذات الموقع الجغرافي الحساس.
- تشكيل تكتلات اقتصادية بإشرافها وتحت سيطرتها مثل النافتا وتكتل المحيط الهادي.
- السيطرة على الأسواق العالمية أو على الأقل الجزء الأساسي منها، مثل السوق الصيني، وأسواق جنوب شرق آسيا وأسواق أمريكا الوسطى اللاتينية والشرق الأوسط وإفريقيا وسوق روسيا والجمهوريات السوفيتية السابقة.
- إعطاء صندوق النقد والبنك الدوليين دورا أكبر في تحقيق هدف السيطرة، وذلك عبر ربط موضوع منح القروض بشروط قاسية تلتزم فيها الدول المعنية بإتباع سياسات تتوافق مع اقتصاد التبادل الحر.

---

[1] ǹطlā بوش يوǇ 17 سبتم 2001.

[2] فنسان الǂريب، مرǃع سبق ذكره، ǅ ǅ 199-200.

- تسخير منظمة الأمم المتحدة كي تكون غطاء شكليا لدور الولايات المتحدة السياسي والعسكري والاقتصادي الجديد، وصولا إلى تهميش دورها إذا لم يتوافق مع الإرادة الأمريكية.
- السيطرة المباشرة على منابع النفط، و ذلك بحسب ما يتوافق مع المفهوم الجديد لـ (الأمن القومي الأمريكي). وحملت الإستراتيجية الجديدة المعالم الآتية:

1. **الضربة الاستباقية**: إن إستراتيجية الأمن القومي تتفق مع التطلعات الإمبراطورية التي ارتسمت مع الدعوات المتكررة لأعمدة مشروع القرن الأمريكي، منذ الرسالة التي تلقاها منهم الرئيس كلينتون سنة 1998، والتي كانت إعلانا مباشرا عن نوايا هذه المجموعة من المحافظين الجدد استغلال قدرات الولايات المتحدة الأمريكية للتفاعل مع المتغيرات السياسية والاقتصادية والثقافية، التي خلفتها فترة غياب القطب المنافس، والخلل الاستراتيجي الذي يعود إلى عدم تحديد ملامح العدو، الذي ينعش التحرك الأمريكي وفق إستراتجية الدفاع عن المصالح القومية. ومع توفر الفرصة المناسبة وتحديد العدو ، تمكنت أفكار البناك من الوصول على البيت الأبيض، فإستراتيجية الأمن القومي لسنة 2002، أظهرت إصرار الفاعلين في إدارة بوش الابن على إبقاء أمريكا القوة غير المنازعة وغير المسبوقة في تقرير مصير العالم، من هنا تبنت مبدأ الحرب الإستباقية، وليس الحرب الدفاعية.

إن الفهم الأمريكي للحرب الاستباقية يعد مرتكزا جديدا لمفهوم الاستباق في العلم العسكري، كونه يعتمد على نوايا مبكرة تراها الولايات المتحدة على أنها عدائية، بمعنى أنها مبنية على الفهم الأمريكي لنوايا الطرف الآخر حتى لو كان هذا الفهم مبنيا على دلائل غير مؤكدة. وقد عبرت كونداليزا رايس -مستشارة الأمن القومي في إدارة بوش الأولى ووزيرة الخارجية في الإدارة الثانية- عن: «أن الاستباق والحرب الاستباقية، تعني منع أعمال تدميرية معينة ضدك، من خصم لك، وأن هناك أوقاتا لا تستطيع فيها الانتظار حتى يقع عليك الهجوم ثم ترد»[1].

وهذا ما تتفق معه وزارة الدفاع الأمريكية حينما تعرف الضربة الاستباقية بأنها: «هجوم يتسم بأخذ المبادأة بناء على أدلة دامغة بأن هجوم العدو وشيك»[2]. ويؤكد نعوم تشومسكي أن العقيدة العسكرية الاستباقية تعني: «دعوة لأن تطور الأهداف الممكنة نوعا من القوة الرادعة، حيث لا يوجد سوى نوعين من القوة الرادعة، أولها أسلحة الدمار الشامل والثاني الإرهاب»[3]. ويشير تشومسكي إلى الشروط والخصائص التي وجب أن تتوفر في هدف العمل الاستباقي[4]:

---

[1] سوسن العساف، مرجع سبق ذكره، ص 200.
[2] نفس المرجع السابق، ص 200.
[3] تشومسكي، عن: سوسن العساف، مرجع سبق ذكره، ص 201.
[4] Noam Chomsky , Domineer Le Monde Ou Sauver La Planet ?Traduit Par : Paul Chemla, Editions Fayard, Paris, 2004, p28.

- أن يكون منزوع الدفاع تماما.
- أن يكون ذو أهمية كبيرة كي يستحق حربا.
- إمكانية تقديمه في صورة الشر التام وكتهديد عظيم لحياة الأمريكيين.

هذه الملاحظة يقدمها تشومسكي آخذا بعين الاعتبار إعلان بوش الابن الحرب على العراق، في الوقت الذي كانت أمريكا في بداية الحملة الانتخابية لرئاسيات 2004. فالعراق تتوفر فيه المواصفات الثلاث.

يلاحظ من خلال مختلف الخطابات التي وجهها بوش الابن إلى الشعب الأمريكي، أنه استعمل مصطلحات تشير إلى الترابط في عقيدته –مبدأ بوش- والسعي لاقناع الرأي العام الداخلي، والحلفاء التقليديون بضرورة الدخول في المواجهة المباشرة ضد أعداء المبادئ والقيم الأمريكية، ويصف هؤلاء الأعداء بمحور الشر، الذي يجب القضاء عليه عن طريق الهجمات الاستباقية، التي تحول دون الإضرار بمصالح العالم الحر وإجهاض أي محاولة من الجماعات الإرهابية وكل من يدعمها من تنفيذ عمليات انتحارية وحربية وهذا بتجريده من أسلحته الموجهة ضد أمريكا.

2. مواجهة العدو الجديد

أ. ظهور عبارة محور الشر:

وبالنسبة لعبارة محور الشر والتي أطلقها بوش الابن على ثلاث دول وهي: دولتين مسلمتين هما العراق وإيران ودولة شيوعية وهي كوريا الشمالية، والملاحظ أن هذا المحور يتشكل من، ويعتقد أن إطلاق مثل هذه الاتهامات لم يأتي من العدم، بل أنها درست بعناية، وتبين فيما بعد أن دافيد فرام مبتكر هذه العبارة محور الشر لم يقصد في الأساس سوى إيجاد رابط بين العراق والإرهاب. ويعتبر فرام من المحافظين الجدد وهو كاتب الخطابات الاقتصادية للرئيس بوش الابن. وعندما طلب منه إيجاد عبارة تربط العراق بتنظيم القاعدة، تذكر قصة المحور الذي ضم في فترة الحرب العالمية الثانية أعداء أمريكا (ألمانيا وإيطاليا واليابان)، أي محور(برلين- روما -طوكيو)[1].

إن ما يثير الإهتمام هو ظهور عبارة محور الشر كمكمل لعبارات سابقة كان أهمها عبارة الدولة المارقةو الدولة الفاشلة والدول المثيرة للقلق، كلها عبارات تهدف إلى شيطنة العدو La Diabolisation de L'ennemi، أي التقسيم إلى ازدواجية المعايير بين الخير والشر

---

[1] كرلوف، ف.ي، إم الثور كل الأرض، مرجع سبق ذكره، ص ص 200-202.

لصالح أجندة المحافظين الجدد[1]. وبما أن بوش الابن ما فتئ ينبه أن من ليس مع أمريكا فهو ضدها، في تحد صارخ وصريح يظهر ما آلت إليه استراتيجية إدارته، وعدم اكتراثه لرأي الآخرين حتى وإن كانوا من الحلفاء القدامى، ودون مراعاة أحكام القانون الدولي، ليتحدد بذلك العدو.

إن تقسيم العالم إلى الخير والشر يسمح للولايات المتحدة الأمريكية بمهاجمة أي دولة وأي تنظيم وحتى أي شخص، يمكن أن يشكل تحديا للأمن القومي الأمريكي، متجاوزين بذلك جميع القوانين الدولية. إن عدم احترام القوانين في مجال السياسة الخارجية لابد أن تجد لها انعكاسا على صعيد السياسة الداخلية، من تقليص للحقوق المدنية وحقوق الإنسان بشكل مثير حتى في أمريكا نفسها.

ب. إتهام المسلمين بالتطرف والعداء للغرب:

بعد الأحداث الدموية للثلاثاء السود، بدأ البحث عن الجناة، وتردد في كواليس الإدارة الأمريكية اسم صدام حسين والعراق، وتردد كذلك اسم بن لادن والقاعدة، وكان أول من وجه الاتهام للجماعات الإسلامية عبر قناة البي بي سي BBC وزير الخارجية الإسرائيلي شيمون بيريز، الذي أكد بأن المتطرفون الإسلاميون هم من يقف وراء الهجوم على رمز من رموز الحضارة الغربية وأعلنوا بذلك العداء للغرب ولأمريكا وقد سبق وأن قاموا بعمليات مماثلة ضد سفاراتها بالخارج وضد كمركز التجارة العالمي في عام1993 [2].

وفي صباح يوم 12 سبتمبر 2001 كان بوش قد سلم بأن بن لادن هو الفاعل، وهو ما سمح لإدارة المحافظين الجدد المضي قدما نحو وضع قدم في قلب آسيا الوسطى*، معبدين الطريق الشرعية للتدخل في العالم باسم الحرب على الإرهاب وما أصطلح على تسميته الحرب العالمية الرابعة. ويتساءل محمد إبراهيم بسيوني في دراسته المؤامرة الكبرى مخطط تقسيم الوطن العربي من بعد العراق: هل اتهام العرب والمسلمين بالجرائم الدموية لأحداث 11 سبتمبر جاء مصادفة؟ أم أنه عداء إيديولوجي ثابت لدى ما أسماه بحلف الشر (الراسمالية الشرهة)؟

ويجيب بسيوني في مجموعة من النقاط كالآتي:

- المعسكر الرأسمالي الذي يحكم العالم وبصفة خاصة في أمريكا يرى الإسلام عدوا استراتيجيا يقف أمام المصالح الرأسمالية الغربية.

---

[1] Manon-Nour Tannous, Les Etats-Unis et « l'axe du mal », Etude d'une rhétorique des relations internationales Master 2 de Relations Internationales, option Politique Internationale, Mémoire sous la direction de Monsieur Serge Sur, Cahiers Thucydide, Université Panthéon-Assas, Paris II, Mai 2008, p.08.

[2] [illegible]مد إبراهيم بسيو[illegible]، ا[illegible]ؤامرة الك[illegible] ، [illegible]ط تقسيم الو[illegible]ن العر[illegible] من بعد العراق[illegible]

* تحتوي هذه المنطقة على الاحتياطي العالمي الثاني للنفط حيث تقدر بنحو ملياري برميل من النفط، فضلا عن الموارد الأولية الأخرى. إلى جانب موقعها الإستراتيجي حول أقطاب كامنة في المستقبل (المثلث الاستراتيجي المقلق للولايات المتحدة : الصين وروسيا و الهند)

- الإسلام ليس دينا قيميا وأخلاقيا فقط وإنما أسلوب حياة اجتماعية تتناقض مع أسلوب الحياة الغربية ومضامينها ومظاهرها وهو ما يعوق هدف المعسكر الرأسمالي لفرض أسلوب حياة استهلاكية وتحقيق أغراضهم الاقتصادية والسيطرة على كل شعوب الأرض.
- الرئيس جورج بوش الابن في أولى خرجاته لإعلان الحرب على الإرهاب بداية بأفغانستان اقر بأنها حرب صليبية تحت راية الدين ولنصرة الصليب،وهو ما عاد وتراجع عنه، مخافة ما قد ينجر من وراء ذلك.
- ورث الغرب علاقات مشبوهة مع حركات وجماعات كانت على علاقة مع الاستخبارات مثل السي أي أي التي قامت بتدريب جماعات العنف والتطرف حيث استخدموا في افغانستان ضد السوفييت، وأُستعملوا في عمليات تخريب و إرهاب في عدد من الدول العربية والإسلامية، ليصبحوا بعد ذلك عبئا على مخططات القوى الرأسمالية التي تخلت عن أسلوب الحرب بالوكالة، مفضلة أسلوب تنفيذ المهام بقواته الخاصة مباشرة، وحتى يتم التخلص من حلفاء الأمس دفعة واحدة فإن إلقاء التهمة على الإسلام والمسلمين والعرب يمهد لتنفيذ مهمة التخلص من هؤلاء المتأسلمين (حسب تعبير بسيوني).
- لا يخفى دور الإعلام الصهيوني في إثارة الكراهية ضد المسلمين والعرب ورسم صورة بشعة للمسلم العربي في ذهن المواطن الغربي عبر السينما و التليفزيون والصحف ومواقع الانترنيت، إذ يمارس الصهاينة عداءهم الصارخ ضد المسلمين حيث كانوا –الصهاينة- أول من اتهم المسلمين بصفة عامة و المتطرفين بصفة خاصة بارتكاب أحداث سبتمبر.

واستنادا إلى مجمل الاتهامات التي نزلت مع القنابل التي قصفت بها أفغانستان كأول رد فعل عسكري على تنظيم القاعدة يوم 07 أكتوبر 2001 وبدأت مسيرة وضع اليد على المناطق الحيوية في العالم، لترتسم فعليا رقعة الشطرنج الكبرى التي تحدث عنها بريجنسكي، فآسيا الوسطى وما جاورها كانت ولتزال من أهم أهداف الولايات المتحدة وحلفاؤها لما تمثله من ثروة طاقوية هائلة. كانت عملية الحرية الدائمة* بمثابة الإعلان المباشر عن بداية قرن أمريكي جديد وبدأ فعليا التفكير في الأسباب الحقيقية وراء إصرار الولايات المتحدة على استغلال الفرصة والتحرك دون أدنى مراعاة لما يجري من ردود أفعال ضد الحرب، والاستعمال المفرط للقوة، وهذا ما يؤكده بوب وودوورد Bob Woodward ناقلا عن بوش الابن هذه مناسبة رائعة ويجب النظر إليها باعتبارها فرصة[1]. فرصة يتفق الأمريكيون بضرورة استغلالها لصالحهم، خاصة مع انطلاق الحرب الكلامية بين بن لادن والغرب. فبن لادن بدأ يطلق تصريحاته عبر قناة الجزيرة وفي مقابلاته مع الصحفي تيسير علوني، معلنا الجهاد على الولايات المتحدة وحلفاءها، داعيا الولايات المتحدة الأمريكية إلى سحب قواتها من الجزيرة العربية. وأصبح بذلك العدو متضح المعالم واستلزم القضاء عليه وعلى كل من يضمن لهذا الخطر المساعدة والغطاء والتأييد، فبدأ التفكير في تجسيد الحلم الذي راود فريق المحافظين الجدد من زمن

* الاسم الذي أطلق على التدخل في أفغانستان يوم 07 أكتوبر 2001.

[1] توماسز ايفيرت و كلاوس قيرنر، السجل الأسود للنفط: تاريخ من الجشع والحرب والسلطة والمال،ترجمة، إبراهيم أبو هشهش، المكتبة الشرقية، بيروت، 2007، ص 117.

بعيد، لتتوصل الإدارة الأمريكية إلى نتيجة مفادها أنه لابد من مواجهة العراق قبل أن يتمكن من تطوير أسلحة الدمار الشامل، فقد أطلق بوش الابن مجموعة من الأكاذيب حيث قال في خطابه عن حالة الإتحاد يوم 28 يناير 2003 : « يمتلك صدام حسين برنامجا متطورا للتسلح النووي، ولديه التصاميم الهندسية لهذا السلاح، كما عمل على تخصيب اليورانيوم بخمس طرق مختلفة»[1]. وللمضي في تعبئة الرأي العام الأمريكي والعالمي ضد العراق فقد أشارت التقارير الاستخباراتية الأمريكية إلى العلاقة المزعومة بين صدام حسين وتنظيم القاعدة. وكانت هذه التقارير مدعومة بآراء مركز البناك وهذا ما عبر عنه آري شافيت Ari Shavit أحد الصحفيين الإسرائليين في مقالته في عدد 09 أبريل 2003 من صحيفة هاآرتز Ha'retz الإسرائيلية : « إن الحرب على العراق هي من بنات أفكار 25 مفكرا من المحافظين الجدد، غالبيتهم يهود؟ استطاعوا الضغط على الرئيس بوش تغيير مجرى التاريخ».[2] ويمثل هؤلاء المفكرين والساسة حزب الحرب أو كما نعتهم بايير بكهنة الحربالكبار والذين تربطهم صلة بحزب الليكود الإسرائيلي ويتقاسمون فكرة حلم إسرائيل العظمى. ويساهم مفكروا البلاط من المحافظين الجدد في توجية السياسات العامة والسياسة الدولية لبوش الابن كتابة خطاباته وفق برنامج محكم ومنسجم مع تطلعاتهم الإمبراطورية الباحثة عن الشرعية والمساندة الشعبية في الداخل، وكسب رضا الحلفاء وردع المعارضين.

ج. **قانون مكافحة الإرهاب الأمريكي** Usa Patriot Act:

قام أحد أعمدة إدارة بوش الابن وهو جون أشكروفت وزير العدل بالإشراف على إعداد قانون من 342 صفحة وتمت المصادقة عليه بأغلبية ساحقة من طرف مجلسي النواب والشيوخ يومي 24 و25 أكتوبر 2001 ، ليصادق عليه الرئيس يوم 26 من نفس الشهر[1]. وصدر تحت مسمى قانون مكافحة الإرهاب الأمريكي، إنه القانون الذي اعتمد حالة الطوارئ العالمية، ومنح الولايات المتحدة فرصة مراقبة لكل من يدخل التراب الأمريكي حتى الذين يحملون البطاقة الخضراء، قامت أسبوعية The Nation اليسارية الأمريكية في عددها الصادر يوم 26 في شهر أوكتوبر 2001 بعرض ملخص لهذا القانون بطريقة تبرز كل انتهاكاته للدستور. إذ أن القانون الجديد[3]:

---

[1] سوسن العساف، مرǅع سبق ذكره، ï 209.

[2] مايكل كولينز بايير، كهنة الحرب الكبار ، ترجمة: عبد الطيف أبو البصل، مكتبات ونشر العبيكان، الرياض، 2006، ص 31.

[1]Mast Wanda, L'état D'exception aux Etats-Unis : Le Usa Patriot Act et autres Violations en Règle de la Constitution, www.google.com.

[3] نقلا عن: إبراهيم علوش، قوان مكافحة الإرهاā الأمريكية : إǅراǒات مǆاقتة أǅ انقلاā على الدستورÝ

- يسمح باعتقال وسجن غير المواطنين وبمنع حملة الكرت الأخضر من العودة إلى الولايات المتحدة، بسبب آرائهم المعارضة.
- يخفف من القيود القضائية على إجراءات مراقبة الهواتف والإنترنت حتى في القضايا غير المتعلقة بما يسمى الإرهاب.
- يوسع من صلاحيات الأجهزة الأمنية في القيام بعمليات تفتيش دون مذكرة رسمية، ودون معرفة صاحب العلاقة.
- يعطي المدعي العام ووزير الخارجية صلاحية تصنيف أية مجموعة في الولايات المتحدة كمجموعة إرهابية، ليتم التعامل معها على هذا الأساس، ومنع أي أجنبي ينتمي إليها حتى من حملة الكرت الأخضر من دخول الولايات المتحدة.
- يجعل دفع رسوم العضوية للمنظمات السياسية المغضوب عليها دليلا إجراميا يعاقب عليه القانون بالإبعاد من أمريكا (يجب فهم البندين الأخيرين بالتحديد ضمن سياق الحملة الصهيونية ضد الجمعيات العربية والإسلامية التي تجمع التبرعات في الولايات المتحدة)
- يمنح ال FBI صلاحيات الحصول على السجلات المالية أو الطبية أو التعليمية لأي شخص دون أمر من المحاكم أو حتى أي دليل إجرامي.
- يسمح بإجراء عمليات مراقبة واسعة النطاق لأغراض إستخباراتية دون إبراز دلائل اشتباه في المحاكم.
- يعيد لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIA صلاحية تحديد أهداف للتجسس داخل الولايات المتحدة، وهي التي يلزمها القانون بالعمل خارج الولايات المتحدة.
- يوسع تعريف (الإرهاب المحلي) بشكل يمكن أن يضم أعمال الاحتجاج السياسي السلمي.

المبحث الثالث: بوش والمؤثرات الدينية والفلسفية

عاد بوش إلى الكتاب المقدس لإنقاذ نفسه وعائلته، لكن هل كان يفكر في ذلك كتمهيد الطريق لمنصب رسمي؟ الأكيد أنه كان يعرف الخريطة السياسية لتكساس، فقد كان على علم أنه بحلول سنة 1985 كان الجنوب قد صعد ليسيطر على الحزب الجمهوري، وأنه بصعود الجنوب صعد معه التيار الإنجيلي، الذي أصبحت قوته الانتخابية في تزايد مستمر. هذا ما يقودني إلى النظر في علاقة بوش المباشرة مع الظاهرة الدينية الأمريكية وكيف إستفاد منها؟ إلى جانب تأثير الأفكار الفلسفية الشتراوسية على الأداء السياسي لبوش الإبن؟

المطلب الأول: الإدارة الأمريكية الحالية والصهيونية المسيحية:

لقد تزايدت قوة المؤسسات الدينية في المجتمع الأمريكي، حيث تتمتع بدرجة عالية من التنظيم ولديها الإمكانيات الضخمة، وبإمكانها توفير التسهيلات المادية وتسخير الوسائل المناسبة والمتقدمة لتحقيق أهدافها[1]. ومع اتساع ما عرف بحمى نهاية القرن، مثلت الانتخابات الرئاسية عام 2000 العودة الكبيرة لله إلى النقاش السياسي. فأعلن الرئيس بوش الابن أن فيلسوفه السياسي المفضل هو يسوع المسيح، بينما أعلن منافسه آل جور أنه قبل أن يتخذ قرارا يتساءل: ماذا كان ليفعل يسوع؟ وفي حملته الانتخابية ألمح المرشح الجمهوري بوش الابن في لقاء تلفزيوني إلى أنه يعتقد أنه لكي يدخل الجنة، يجب أن يكون مسيحيا[2].

وفي عهد الرئيس بوش الابن، وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول 2001، قويت الحركة الصهيونية المسيحية وأصبح لها دور فعال في بلورة القرار السياسي الأمريكي. ويحتل اليمين الديني المتطرف مكانا أساسيا في صياغة القرارات السياسية في الولايات المتحدة، ومن أبرز شخصيات هذا اليمين:

- دوغلاس فيث: المستشار السياسي لوزارة الدفاع، ونائب وزير الدفاع دونالد رامسفيلد، وهو عضو بارز في المنظمة الصهيونية الأمريكية.

- ريتشارد بيرل: مستشار الرئيس بوش الابن لشؤون الشرق الأوسط، ورئيس المجلس السياسي بوزارة الدفاع (البنتاغون)، وممثل شركة سولتام الإسرائيلية للأسلحة، وكان قد اتهم وأدين بتسريب معلومات سرية أمريكية إلى إسرائيل.

-كارل روف: المستشار السياسي للرئيس بوش الابن، وأحد أقرب المقربين إليه.

---

[1] تار ǹليل ا سلاź، أمريكا كما رأيتها، مكتبة ا علا، الطبعة الأو ، الكويت، 1986، Ǐ 367.

[2] رضا هلال، الدين والسياسة أمريكا علمانية أŴ متدينة، مرǅع سابق، Ǐ 241.

- بول وولفيتز: منظر الحرب على العراق، وأحد واضعي خطط هذه الحرب، وهو يشغل منصب نائب وزير الدفاع.

- إليون إبراهامز: مستشار مجلس الأمن القومي، الذي يعد مطبخ القرارات السياسية الأمريكية، وكان قد حكم عليه بالسجن بسبب الإدلاء بشهادة كاذبة أمام الكونجرس في عهد الرئيس الأسبق رونالد ريغان تتعلق بصفقات أسلحة لجماعة الكونترا في نيكاراغوا المؤيدة للولايات المتحدة، إلا أن الرئيس بوش الابن أصدر عفوا خاصا عنه.

- ريتشارد هاس: عضو مجلس الأمن القومي، ومستشار رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق نتنياهو، وهو من أكثر المتشددين في الدفاع عن نظرية الحرب على العراق وإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط من جديد.

إن الجمع في إدارة أمريكية واحدة بين الأصوليين الإنجيليين المتصهينين، وغلاة المحافظين السياسيين المرتبطين بإسرائيل وبالحركة الصهيونية العالمية، يشكل ظاهرة فريدة تميز بها الرئيس بوش الابن دون سواه. ويمكن قراءة موقف الرئيس بوش الابن في ضوء مواقف رئيس الحكومة الإسرائيلية السابق شارون، وذلك في:

- الموقف من الأمم المتحدة، ومن مجلس الأمن القومي وقراراته.
- اللجوء إلى الحرب، وتوظيف التفوق العسكري لفرض الأمر الواقع على الطرف الآخر.
- رفض المساعي الدبلوماسية، ومحاولة إملاء التسوية بالقوة العسكرية وبالشروط التي تحددها.
- الاستخفاف والتجاهل للرأي العام العالمي.

واليوم فإن اليمين المسيحي يشكل صلب الإدارة الأمريكية الحالية والحزب الجمهوري الحاكم، بالإضافة إلى تطلعاتهم للهيمنة والتوسع والانفراد في القرار الدولي مؤمنين بأن إسرائيل أرض الميعاد التي وعدها الرب لليهود، وهم مهووسون بعقيدة عودة المسيح المشروطة باجتماع اليهود في فلسطين. ومهووسون بحرب الألفية (هرمجدون) التي سيبيد فيها المسيح المنتظر قوى الشر. وقد استخدمت الإدارة الأمريكية الكلمات والشعارات والعبارات الدينية، وما زالت مستمرة في ذلك في ذروة حديثها عن حربها ضد الإرهاب مثل: محور الشر، الحروب الصليبية، الحرب المقدسة، والعدالة المطلقة، وذلك من أجل استثارة الحس الديني للتأثير على المواطنين هناك لتحقيق أهدافها. فالرئيس بوش يرى أن الحرب على العراق هي مهمة إلهية يقوم بها من أجل عالم أفضل.

ولعل أشد عبارات التنديد المسيحية بسياسة الرئيس بوش الابن، وردت على لسان البابا يوحنا بولس الثاني، ثم إن البيان الذي صدر في الخامس من فبراير عام 2003 عن المؤتمر المشترك لمجلس الكنائس العالمي، ومؤتمر الكنائس الأوروبي والمجلس الوطني لكنائس المسيح في

الولايات المتحدة، ومجلس كنائس الشرق الأوسط، يعد بحق البيان المسيحي المبدئي الجامع والرافض للحرب على العراق، باعتبارها حربا غير مبررة أخلاقيا أو دينيا، وقد ندد البيان بمبدأ اللجوء إلى القوة العسكرية بدلا من المساعي السياسية لحل الخلافات.

ومن الملاحظ أن الخطاب السياسي للرئيس بوش الابن في مرحلة ما بعد 11 سبتمبر 2001، يستحضر الخطاب السياسي للإمبراطور المغولي هولاكو. فالرئيس بوش يستطيع بما يملكه من قوة عسكرية جبارة، ومن إمكانات مادية غير محدودة أن يغير العالم، لكن هذا التغيير سيكون نحو الأسوأ. فالظلم سيتحول إلى كراهية، والكراهية إلى إرهاب يدفع العالم كله ثمنه غاليا. لقد تحول النظر إلى الولايات المتحدة من قلعة الحرية والديمقراطية إلى دولة استعمارية على غرار دول القرن التاسع عشر، وأصبح اسمها مرادفا لأسوأ ما في ذاكرة شعوب العالم عن الاستعمار وعن الغطرسة السياسية وعن أهوال الحروب.

المطلب الثاني: بوش والفلسفة السياسية الشتراوسية

في 26 فبراير 2003 أعلن بوش أمام أعضاء معهد أمريكان أنتربرايز: «أنتم بالتأكيد أحسن عقول في بلادنا لدرجة أن حكومتي توظف حوالي عشرين من مركزكم»[1].

- **الوضوح الأخلاقي كموجه للسياسة الدولية الأمريكية**

بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر، أصبح الالتزام بالتمييز بين مفهومي الخير والشر مبدأ موجه للسياسة الدولية لبوش الذي يقول في إحدى عبارات خطابه بأكاديمية واست بوينت في 01 جوان 2002: «إن أساس انتصارنا في الحرب الباردة كان الوضوح الأخلاقي»[2]، واضعا بذلك الأخلاق في لب السياسة الدولية لحكومته، خاصة بعد دخوله في حرب عالمية ضد الشمولية الجديدة، والمتمثلة في الخطر الإرهابي الذي يترصد الأمم الحرة. وهنا يتضح استعمال بوش لمصطلحات تنطبق مع رؤية شتراوس للحق الطبيعي كمصدر للأخلاق، خاصة عندما يقول «الحقيقة الأخلاقية هي نفسها في كل الثقافات وفي كل الأزمان وفي كل مكان»[3] فقتل الأبرياء يبقى دائما وأبدا فعل شرير، لذلك يؤكد بوش بأن الولايات المتحدة في حرب بين الخير والشر.

عند إعادة انتخابه أعلن من جديد إيمان الولايات المتحدة بالكرامة الإنسانية يوجه سياستنا ويجب على قادة العالم الاختيار بين الظلم الذي يعتبر شرا والحرية التي تعتبر الخير الأزلي[4]. ونقطة الالتقاء بين إدارة بوش وشتراوس تكمن في التمييز بين الخير والشر، والتي يشرحها هذا الأخير بإدراكه للقصور الذي

---

[1] Alain Frachon et Daniel Vernet, Le Stratège Et Le Philosophe, Le Monde, 16 Avril 2003.

[2] كرلوف، ف.ي، إم اǕور كل الأرô، مرǱع سبق ذكره ǃ، 175.

[3] ǹطاā الرئيس بوش الابن ليوǻ 17 سبتم 2002.

[4] اǃطاā الذي ألقاه 20 يناير 2005.

أدخلته الوضعية والعدمية في النظر للحياة السياسية: «هناك خير وهناك شر يعرفهما الحق الطبيعي. وهذه التعريفات تساعدنا في الاختيار بكل راحة بال، وهذا الإدراك للوضوح الأخلاقي لا يجب أن يوجه حياتنا الشخصية فحسب بل يجب أن يوجه الحياة السياسية»[1]. الديمقراطية الليبرالية التي تدافع عن حقوق وحرية الفرد يوجهها تفوق أخلاقي عن باقي الأنظمة، وهذه النزعة الأخلاقية يمكن أن تبرر التعلق بنوع من الحكومات والرفض لأنواع أخرى والتي تناهض القيم الأخلاقية واختارها للعنف والطغيان اللذان يجسدان الشر على حساب السلم والحرية اللذان يحققان الخير[2].

« إن أنظمة الطغيان تتميز بالخطورة بطبيعتها على الديمقراطية وترى أن بإمكانها التوسع، مما يستوجب التحذير من خطورتها ودمج المواطنين في الديمقراطية الليبرالية وتقوية القوات المسلحة والتحالف مع الأمم التي تتقاسم معها نفس القيم وتشترك في معارضة الطغيان»[3].

ولعل نقطة الخلاف التي يمكن الإشارة إليها بين شتراوس وإدارة بوش تتمثل في التصور الذي يعطيه شتراوس للوضوح الأخلاقي الذي لا يعني الأخذ بعين الاعتبار مصلحة الأمم الأخرى عند وضع السياسة الخارجية لأن هذه الأخيرة تهدف إلى خير وسعادة المواطنين لنفس البلد[4]. بينما إدارة بوش ترى بأن مسألة الديمقراطية الليبرالية ومواجهة الطغيان تتمثل في العمل الذي يجب على الولايات المتحدة القيام به للقضاء على الطغيان في العالم، عن طريق مساندة وتدعيم للحركات الديمقراطية لمختلف البلدان وهذا استنادا إلى الرسالة الكونية لأمريكا[5].

استنتاج الفصل الثالث:

يتضح من خلال استعراض أهم الأحداث التي ساعدت الولايات المتحدة من ترسيم نفسها كشرطي العالم، وقيادتها لإعادة أمجاد الحضارة الغربية، وحملها لواء التصادم مع الحضارات الأخرى وبخاصة الحضارة الإسلامية القابعة في براثن التخلف والإحباط، إثر الصدمات المتوالية، دون أن يكون للشعوب الإسلامية حق الرد، وإذا ما حاولت فإن التصنيف الأمريكي لكل مقاومة يدخل ضمن محور الشر والإرهاب الذي يتخالف مع القيم الديمقراطية والحرية. وهذا ما عجل من تطبيق رزنامة المحافظين الجدد الذين استطاعوا أن يشيروا على الرئيس الأمريكي الثالث والأربعون، بضرورة انتهاز الفرصة التي أتاحتها أحداث سبتمبر 2001 ، أولا للثأر لجرح الشخصية الأمريكية وبعد ذلك المضي في السيطرة على المناطق الحيوية عبر العالم، إبتداءا من أفغانستان وآسيا الوسطى مرورا بالعراق ومنطقة الشرق الأوسط.

---

[1] Leo Strauss, Nihilisme et politique, op. cit., p. 56.
[2] .Ibid., p. 56.
[3] Leo Strauss, La Cité et l'Homme, op. cit., p. 71.
[4] Leo Strauss, La Cité et l'Homme, op. cit., pp. 116-117.
[5] ǹطاǡ الرئيس بوش الابن ليوǋ 17 سبتم 2002. وأعاد ذلك ǹطاǡ توƃ العهدة الثانية 20 يناير 2005.

وهكذا يصبح من السهل على التحالف الغربي من مراقبة الأخطار التي تهدد أمنه القومي فمنطقة آسيا الوسطى تجعل مراقبة روسيا والصين وإيران والهند أمرا ممكنا وسهلا، والتواجد في العراق يضمن السيطرة على منطقة الشرق الأوسط ومنابع النفط وممراته، ويضمن كذلك حماية متزايدة للحليف الإستراتيجي الإسرائيلي. ولأن الطريق سيبدأ في بغداد حسب تعبير المحافظين الجدد فإن مخطط تفتيت المنطقة العربية بدأ فعلا من خلال إدخال الدول العربية في فوضى سيكون مصيرها منع أي محاولة للنهوض أو التخلص من تبعات تقسيم سايس بيكو دون الدخول في تقسيم آخر أشد وطأة على الشعوب العربية والإسلامية مغذيا التناقضات العرقية والطائفية.

الخلاصـــــــة

إن البحث عن تأثير الأفكار الفلسفية والدينية في رسم السياسة الدولية للولايات المتحدة دفعني للنظر في أهم مكونات الشخصية الأمريكية والمؤثرات الاجتماعية والتي جعلت من الساسة في أمريكا يعتقدون بأن لديهم دور رسالي خيّر، لحماية العالم من قوى الشر ، وهكذا قامت هذه الدراسة على أساس فرضيتين، كانت الأولى حول الدور الذي لعبته أحداث سبتمبر في تفعيل إستراتيجية المحافظين الجدد من خلال رسم طبيعة العدو. والثانية عن دور التحالف بين التيار اليميني العلماني المعروف بالشتراوسيين مع التيار اليميني الديني المعروف بالإنجليين في رسم معالم التحرك الخارجي الأمريكي وإضفاء الشرعية عليه من خلال تعبئة الرأي العام الداخلي بعدالة القضية التي أبتليت بها الولايات المتحدة الأمريكية والمتمثلة في وجوب محاربة الإرهاب والطغيان في العالم، باعتبارهما الخطر الذي يحدق بالحرية والديمقراطية.

استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تخرج منتصرة من حربها الايدولوجيا ضد الإتحاد السوفييتي، ليتم التخلص من الخطر الذي كان يتهدد المنظومة القيمية للغرب الليبرالي. وكان الفيلسوف ليو شتراوس قد نبه في كتاباته إلى أزمة العصر التي ميزت حقبة القرن العشرين، وهي أزمة الحداثة، وأزمة الحضارة الغربية والتي عانت من تقصير أبنائها في معالجة القضايا الحقيقية والمتمثلة في مواجهة النسبية الثقافية والانقلاب على التراثين الفلسفي القديم (الفلسفة الإغريقية وفلسفة القرون الوسطى) والدين الذي يمثل أحد أوجه التماسك الاجتماعي والحفاظ على الروابط الحضارية الغربية. واستطاع شتراوس أن يجعل من كتاباته مصدرا لفهم حاضر الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، وسهل التحالف بين التيار الديني الإنجيلي الصهيوني والتيار العلماني الصهيوني، من خلال وضع خطة عمل مشتركة، بدأت بمعاداة النازية وبعد ذلك الشيوعية وانتهاءا بالإسلام. وتهدف توصيات شتراوس إلى البحث عن أحسن نظام اجتماعي وأحسن نظام سياسي وهذا ما يضمن البقاء للخير والتغلب عن الشر، ولعل الديمقراطية الليبرالية أصبحت بحكم التجربة أحسن نظام يمكن أن يتبع، وعلى آثينا العصر الحديث والمتمثلة في واشنطن الدفاع بكل شراسة على هذا الإنجاز الغربي و غرغام الآخرين بإتباعه، حتى وإن كان باستعمال القوة.

فالشتراوسيون الذين تحالفوا مع المتدينين الإنجيليين قسموا العالم إلى خير وشر ، فكل ما يعارض الغرب الخيّر يدخل ضمن تصنيف الشر (محور الشر)، وهكذا تمكن خبراء الولايات المتحدة أن يبلوروا خطتهم الإمبراطورية المنبعثة من الدور المنوط بأمريكا والمتمثل في حماية الإنسانية من الطغيان وضرورة العمل على نشر القيم الليبرالية الغربية دون

مراعاة خصوصيات الآخرين، خاصة أولئك الذين يدخلون في دائرة الأعداء المحتملين. وكان لتفكك الإتحاد السوفييتي أو ما سمي بإمبراطورية الشر من طرف الرئيس ريغان، الفضل في إعطاء قفزة نوعية للتحرك الاستراتيجي لأمريكا، حيث أصبحت القوة الخارقة بلا منازع، مما سمح لها توجيه سياستها الدولية لتحقيق المزيد من النفوذ في مختلف المناطق الغنية بالثروات والاستمرار في نشر قواتها العسكرية وتسهيل تغلغل شركاتها في مختلف مناطق العالم.

ولم يفت أهل الفكر في الولايات المتحدة ضرورة إيجاد فزاعة لإضفاء الشرعية على دورها كشرطي العالم، خاصة بعد أن حقق كلينتون ما كان يصب إليه في أوروبا والحفاظ على منظمة الحلف الأطلسي– من خلال حرب كوسوفو- وبات من الضروري أن تستمر السيطرة الأمريكية الغربية على العالم خاصة مع تولي الرئيس الجمهوري جورج دبليو بوش الرئاسة في مطلع سنة 2001 والذي كان مصحوبا بإدارة ذات ملامح يمينية ظاهرة. فبالرغم من تميز الأشهر الأولى لإدارة بوش بالهدوء نسبيا في التعامل مع الأوضاع الدولية، وعدم الاكتراث كثيرا مع ما يحدث خارج نطاق المصلحة القومية الأمريكية، إلا أن الإدارة الأمريكية كانت تشمل بعضا من صقور المحافظين الجدد من أمثال ولفوفيتز و كغان وليبي وآخرون والذين كان لديهم برنامجهم الخاص ونظرتهم لما يجب أن تكون عليه الولايات المتحدة والعالم. وضرورة إيجاد العدو الذي يعيد الحركية التي ميزت مرحلة الحرب الباردة، وهذا ما وفرته أحداث 11 سبتمبر 2001.

إن أحداث الحادي عشر من سبتمبر لم تحدث تغيرا جذريا في النمط الإستراتيجي الأمريكي، لكنها منحت للولايات المتحدة دفعا جديدا في تنفيذ إستراتيجيتها العالمية في العمل المنفرد حين ترى مصلحة في ذلك:

- فبفعل قوتها الشاملة غير المسبوقة لم تغير الإدارة الأمريكية سياسة تأكيد الهيمنة الأمريكية.

- لم يتغير سلوكها في البحث عن الأمن المطلق Sécurité Absolue من جراء نظام الصواريخ الدفاعية على المستوى العسكري، بل طورت عقيدتها الإستراتيجية التي ظلت الولايات المتحدة تتبعها منذ بدايات الحرب الباردة والتي قامت على مبدأي: الاحتواء Endiguement والردع Dissuasion واستبدلتهما بمفهوم جديد هو الضربات الوقائية Attaques Préventives ضد هجمات محتملة أو متصورة.

- لم تغير الولايات المتحدة اتجاهها في الإبقاء على حلفائها الأوروبيين تحت سيطرتها والذين قد تتشاور معهم إلا أنها تؤكد في الوقت عينه أنها ستفعل في النهاية ما تراه صحيحا حتى لو عارضوه.

إن الإستراتيجية الأمريكية الناشئة، لم تفكر أن تربط بين ما حدث للولايات المتحدة وما يحدث في الشرق الأوسط، وإنما ذهبت – ولو بصورة ضمنية- إلى أنها لن تكافئ الإرهاب بالربط بين أعماله والقضية الفلسطينية، ولو أرادت أو امتلكت الإرادة لم تكن لتستطيع أن تفعل ذلك، لأمور تتصل بصورة مباشرة بالاعتبارات الانتخابية وتوزيع قوى الضغط وتأثيرات اللوبي الإسرائيلي واللوبي المسيحي اليميني. ولم تجد أن لديها الفرصة الكافية للبحث في أسباب التشدد في الدول الإسلامية وعلى رأسها سقوط الطبقة الوسطى وتفشي الفقر، الأمر الذي يستتبع البدء ببرنامج تنمية اقتصادية، أو ما يشبه (مشروع مارشال).

إن سياسة التدخل الانتقائي والاستباقي، لم تكن إلا موسمية قبل الحادي عشر من سبتمبر، فقد كان الرئيس بوش أعلن عن برنامجه الانتخابي الذي تضمن في أثناء حملة الانتخابات الرئاسية الأمريكية عام 2000، الأولويات المحلية: كإصلاح التعليم، والبيئة، وإيصالات المدارس الخاصة، والمبادرات المبنية على أساس الثقة، ومصادر الطاقة وإنتاجها، والإعفاء الضريبي، وعرض الحافز الاقتصادي، والرعاية الصحية، والقيم، والأخلاقيات، وعرض فلسفة التعاطف في الحكومة. وقد احتوت السياسة الدولية على عناصر القضايا المحلية كالمخدرات، ومسائل التجارة، ودرء الإرهاب، وقضايا الهجرة، ومسائل الطاقة واستقرار العملة. ولا تقوم الولايات المتحدة اليوم على أنها مجرد قوة عظمى أو دولة مسيطرة؛ بل هي تؤسس إمبراطورية على قدر مقاييس العصر، ولكنها في الوقت عينه تعيد إلى الأذهان سياسات الإمبراطوريات السابقة وسلوكياتها، وبخاصة الإمبراطوريتين الرومانية والبريطانية. فلم تحظ دولة قط، منذ العهد الروماني، بمثل هذه السيطرة الثقافية والاقتصادية والتكنولوجية والعسكرية التي تحظى بها الولايات المتحدة اليوم، ولا سيما أن الولايات المتحدة لا تعاني منذ انهيار الاتحاد السوفييتي حتى اليوم، منافسة أي قوة أخرى في العالم.

أخذت الولايات المتحدة تعمل من أجل تحقيق النظام الدولي الجديد تحت سيطرتها وكأنها في النظام تفرض قراراتها وآراءها على دول العالم بأسره القوية والضعيفة، الغنية والفقيرة. وكان إعلان الحرب على الطالبان وتنظيم القاعدة في أفغانستان من أولى قراراتها العسكرية. وقد تضمن هذا الإعلان أهدافا باطنية أكثر مما هو ظاهر منها. يستدل على ذلك من الزيارات التي قام بها كل من نائب الرئيس ديك تشيني ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد وغيرهما من عتاة الإدارة إلى الشرق الأوسط وجمهوريات آسيا الوسطى وصولا إلى الهند وباكستان والفلبين واندونيسيا يسوقون آراءهم العسكرية

وتطلعاتهم الحربية وقرار الإدارة إعلان الحرب على الإرهاب أينما وجد في العالم حيث لم يعد ثمة تمييز بين مقاتلين من أجل الحرية والاستقلال، أو مقاتلين من أجل الانفصال عن الدول الأم أو العابثين بالأمن العام والسلام العالمي.

وأحد مظاهر الفكر الإمبراطوري الأمريكي، القرار الذي أصدره مجلس الأمن برقم 1373 في 2001/9/28 الذي قدمه المندوب الأمريكي. ففي هذا القرار ما يمكن وصفه بإنشاء حق جديد للدولة- أي دولة طبعا- في أن تعلن الحرب على الآخر ساعة تشاء إذا ما تأكدت أو اشتبهت بأن هذا الآخر يقوم بعمل تقرر الدولة المعلنة للحرب أنه عمل إرهابي. وعلى هذا فقد أعلنت إسرائيل الحرب على الشعب الفلسطيني لأنها تأكدت أن هذا الشعب يقاوم الاحتلال والاستعمار، فوصفت هذه المقاومة بالإرهاب، وأقنعت الإدارة الأمريكية بوجهة نظرها هذه. وعلى هذا، واستنادا إلى مواقف الإدارة الأمريكية وسياساتها تجاه حركة التحرر الوطني الفلسطيني وحرب إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني، يمكن القول إن الإدارة الأمريكية تستخدم هذه الحرب عاملا من عوامل رسم الخريطة الجديدة للمنطقة.

ويرى برهان غليون أنه كان هناك أثران متناقضان لأحداث 11 سبتمبر 2001:

الأول: إضفاء نوع من المشروعية على عملية الاستفراد بالسياسة العالمية من قبل الولايات المتحدة، وتكريس نظام القطبية الأحادية الذي ولد فعليا بعد حرب الخليج الثانية عام 1991، لكنه بقي، بسبب افتقاره للشرعية، غير قادر على الإفصاح الحر عن نفسه حتى 11 سبتمبر 2001، وبقيت عوامل مناهضته وكبحه السياسية والإيديولوجية قوية جدا في أوروبا والعالم.

الثاني: لقد أظهرت أحداث سبتمبر هشاشة إستراتيجية الولايات المتحدة الأمنية وضعفها، وأظهر حدود التفوق الذي تتمتع به وقدرته على تأسيس قاعدة صلبة لنظام دولي جديد قائم على الأحادية القطبية صدقية القوة الأمريكية.

وفي إطار هذه الإمبراطورية، تأتي منطقة الشرق الأوسط لتشكل مكانة خاصة بالنسبة إلى الولايات المتحدة، إذ إن معظم مبادئ الرؤساء الأمريكيين قد بنيت على هذه المنطقة ومن أجل السيطرة عليها. ويعد النفط وإسرائيل المهمين في هذه المكانة. فأمن النفط من منابعه إلى مستهلكيه مرورا بأمن ممراته، وأمن إسرائيل وحمايتها وتبني احتلالها واستعمارها يولد التوجه الاستراتيجي الأمريكي بالاحتفاظ بقوات عسكرية في منطقة الخليج العربي، وتتولد الإرادة الأمريكية بضمان التفوق الإسرائيلي وبخاصة العسكري والعلمي والتقني والاقتصادي. وقد أدت هذه التوجهات الأمريكية إلى ضرورة تحجيم أو ضرب النظم الوطنية والقومية إذا ما تعارضت في سياساتها ومناهجها مع الإرادة أو المصالح الأمريكية. لكن السؤال: هل تستطيع الولايات المتحدة

الأمريكية الاستمرار في السيطرة على العالم؟ وفي محاولة الإجابة عن هذا السؤال تظهر مشكلة مصادر السيطرة ومدى توافرها، وخاصة الفجوة بين مصادر الولايات المتحدة الأمريكية Resources وقدرتها على التوسع الجغرافي السياسي Portée géopolitique. وقد يكون الأكاديميون ومنهم بول كنيدي على حق حين يتساءلون: هل من الممكن مواصلة لحظة أحادية القطبية وعدم حدوث التوسع الإمبريالي الممتد.

ويمكن تلخيص الانتقادات للحرب على الإرهاب في النقاط التالية:

1- التقسيم الفج في مقولة «إما مع وإما ضد الحرب على الإرهاب» بحيث لا يقبل هذا التصنيف أي مجال لانتقادات يراها بعضهم ضرورية.

2- الخسائر البشرية الكبيرة بين صفوف المدنيين في أفغانستان والعراق.

3- تشير تقارير منظمة العفو الدولية إلى كثير من الاعتقالات التي تمت في سجون سرية دون توجيه تهم ودون اللجوء إلى التسلسل القضائي والمحاكم، وعدم تمتع هؤلاء السجناء بحق التمثيل القانوني من قبل محامين، واستعمال أساليب في الاستجواب لا تتماشى مع القوانين الدولية.

4- الاستنزاف الكبير للاقتصاد الأمريكي في أثناء الحرب على الإرهاب، والذي حول أكبر فائض في تاريخ الولايات المتحدة في عهد بيل كلينتون إلى أكبر نقص في الميزانية في تاريخ الولايات المتحدة في عهد الرئيس بوش الابن.

5- استمرار الحرب لفترة زمنية قد تكون طويلة جدا مع عدم تحقيق انتصار ملموس، إذ إن هذه الحرب- بخلاف الحروب التقليدية- لا تعد قتل زعماء الجهات المعادية أو اعتقالهم أو تحقيق النصر العسكري نصرا، لأن الحرب هي حرب أفكار وعقائد.

6- انشغال الحكومة بالحرب على الإرهاب أدى إلى تجاهل الأزمات الداخلية في الولايات المتحدة من بطالة وسوء حالة التأمين الصحي والضمان الاجتماعي، وتم تقليص بعض هذه الميزانيات لدعم الحرب التي لا توجد هناك بوادر على نهايتها.

- الاندفاع لأجل الحفاظ على الهيمنة الأمريكية يمليه إحساس بوجود ضعف كامن طويل المدى. ولكن هذا مدعوم أيضا بالثقة الناتجة جزئيا من مصير الحرب الباردة. فالاقتناع بأنه إذا جابهت الولايات المتحدة أعداء (أشرار) فأنها سوف تنتصر، والدليل على ذلك بالطبع هو سقوط الاتحاد السوفيتي. فقد جاء رونالد ريجان إلى منصبه داعيا لا إلى التوازن، ولكن إلى تحقيق النصر الكامل على (إمبراطورية الشر). وبعد ذلك بعشر سنوات زالت هذه الإمبراطورية. واليوم فإن كل أعضاء القيادة الدفاعية تقريبا كانوا جزءا من فريق ريغان. وتقف ذكرى هذا النجاح وراء وعد جورج بوش الابن بأن الإرهابيين لن يتم فقط احتوائهم

مثل مهربي المخدرات ولكنهم سوف يضربون مثل النازيين والسوفييت. وتدعم هذه الثقة النجاحات التي حققتها العسكرية الأمريكية في حقبة ما بعد الحرب الباردة خاصة دور القوة الجوية في تأمين النصر على العراق عام 1991، ويوغوسلافيا في 1999، وأفغانستتان في 2001.. وحتى قبل 11 سبتمبر كان رامسفيلد يكافح للدفع نحو إحداث تحويل في العسكرية الأمريكية في مواجهة المقاومة التي كان يبديها البنتاغون. وقد تضمن ذلك استخدام ما يسمى الثورة في الشئون العسكرية التي من الممكن تحقيقها خاصة فيما يتعلق بتطور تكنولوجيا المعلومات لأجل إعادة تنظيم القوات المسلحة الأمريكية في وحدات صغيرة متخصصة تساندها أشكال متنوعة من القوات الجوية التي تستخدم ذخيرة دقيقة التصويب. وتبقى حرب الأفكار التي بشرت بها كونداليزا رايس في صِدام مع حرب البطون الفارغة في مناطق مليئة بالثروات الطبيعية والتي رصدتها الأقمار الصناعية و مراكز التفكير الأمريكية ووضعت في مفكرة الرؤساء الأمريكيون، ليبقى عنوان السياسة الدولية الأمريكية مصلحة العالم من مصلحة أمريكا، وأمريكا قلعة العالم الحر ومضلته الأمنية خاصة بعد أن عولمت الأمن القومي الأمريكي. فأي مصير لعالمنا العربي الإسلامي الذي استوعب حرب الأفكار بعقول مجمدة، وكثف النشاط في المقابر بدل المخابر، وربط أعناق الشعوب بدل إعداد رباط الخيل؟ وأصبح سلاحه حذاء ضرب بوش الابن في المؤتمر الصحفي الذي جمعه مع المالكي بالعراق في ختام عهدته الثانية، والغريب أن بوش كان بارعا في تفادي الحذاءين، ليبقى حلم إصابة الهدف مرهون بقيمة المسدد؟!

1. **المراجع باللغة العربية:**

- **الكتب**

1. أبو خزام، إبراهيم، أقواس الهيمنة، دراسة لتطور الهيمنة الأمريكية من مطلع القرن العشرين حتى الآن،دار الكتب الجديدة المتحدة، الطبعة الأولى، بيروت، 2005،286ص.
2. إرون سلزر، المحافظون الجدد، ترجمة فاضل جكتر، مكتبات ونشر العكبيان، الرياض، 2005، 458ص.
3. السايح، أحمد عبد الرحيم، بحوث في مقارنة الأديان، الدين- نشاته- الحاجة إليه، دار الثقافة، الدوحة
4. السمحراني، أسعد، ترجمان الأديان، دار النفائس، الطبعة الأولى، بيروت، 2009، 431ص.
5. السماك، محمد ، الدين في القرار الأمريكي، بيروت: دار النفائس.
6. الخشت محمد عثمان، مدخل إلى فلسفة الأديان، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.
7. المسيري، عبد الوهاب، دراسات معرفية في الحداثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى،القاهرة، 2006، 418ص.
8. العساف، سوسن، إستراتيجية الردع: العقيدة العسكرية الأمريكية الجديدة والاستقرار الدولي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2008، 462ص.
9. بريجنسكي، زبيغنيو، الفرصة الثانية، ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية، ترجمة، الأيوبي، عمر، دار الكتاب العربي، ، بيروت، 2007، 223ص.
10. جون ميكلثوايت وأدريان وولدريدج، أمة اليمين قوة المحافظين في أمريكا، ترجمة عبد الوهاب علوب، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى، القاهرة،2007، 490ص.
11. داراز، محمد عبد الله، الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، مطبعة الحرية، بيروت، 1952
12. فوكوياما، فرانسيس، أمريكا على مفترق الطرق، ما بعد المحافظين الجدد، ترجمة محمد محمود التوبة، مكتبة العكبيان، الطبعة الأولى، الرياض، 2007، 274ص.

13. دريدا، جاك، ماذا حدث في 11 سبتمبر، ترجمة فتحي، صفاء، مراجعة، السباعي، بشير، دار توبقال للنشر ، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 2006، 111ص.

14. قبيسي، هادي، السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين: المحافظية الجديدة والواقعية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008، 157ص.

15. عبد العظيم، علي، الدين عند الله الإسلام، سلسلة البحوث الإسلامية، الكتاب الثامن، السنة الثانية عشر،1981،ص03، نسخة كتاب محملة من الموقع الإلكتروني **http://www.al-maktabeh.com** .

16. عبد العظيم، علي، إن الدين عند الله الإسلام، سلسلة البحوث الإسلامية، الكتاب الثامن، السنة الثانية عشرة، سنة 1981

17. عبد السلام، أحمد لطفي، الانحياز الأمريكي لإسرائيل، دوافعه التاريخية والاجتماعية والسياسية، مكتبة النافذة، الطبعة الأولى، القاهرة، 2005، 226ص.

18. عدد من المؤلفين، موسوعة الأديان الميسرة، دار النفائس، الطبعة الرابعة، بيروت، 2007.

19. شومسكي، نعوم، الهيمنة أم البقاء السعي الأمريكي للسيطرة على العالم، ترجمة: سامي الكعكي، دار الكتاب العربي،بيروت،2004 ، 310ص.

20. غريب،حسن خليل، تهافت الأصوليات الإمبراطورية شروق العصر القومي العربي، دار الطليعة، بيروت، 2009، 288ص.

21. غريب، فنسان، مأزق الإمبراطورية الأمريكية، الطبعة الأولى، بيروت، 2008، 415ص.

22. زكاء الله، محمد عارف، الدين والسياسة في أمريكا: صعود الإنجيليين وأثرهم، مكتبة الشروق العربي، 2006، 291ص.

23. زكريا، فريد، مستقبل الحرية، الديمقراطية غير الليبرالية في الوطن و الخارج، ترجمة رضا خليفة، مكتبة الأسرة ، القاهرة، 2009، 294ص.

24. كرستول، إرفنغ، قناعة المحافظة الجديدة: ماذا كانت، و كيف أصبحت؟ مقالة ضمها كتاب،إرون سلزر، المحافظون الجدد، ترجمة فاضل جكتر، مكتبات ونشر العكبيان، الرياض، 2005، 458ص

25. كرلوف، ف.ي، إمبراطورية كل الأرض أو خفايا النظام العالمي الجديد، ترجمة منتخب يونس، منشورات دار علاء الدين، دمشق، الطبعة الثانية، 594،2009ص.

26. كورف، روبرت، التحرر من أمريكا: لحماية الديمقراطية و التكامل الاقتصادي والثقافي للشعوب ، ترجمة رشا جمال عباس، القاهرة: دار السلام للطباعة و النشر والتوزيع والترجمة، 2007.

27. كونزمان، بيتر و آخرون، dtv- أطلس الفلسفة، ترجمة جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت، الطبعة الأولى، 2001.

28. لاندو، سول، الإمبراطورية الإستباقية، الدليل إلى مملكة بوش، ترجمة، النابلسي، ليلى، شركة الحوار الثقافي، الطبعة الأولى، 2005، 248ص.

29. مرقس، سمير، اليمين الديني الأمريكي، المسيرة من التأثير القاعدي إلى المشاركة في السلطة، برنامج حوار الحضارات، كلية الإقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، جوان 2002.

30. المعلم، عادل، مقدمة في الأصولية المسيحية في أمريكا والرئيس الذي استدعاه الله وانتخبه الشعب الأمريكي مرتين، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الثالثة، القاهرة،2005، 181ص.

31. مكدوجال، والتر، أرض الميعاد والدولة الصليبية، أمريكا في مواجهة العالم منذ 1776، ترجمة هلال، رضا، دار الشروق، القاهرة، 2001، ط2، 348ص.

32. بايبر، مايكل كولينز، كهنة الحرب الكبار، ترجمة، عبد اللطيف أبو البصل، مكتبات ونشر العبيكان، الرياض، 2006، 273ص.

33. ناي، مالوري، الدين الأسس، ترجمة، عبدالستار، هند،الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 2009، 368ص.

34. ها لسل، جريس ، يد الله، ترجمة محمد السماك، القاهرة: دار الشروق، 2000

35. هلال، رضا ، الدين والسياسة في أمريكا المسيح الأمريكي وصهيون، الإمبراطورية الأمريكية، ج2 ، القاهرة: مكتبة الشروق، 2001.

36. هلال، رضا، الدين والسياسة في أمريكا علمانية أم متدينة، عن:الإمبراطورية الأمريكية، ج1، مكتبة الشروق، القاهرة،2001.

- **مقالات من الأنترنيت**

1. أبلسون، دونالد، مؤسسات الفكر والرأي وسياسة الولايات المتحدة الخارجية: نظرة تاريخية، مقالة في المجلة الإلكترونية أصدرتها وزارة الخارجية الأمريكية، نوفمبر 2002.

2. أحمد، حسين، جدلية الفكر، ص 31، نسخة إلكترونية محملة www.4shared.com

3. بسيس، صوفي، الغرب والأخرون: قصة هيمنة، ترجمة، سعد، نبيل، مؤسسة كتب عربية،www.kotobarabia.com

4. جاسم، صباح، مجموعات الضغط: ما هي؟ أهميتها؟ وكيف تؤثر؟ http://www.annabaa.org/nbanews/65/427.htm

5. سلوم ، سعد، المحافظون الجدد وترسيخ بنية العنف في العلاقات الدولية، مجلة النبأ، العدد 78 ،رجب 2005،www.annabaa.org

6. عربيد، مسعد، التوظيف السياسي للدين:الولايات المتحدة الأمريكية نموذجا،الجزء الأول، كنعان النشرة الإليكترونية، السنة السابعة، العدد1197، يونيو 2007،http://www.kanaanonline.org/articles/01197.pdf

7. صفوان محمد سلام البنا، مفارقات الصليبيين الجدد قصة صعود تحالف اليمين المسيحي والمحافظين الجدد في الولايات المتحدة، http://www.hewarye.com/3040.html

8. سلام، هشام، تحالف الصهيونية المسيحية و الصهيونيةاليهودية ، الجزيرة نت، الملفات الخاصة،2006.

9. الغامدي، عبدالله بن جمعان، اليمين المسيحي وتأثيره على السياسة الأمريكية، دراسة، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية على :repository.ksu.edu. doc

10. مكي، عماد، تحالف الصهيونية المسيحية مع المحافظين الجدد، الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة الأمريكية، الجزيرة نت، الملفات الخاصة، 2006.

11. هزاز، صابر أمين، مراكز التفكير و دورها في التأثير على صنع السياسة، أنموذج لدراسة الولايات المتحدة الأمريكية حول عبارة Think Tank ، مركز الفرات للتنمية والدراسات الإستراتيجية،http://www.fcdrs.com.

12. ماكغان، ج. جيمس، مؤسسات الفكر والرأي وتخطي السياسة الخارجية لحدود الأوطان، المجلة الإليكترونية لوزارة الخارجية الأمريكية، نوفمبر 2002،

13. سليمان، منذر، دولة الأمن القومي و صناعة القرار الأمريكي: تفسيرات و مفاهيم، المستقبل العربي، مارس 2006، العدد 325، السنة الثامنة و العشرون، بيروت،

14. الغامدي، صالح بن عبدالله الحساب، تقرير مؤسسة راند: إسلام حضاري ديمقراطي ، رسالة علمية مقدمة إلى قسم الدعوة و الثقافة الإسلامية لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية

15. سلام، هشام، مراكز الابحاث وصنع السياسة الامريكية في القرن الحادي والعشرين، تقرير واشنطن، العدد التاسع، 2011،
http://necr.org/news.php?action=view&id=1521

16. هاس، ريتشارد، مؤسسات الفكر والرأي وسياسة الولايات المتحدة الأمريكية: وجهة نظر احد صانعي السياسة، مقالة، في المجلة الإلكترونية دور مؤسسات الفكر والرأي في السياسة الخارجية للولايات المتحدة، أصدرتها وزارة الخارجية الأمريكية، نوفمبر 2002

2. المراجع باللغة الأجنبية

1. الكتب:

37. Acton, H.B, Ce Que Marx a Vraiment Dit, traduit de l'anglais par Anne Laurens, Marabout Université, Belgique,1973.

38. Amin, Samir, Les Attentats du 11 Septembre, in, l'empire en guerre

39. Boniface, Pascal, Les Relations Internationale de 1945 à Nos Jours, Editions Dalloz, Paris, 2005.

40. Chomsky, Noam, La Nouvelle Guerre Contre La Terreur, in : L'empire En Guerre, Le Monde Apres Le 11 Septembre.

41. hatfield, james, le cartel bush ou l'itinéraire d'un fils privilégié,

42. Kepel Gilles, Fitna : Guerre au cœur de L'islam, Edition Gallimard, Paris , 2004,

43. Kissler Nicolas, Le conservatisme américain, Presses Universitaires, Paris,1998,

44. kissinger, henry, la nouvelle puissance américaine, traduit par : odile demange, fayard, 2003.

45. Laurent, Éric, Le Monde Secret De Bush, Paris, Pocket, 2004,

46. Mattelart, Arnaut, Histoire de L'utopie Planétaire, Ed Casbah, Alger,

47. Melandri, Pierre et Vaïsse, Justin, in, Bréchot, François-Xavier, Le philosophe et les idéologues (L'influence de la pensée de Leo Strauss sur la politique étrangère de George W. Bush), Mémoire de recherche, Université Jean Moulin Lyon 03, 2005
48. Norton, Anne, Leo Strauss Et La Politique de L'empire Américain, traduit de l'américain par pierre emamanuel dauzat, editions denoel, 2006
49. Ouzan, Françoise, Histoire des Américains Juifs, Editeur André Versaille
50. Pierre, Hadot, Qu'est-ce que la philosophie antique ? Edition Guallimard,France, 1995, p.21.
51. Philippe David, Charles et Balthazar, Luis et Vaisse, Justin, La Politique Étrangère Des Etats Unis, Fondements, Acteurs, Formulation, Paris, Presses de Science Po, 2e Ed, 2008,
52. Rice, Condoleezza, Un Equilibre des Pouvoirs qui Favorise la Liberté, Revue Electronique du Département d'état Des Etats-Unis, numéro 03, 2002.
53. Strauss, Leo, Nihilisme et Politique, Traduit par Olivier Sedeyn, Editions Payot & Rivages, Rivages Poches, Coll. Petite Bibliothèque, 2004,
54. Strauss, Leo, La Cité et l'Homme, Le Livre de Poche, Paris, 2005,
55. Strauss, Leo, Qu'est-ce que la philosophie politique, Traduit de L'anglais par Olivier Sedeyn, Presses Universitaires De France, Paris 1992,
56. Stephen Boucher et Martine Royo, Les Tanks Think Cerveaux de la guerre des idées, Édition. le Félin, 2006, 118 p.
57. Vaisse Justin, Histoire du neoconservatisme aux Etats-Unis, édition Odile Jacob, Paris, 2008.
58. Védrine, Hubert, Face à L'hyper-Puissance, Textes et Discours, 1995 – 2003, Editions Fayard, 2003.

2. الرسائل الجامعية

1. Akli Le Coq , Les néoconservateurs , Du centre vital à l'Axe du Mal ,Master I EEAI, Université de Sergy-Pontoise , France ,2005.
2. Bréchot, François-Xavier, Le philosophe et les idéologues (L'influence de la pensée de Leo Strauss sur la politique étrangère de George W. Bush), Mémoire de recherche, Université Jean Moulin Lyon 03, 2005

3. Jalbert Lizette et Leppage Laurent , Néoconservatisme et restructuration de l'Etat, Canada - Etats-Unis - Angleterre, Université du Québec à Montréal , 1986

4. Lewis, Irving, Guerre Contre le Terrorisme et Sécurité Intérieure : Vers une Consolidation de l'Hégémonie Américaine dans le Monde,Startis Internationale, 08/2005

1. المقـالات

1. Cuccioletta, Donald, The Four P's of the Modern American Conservative Movement, colloque organisé par l'Observatoire sur les Etats-Unis de la Chaire Raoul-Dandurand , Jeudi 09 février 2006.

2. Charles-Philippe, La Politique Etrangère de Bush: Formulation et Décision, Document de travail n°6, ifri, 2005.

3. Edward Lee, The Four P's of the Modern American Conservative Movement, colloque organisé par l'Observatoire sur les Etats-Unis de la Chaire Raoul-Dandurand, Jeudi 09 fevrier 2006

4. Ekovich, Steven, la puissance américaine: déclin ouajustement ? assisterait-on à un déclin des états-unis d'amérique ? Université américaine de Paris, 2010.

5. Grondin, David, Une lecture critique du discours néoconservateur du nouvel impérialisme : la lutte globale contre le terrorisme comme Pax Americana, Études internationales, vol. 36, n° 4, 2005, p. 469-500, in www.erudit.org

6. Gueldry, Michel, Qu' est ce que le néoconservatisme ?
www.cairn.info/article_p.php

7. Rice, Condoleezza, Un Equilibre des Pouvoirs qui Favorise la Liberté, Revue Electronique du Département d'état Des Etats-Unis, numéro 03, 2002

8. Walt, Stephen, M. La Guerre Préventive :Une Stratégie Illogique

9. John Micklethwait and Woodridge, The Right Nation : why America is Different, Penguin, 2004, in, Anne-Lorraine Bujon de l'Estang, Au cœur de l'Amérique le mouvement des Tea Parties : texte publié sur le site de l'Institut français des relations internationales, 2010.

الملحق 01

مأخوذة من مسرحية بوتقة الإنصهار عن الموسوعة الإلكترونية ويكيبيديا 2012.



DEFENSE

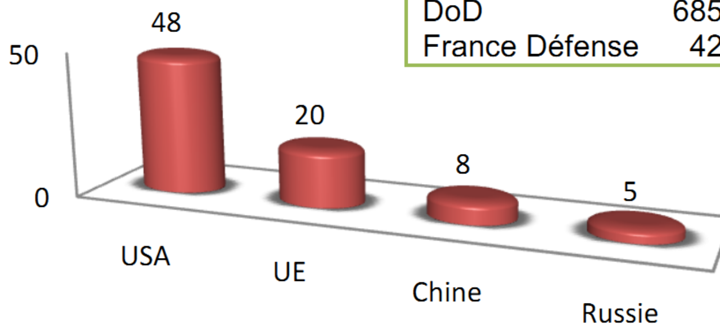
I. Des effectifs en hausse et des moyens financiers considérables

Effectif global des forces armées américaines (mars 2009)	
Active	1 450 000
Réserve	415 000
National Guard	465 000
Total des forces	2 330 000
Civils	715 000
Total DoD	3 045 000

DoD = Department of Defense

Déploiements : environ 260 000 hommes, dont 200 000 en opérations de guerre, sont projetés dans le monde, soit **18 %** des effectifs.

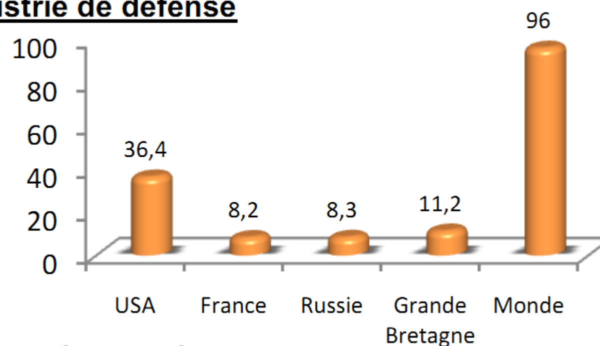
Budget 2009	En milliards USD	En % du PIB
DoD	685	5
France Défense	42,75	2



Part mondiale des dépenses au profit de la Défense (en %)

II. Le leadership sur l'industrie de défense

Ventes d'armes en 2008 (en milliards de USD)



III. Le coût de la guerre contre le terrorisme

Le Congrès a alloué **808 Mds USD** au profit des opérations conduites depuis 2001 en Irak, Afghanistan et sécurité intérieure. Cette somme représente environ le double du budget consacré par la France à sa défense sur la même période.

Au 8 mai 2009,

Les pertes américaines en Irak : 4 280 tués et 31 150 blessés.

Les pertes américaines en Afghanistan : 680 tués et 2 800 blessés.

فهـرس المحتويـات

الموضوع الصفحة